أدب الاعتراف في ثقافة العرب

(ملف)

ص10،11،12،13

أنس الدكالي

كيميائي مغربي بين لوبيات السياسة ولوبيات الدواء

ص8

الناخبون الأشباح في خدمة حزب أردوغان

ص3

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/02/17

12 جمادى الثانية 1440

السنة 41 العدد 11262

Sunday 17/02/2019

41st Year, Issue 11262

انزعاج إيراني من الدور السعودي المتزايد في باكستان

● طهران تتخوف من نتائج انفتاح عمران خان على الرياض وتفعيل دور إسلام أباد في التحالف الإسلامي

شوارع إسلام أباد تحتفي بالسعودية

❏ **طهران** – عكست الاتهامات التي وجهتها السلطات الإيرانية إلى باكستان والسعودية بشأن التفجير الذي أودى بحياة 27 من أفراد الحرس الثوري في محافظة سيستان بلوشستان، حجم انزعاج طهران من التقارب بين الدولتين المحوريتين في العالم الإسلامي.

يأتي هذا فيما تشعر إيران بأن النفوذ السعودي المتزايد في جنوب شرق آسيا قد يكون الهدف منه تطويقها خاصة أنه يتزامن مع العقوبات الأميركية المشددة التي تستهدف منع بيع النفط الإيراني، وأن باكستان قد تلعب دورا مؤثرا في ذلك.

واتهم قائد الحرس الثوري الإيراني اللواء محمد علي جعفري في تصريحات بثها التلفزيون الحكومي الإيراني، السبت، "القوات الأمنية الحكومية الباكستانية" بدعم الجماعة التي نفذت الهجوم الانتحاري.

وعمد اللواء جعفري إلى توجيه الاتهام إلى السعودية والإمارات في سياق نظرية المؤامرة التي تلجأ إليها طهران عادة للبحث عن أعداء وهميين بهدف امتصاص غضب الشارع وإظهار أن التفجيرات الانفصالية معزولة، وليست ردة فعل على التهميش الذي تلاقيه المناطق التي تقطنها الأقليات.

وما زالت القيادة الإيرانية ومنذ أربعة عقود مستمرة في الهروب من الاستحقاقات الحقيقية للمجتمع الإيراني من خلال سياسة خارجية متهورة هدفها تصدير مشكلات الداخل نحو الخارج، خاصة أن التصريحات الرسمية الصادرة عن القيادات السياسية والعسكرية للدولة تشبه في صيغها ما تطلقه الميليشيات من مواقف وليس الدول.

ويعزو مراقبون تزايد الأنشطة الانفصالية وتنوع مناطق تنفيذها إلى عوامل عدة من بينها البعد الطائفي المتشدد للنظام، الذي لا يسمح لأي أقلية عرقية أو دينية بممارسة أنشطة خاصة بها، فضلا عن أن السلطات قصرت تعاطيها مع مطالب المجموعات العرقية المختلفة على القوة، وهو ما حال دون تحسين شروط العيش في هذه المناطق المهمّشة والمغضوب عليها لاعتبارات مذهبية أو عرقية.

ويعكس توجيه الاتهام إلى الرياض وأبوظبي وإسلام أباد دون أي رابط موضوعي بشأن تمويل الجماعات الانفصالية، قلقا إيرانيا كبيرا من الدعم الذي توجهه السعودية والإمارات إلى باكستان ودخولهما على خط حل الأزمة الأفغانية، وهو ما اعتبره الإيرانيون دخولا مفاجئا إلى منطقة دأبت طهران على التحرك فيها منفردة منذ تحالفها مع واشنطن في الإطاحة بحركة طالبان في 2001.

وتتزامن الاتهامات الإيرانية العشوائية مع زيارة مرتقبة، الأحد، لولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان إلى باكستان على رأس وفد من المسؤولين ورجال الأعمال السعوديين في زيارة تستغرق يومين، هي الأولى له منذ توليه منصبه في 2017.

وتشير تقارير إلى أن السعودية ستوقّع حزمة قياسية من الاستثمارات في باكستان تتضمن مصفاة ومنشأة نفطية بقيمة 10 مليارات دولار في ميناء جوادر الاستراتيجي.

وملأت لافتات تحمل صور ولي العهد السعودي شوارع العاصمة الباكستانية، ويجري حديث عن أن إسلام أباد ستحتفي بوصول الأمير محمد بن سلمان، السبت، بإطلاق 3500 حمامة وبالونات من مختلف الألوان، في زيارة قال عنها وزير الإعلام الباكستاني فؤاد تشودري إنها تضم "أكبر وفد على الإطلاق يزور باكستان".

وأعلنت السعودية في أكتوبر الماضي أنها ستقرض باكستان 6 مليارات دولار، نصفها وديعة لتعزيز الاحتياطي النقدي من العملات الأجنبية والنصف الآخر في صورة مدفوعات نفط مؤجلة.

وأعلنت الإمارات العربية المتحدة عزمها تقديم وديعة بقيمة 3 مليارات دولار في البنك المركزي الباكستاني لدعم إسلام أباد.

وكان صندوق أبوظبي للتنمية قد موّل ثمانية مشاريع تنموية في باكستان بقيمة إجمالية بلغت نحو 410 ملايين دولار، في هيئة منح لتمويل مشاريع في قطاعات الطاقة والصحة والتعليم والطرق.

وتنظر إيران بريبة إلى تحركات رئيس الوزراء الجديد عمران خان، الذي يسعى لتقوية علاقاته مع دول الخليج، ما قد يعبد الطريق أمام دور باكستاني أكبر في التحالف الإسلامي الذي تتزعمه السعودية، والذي يهدف إلى الحدّ من النفوذ الإيراني في المنطقة، فضلا عن محاربة داعش.

وما يزيد من مخاوف إيران أن السعودية تسعى لاستثمار نفوذها المالي والاستثماري في تطويق إيران على أكثر من واجهة، وأن الأمر تجاوز كونه مجرد تهويش كلامي إلى التأثير في المشهد الإقليمي، من ذلك أن الرياض تنوي لعب دور كبير في إنجاح المفاوضات بين الحكومة الأفغانية وحركة طالبان، وهو النزاع الذي استثمرته طهران لتثبيت وجودها في أفغانستان.

ونقلت وكالة رويترز للأنباء عن مصادر من الحكومة الباكستانية قولها إن ولي العهد السعودي سيلتقي على الأرجح بممثلين من حركة طالبان الأفغانية خلال زيارته لباكستان، وذلك ضمن جهود لإنهاء حرب أفغانستان المستمرة منذ 17 عاما.

وتتخوف إيران من أن يفضي النفوذ السعودي في باكستان وأفغانستان إلى التأثير على شبكة صادراتها من الغاز والنفط إلى الهند في وقت تتعرض فيه هذه الصادرات إلى ضغوط أميركية متعددة دفعت نيودلهي إلى تقليص مشترياتها من طهران.

عن نقد المملكة العربية السعودية خارج السياق ص4

صعود أسهم حزب تونسي معاد للإسلاميين

❏ **تونس** – نجح الحزب الدستوري الحر الذي تتزعمه المحامية عبير موسي في خطف الأضواء بتونس بسبب مواقفه الحاسمة من حركة النهضة الإسلامية، مستفيدا من الأزمة التي يعيشها حزب نداء تونس بسبب الصراع بين أجنحته المتعددة، وآخرها بين المدير التنفيذي حافظ قائد السبسي، ورضا بالحاج أحد القياديين المؤسسين.

وارتفعت أسهم الحزب بالدرجة الأولى بسبب جرأة عبير موسي، وهي قيادية سابقة في حزب الرئيس التونسي الأسبق زين العابدين بن علي. ولا تقف هذه الجرأة عند نقد حركة النهضة، والمطالبة بحلها ومحاكمة قياداتها وتحميلها مسؤولية تسفير الآلاف من الشبان التونسيين للقتال في ليبيا وسوريا، إذ تشكك موسي في أغلب المؤسسات التي تشكلت بعد ثورة 2011 مثل هيئة الانتخابات وهيئة الحقيقة والكرامة.

وحذرت موسي في وقفة احتجاجية، السبت، في شارع الحبيب بورقيبة بالعاصمة تونس من تزوير الانتخابات المقررة نهاية العام الجاري بسبب ما أسمته هيمنة "أطراف مشبوهة" ومتهمة بعلاقتها بالإرهاب.

وأعلنت أن حزبها سيطعن أمام القضاء في تسمية حزب "تحيا تونس"، المحسوب على رئيس الحكومة يوسف الشاهد، إن حصل على التأشيرة بهذا الاسم، واستغربت الحضور الكاسح لحزب لم يتأسس بعد قانونيا فيما أحزاب أخرى مثل حزبها لا يتم الاهتمام به إعلاميا.

وتسعى عبير موسي لاستقطاب جزء من الجمهور الانتخابي الذي دعم نداء تونس في انتخابات 2014 تحت عنوان معاداة المشروع المجتمعي لحركة النهضة قبل أن يتراجع الحزب عن ذلك بعد الانتخابات ويتحالف معها في تشكيل الحكومة.

ويقول مراقبون للشأن التونسي إن الحزب الدستوري الحر قد يكون بديلا جديا لنداء تونس إذا لم يتجاوز خلافاته، خاصة في ضوء الصراع بينه وبين حزب رئيس الحكومة على استقطاب القيادات المستقيلة.

ويشير هؤلاء إلى أن حزب الشاهد يحاول أن ينأى بنفسه عن حركة النهضة بإصدار بعض التصريحات المعزولة، لكنه إلى الآن لا يزال يتحالف مع النهضة في الحكومة، وتحوم شكوك بشأن تنسيق مواقفهما بخصوص الانتخابات القادمة وما بعدها، خاصة ما تعلق بالمرشح الرئاسي، وهو عنصر ستستفيد منه عبير موسي لاستقطاب الفئات الغاضبة من النهضة.

ترامب يفسد حسابات أردوغان في سوريا بتسليح الأكراد

● واشنطن تستنجد بقوة أوروبية لحماية «قسد» ● أنقرة تشهر ورقة اللاجئين للحصول على دعم أوروبا للمنطقة الآمنة

❏ **أنقرة** – يمتلك الرئيس الأميركي دونالد ترامب أوراقا إضافية للتغطية على الانسحاب من سوريا ومنع تركيا من تصفية حساباتها مع المجموعات الكردية الحليفة للولايات المتحدة، وهو ما قد يفسد خطط الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في إقامة منطقة آمنة تكون بمثابة حزام لمحاصرة الأكراد.

وأشهرت الولايات المتحدة بدائلها في وجه أردوغان حين لوّحت بالاستمرار في تسليح الأكراد للتغطية على انسحابها.

وأعلن الجنرال جوزيف فوتيل قائد القيادة المركزية، والذي يشرف على القوات الأميركية في الشرق الأوسط، أن بلاده ينبغي أن تواصل تسليح قوات سوريا الديمقراطية بعد الانسحاب المزمع من سوريا.

وتمثل هذه واحدة من أقوى الإشارات الأميركية حتى الآن على أن واشنطن لن تترك الأكراد يجابهون مصيرهم لوحدهم في ظل التهديدات التركية، خاصة أن أنقرة تعاملت مع نوايا الانسحاب الأميركي بمنطق الغنيمة، موحية بأن ترامب قرر أن يخلي المجال الكردي تحت وقع الضغوط التركية وليس بسبب حسابات أميركية خالصة.

وقال مايك بنس نائب الرئيس الأميركي، السبت، إن انسحاب بلاده من سوريا جاء من منطلق تعديل في أساليب العمل وليس تغييرا في الاستراتيجية. وجاء ذلك خلال كلمة ألقى بها بنس في مؤتمر ميونيخ الأمني بألمانيا.

وبدأ تعديل موقف ترامب من الانسحاب يحوز على دعم أوروبي أكثر تجذّرا، فبعد فرنسا جاء الدور على ألمانيا التي باتت أكثر اقتناعا بأن الانسحاب الأميركي يمكن أن يعزز نفوذ روسيا وإيران.

وتساءلت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، السبت، خلال كلمتها بمؤتمر ميونيخ "هل هي فكرة جيدة للأميركيين الانسحاب فجأة وبسرعة من سوريا؟ ألن يعزز ذلك قدرة روسيا وإيران على ممارسة نفوذهما؟".

وقد يدفع التفهم الأوروبي لضرورة بقاء واشنطن في سوريا بترامب إلى مطالبة قادة الدول الأوروبية بإرسال قوة عسكرية لإنشاء منطقة عازلة شمالي سوريا، وحماية قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، وفق ما ألمح إلى ذلك السيناتور الجمهوري ليندسي غراهام.

ومن الواضح أن التراجع الأميركي عن فكرة الانسحاب التام وترك مصير الأكراد للمجهول قد أربك حسابات المسؤولين الأتراك بين موقف أردوغان الذي بدأ يميل إلى التسليم الكامل بالأمر الواقع للرئيس الروسي فلاديمير بوتين لإنقاذه من الورطة، وبين موقف وزير دفاعه خلوصي أكار الذي يتمسك بأن تركيا وحدها من يجب أن تدير المنطقة الآمنة المزعومة شمال سوريا.

ووسع الرئيس التركي قائمة تنازلاته لفائدة بوتين إلى حدّ القبول بعمليات مشتركة ضد المتشددين في إدلب، وهي أهم ورقة كان أردوغان يلاعب بها الروس بهدف تحسين شروط تفاوضه بالنسبة إلى المنطقة الآمنة.

واستبق أردوغان هذا التنازل بخطوات أخرى من بينها القبول بفتح قنوات التواصل مع نظام الرئيس السوري بشار الأسد، والسكوت عن اشتراط بوتين التنسيق مع الأسد قبل أي خطوة تتعلق بالمنطقة الآمنة. كما تمسك أردوغان، السبت، بأن بلاده لن تتخلى عن عقد أبرمته مع روسيا لشراء صواريخ "أس – 400"، متحديا مآخذ واشنطن والعواصم الأوروبية الكبرى على هذه الصفقة مقابل أن يقبل الرئيس الروسي بحل سوري يحفظ ماء الوجه لنظيره التركي.

ودفعت الخطوة التركية المستفزة لأميركا بنس إلى توجيه انتقادات إلى أنقرة دون أن يذكرها بالاسم. وقال "لن نقف متفرجين عندما يقوم شركاء في الحلف بشراء أسلحة من أعدائنا".

وبالتوازي، تلوّح أنقرة باستخدام ورقة اللاجئين من جديد للضغط على دول الاتحاد الأوروبي، ردا على الموقف الأوروبي والأميركي المتحفظ على إقامة المنطقة الآمنة.

وقالت صحيفة يني شفق إن أنقرة تدرس فتح حدود البلاد للسماح للاجئين السوريين بالسفر إلى أوروبا مع معارضة الاتحاد الأوروبي لخطة أنقرة لإقامة المنطقة الآمنة.

مؤتمر وارسو امتحان آخر لواشنطن

خيرالله خيرالله

» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

تونس تستجيب لضغوط دولية تطالب بتسريع عودة الجهاديين

لجنة مكافحة الإرهاب: مستعدون لاستقبال المجموعات الإرهابية

استجابت الحكومة التونسية لضغوط دولية تطالب بتسريع عودة الجهاديين إلى بلدانهم الأصلية، حيث استلمت الجمعة أربعة إرهابيين كانوا ينشطون في سوريا وصادرة بحقهم بطاقات جلب من القضاء. ورغم إقرار السلطات بجاهزيتها لتنظيم هذه العودة وإيجاد آلية مناسبة للتعامل مع العائدين من بؤر التوتر، إلا أن طيفا سياسيا وشعبيا واسعا يحذّر من هذه الخطوة لما تحمله من مخاطر أمنية في وقت مازالت فيه حالة الطوارئ سارية في البلاد.

❑ **تونس** – قال رئيس اللجنة الوطنية لمكافحة الإرهاب في تونس، إن الدولة "مهيّأة" لاستقبال المجموعات الإرهابية العائدة من مناطق النزاعات أو التي جرى ترحيلها إلى تونس.

وأوضح المختار بن نصر، العميد المتقاعد بالجيش التونسي ورئيس اللجنة أن الدولة، بما في ذلك جهاز القضاء، اتخذت كل الاحتياطات اللازمة بالشراكة مع منظمة الأمم المتحدة حتى لا يشكلوا (العناصر الإرهابية) خطرا على الأمن الوطني وعلى المساجين أيضا.

ويأتي تصريح بن نصر إثر الإعلان في وقت سابق الجمعة عن استلام تونس لأربع عناصر إرهابية بالتنسيق مع السلطات السورية. وكان المتحدث باسم القطب (الجهاز) القضائي لمكافحة الإرهاب سفيان السليطي أفاد لوكالة الأنباء الألمانية بأن "العناصر الإرهابية الأربعة صادرة بحقهم محاضر تفتيش وبطاقات جلب وتتعلق بهم قضايا إرهابية. كما أنهم تلقوا تدريبات والتحقوا بتنظيم داعش المتطرف".

وبحسب المتحدث، فقد التحق المتشددون بسوريا بين عامي 2013 و2015. وأحيل اثنان من الموقوفين إلى وحدة مكافحة الإرهاب بالقرجاني في العاصمة، فيما أحيل الاثنان الآخران إلى الحرس الوطني.

> التونسيون يرفضون عودة الإرهابيون، كما أن أجهزة الدولة مازالت غير مستعدة لذلك فالسجون غير مهيأة، والإرهابيين العائدون سيكونون خطرا حقيقيا على بقية المساجين في ظل وجود مخاوف حقيقية لاستقطابهم

وقال رئيس لجنة مكافحة الإرهاب (حكومية) لإذاعة محلية خاصة إن "تونس استقبلت دفعات من الإرهابيين العائدين ويبلغ عددهم حوالي ألف إرهابي، وقد أصدر القضاء حكمه ضدهم". وتابع أن "الإدارة العامة للسجون والإصلاح اتخذت في شأن هذه العناصر الخطيرة الإجراءات الخصوصية وتم تخصيص قاعات وزنزانات خاصة بهم حتى لا يختلطوا بسجناء الحق العام".

الشارع التونسي يرفض عودة الإرهابيين

وعودة المقاتلين من الخارج مصدر خلاف بين الأحزاب في تونس، حيث يرفض طيف سياسي وشعبي واسع عودة الإرهابيين لما يمثله هؤلاء من تهديد لأمن البلاد، كما يشككون في جاهزية الحكومة للتعامل مع العائدين من بؤر التوتر.

وأكد الطيب المدني، النائب عن حزب نداء تونس "للعرب" رفضه لعودة الإرهابيين إلى تونس. واعتبر أن أجهزة الدولة مازالت غير مستعدة لذلك. وأضاف أن "السجون غير مهيأة كما أن طاقة الاستيعاب لا تسمح، وأن الإرهابيين العائدين سيكونون خطرا حقيقيا على بقية المساجين خاصة في ظل وجود مخاوف حقيقية لاستقطابهم."

ويقول متابعون إن الحكومة التونسية مجبرة على استقبال جهاديين تونسيين نتيجة ضغوط خارجية ومستجدات ملفات الشرق الأوسط خاصة بعد إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن قرار سحب قوات بلاده من سوريا.

ودفع الإعلان المفاجئ للرئيس ترامب في ديسمبر الماضي عن سحب قوات بلاده من سوريا، إلى بدء العد العكسي للحكومات التي لديها جهاديين لإيجاد طريقة لنقلهم إلى بلدانهم.

ورغم أن واشنطن تؤكد استعداداها لمساعدة الدول التي تريد إعادة الجهاديين المعتقلين من مواطنيها مع عائلاتهم من سوريا إلى بلدانهم، إلا أنها تشدد في الوقت نفسه على ضرورة إتمام الأمر بشكل سريع.

وأقر المدني بممارسة المجتمع الدولي ضغوطا على تونس لاستقبال جهاديين ممن يحملون الهوية التونسية. واعتبر أن هذه الضغوط يفرضها القانون الدولي الذي يطالب بعودة الجهاديين إلى بلدانهم الأصلية.

ويرى المتابعون أن دستور 2014 يلزم البلاد باستقبال الجهاديين بما أنهم رعايا تونسيون. وتقول السلطات إن الدستور يمنع حرمان أي مواطن من العودة إلى بلاده أو تجريده من جنسيته. كما أن الأمم المتحدة حثت تونس ودولا أخرى على استعادة مقاتليها من مناطق النزاع لمقاضاتهم وإعادة إدماجهم.

وفيما يستبعد خالد عبيد المحلل السياسي لـ"العرب" رضوخ الحكومة لضغوط دولية بما أن تونس ملزمة وفق الدستور بعدم منع أي تونسي مهما كان من الدخول إلى أراضيها، إلا أنه طرح تساؤلا عن كيفية التعامل الحكومي مع الجهاديين العائدين خاصة وأن استراتيجيتها في هذا الملف مازلت غير واضحة.

وأضاف بقوله "هذا الأمر يتوقف على وجود إرادة سياسية قادرة على ترجمة هذا الرفض الشعبي لعودة هؤلاء من خلال محاكمتهم والتعاطي معهم قضائيا". ويشير عبيد إلى أن عودة الجهاديين باتت أمرا محسوما منذ القرار الأميركي، وهو ملف لا يؤرق تونس فقط بل كذلك الدول الأوروبية.

والعديد من الدول التي كانت اختارت إبقاء الجهاديين من مواطنيها في سجون قوات سوريا الديمقراطية مثل فرنسا مثلا، باتت اليوم تواجه معضلة لها تشعّبات دبلوماسية وقانونية ولوجيستية وسياسية. إذ كيف يمكن نقل جهاديين محتجزين في منطقة حرب لدى قوات تسيطر على أراض وليست لها صفة دولة، مع العلم أيضا أن الرأي العام الفرنسي لا يرحب كثيرا بعودة هؤلاء ولم ينس بعد سلسلة الهجمات الجهادية التي ضربت مناطق عدة من البلاد خلال السنوات القليلة الماضية.

ورغم الصعوبات، وبسبب القرار الأميركي الضاغط، يبدو أن بعض الدول، وبينها تونس وفرنسا، قررت نقل مواطنيها من الجهاديين إلى أراضيها.

وحذر ناجي جلول، رئيس المعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية في تصريح لإذاعة محلية خاصة الجمعة، من "مخاطر عودة العمليات الإرهابية". وقال إن "الحكومة وبقية المكونات السياسية منشغلة بالانتخابات وهي فترة يمكن أن تستغلها الجماعات الإرهابية في نشاطها، داعيا إلى تجفيف منابع الأموال المتأتية من التهريب والمرتبط بالإرهاب".

وتجري في تونس ملاحقة العائدين ممن قاتلوا في صفوف الجماعات المتشددة عبر قانون مكافحة الإرهاب وغسيل الأموال الذي صدر في العام 2015.

تونس تجدد مطالبة ليبيا بتسريع الإفراج عن مواطنيها المختطفين

❑ **تونس** – جددت تونس مطالبة حكومة الوفاق الوطني الليبية بـ"العمل على الإفراج سريعا" عن 14 من مواطنيها جرى اختطافهم على مشارف مدينة الزاوية الليبية، الخميس الماضي، من قبل عناصر مسلحة.

وأكد وزير الشؤون الخارجية التونسي خميس الجهيناوي، خلال لقائه بنظيره الليبي محمد الطاهر سيالة، السبت في ميونخ، على ضرورة التسريع بالإفراج عن المواطنين التونسيين الذين تعرضوا للاختطاف الخميس على مشارف مدينة الزاوية الليبية على بعد 50 كلم إلى الغرب من طرابلس.

وأفاد بيان لوزارة الشؤون الخارجية، أن وزير الخارجية الليبي قد أكد من جانبه خلال اللقاء الذي انعقد على هامش الدورة الـ55 لمؤتمر ميونخ للأمن، متابعة حكومة بلاده لحادثة الاختطاف وحرصها على تأمين سلامة المختطفين، مستعرضا الجهود التي تبذلها السلطات الليبية لإنهاء عملية احتجازهم، بحسب إذاعة محلية خاصة.

وشدد سيالة على مواصلة دعم التنسيق بين الجانبين التونسي والليبي بخصوص مستجدات هذا الموضوع. ومثل اللقاء أيضا مناسبة تطرق خلالها الوزيران إلى آخر تطورات المسار السياسي في ليبيا بالإضافة إلى الاستحقاقات الثنائية القادمة ومنها بالخصوص اجتماع اللجنة العليا المشتركة التونسية الليبية المزمع عقده خلال الفترة القادمة في تونس.

وأكدت وزارة الخارجية التونسية كذلك أن "القنصلية العامة التونسية بطرابلس تواصل اتصالاتها مع الجهات الليبية المختصة لإنهاء هذه الأزمة دون تأخير".

وكانت وسائل إعلام محلية تونسية نشرت، مساء الجمعة، أنباءً تفيد بأن جماعة ليبية مسلحة في الزاوية اختطفت، الخميس، 14 عاملا تونسيا، بينهم 12 يعملون في مصفاة نفط، عندما كانوا في طريقهم إلى مقر عملهم.

وأفادت المصادر ذاتها بأن الجماعة المسلحة احتجزت العمال في مكان مجهول، ردا على قرار توقيف مواطن ليبي في تونس صادرة بحقه أحكام بالسجن. ولم تعلن الجهة الخاطفة عن هويتها، لكنها اشترطت إطلاق سراح المواطن الليبي الموقوف في تونس، للإفراج عن العمال، حسب الإعلام التونسي. وتم إنشاء خلية أزمة في مدينة الزاوية "لضمان سلامة التونسيين المخطوفين والإفراج عنهم من دون شروط".

رهان جزائري على حراك شعبي لحسم مصير الاستحقاق الرئاسي

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – تتجه حالة الاستقطاب السياسي في الجزائر بين السلطة والمعارضة حول الانتخابات الرئاسية القادمة، إلى الخروج من أيدي القوى السياسية والناشطين في الحقل السياسي، إلى ساحة الشارع الجزائري، في ظل حالة إفلاس غير معلنة لدى الطرفين، فلا السلطة بإمكانها إقناع الرأي العام بخيار الولاية الخامسة، ولا المعارضة استطاعت تقديم البديل الناجع.

وأقر الحقوقي والناشط السياسي مصطفى بوشاشي، بأن الطبقة السياسية في الجزائر والمعارضة على وجه التحديد، باتت ملزمة بتقفي نبض الشارع الجزائري، قبل أن تصير على الهامش، فإنتاج المواقف وردود الفعل لم يعد بنفس السرعة المفترضة، وقد تجد النخب السياسية نفسها مفعولا بها وليست فاعلا أو مؤثرا في مجريات الأحداث.

ورغم الجدل الصاخب في البلاد حول الاستحقاق الرئاسي المقرر في أبريل القادم، تستمر حالة الغموض والخوف على مستقبل البلاد، أمام هشاشة البدائل والخيارات المطروحة على الجزائريين، فإن لم تقتنع أذرع السلطة بترشيحها للرئيس بوتفليقة مجددا، فإن المعارضة هي الأخرى دخلت بشكل فوضوي، الأمر الذي يعصف بمواقعها ومصداقيتها.

وفيما انطلقت المسيرات والمظاهرات الرافضة للعهدة الخامسة، والمنددة بالمحيط السياسي والمالي، فإن فريق الموالاة لا يزال في أزمة تمرير مشروعه، كما بقيت المعارضة تتناكف في ما بينها، حول كيفية التعاطي مع الاستحقاق القادم.

وتحولت حالة الذهول والغضب اللافتة في شبكات التواصل الاجتماعي، إلى ممارسات ميدانية في شكل احتجاجات ومسيرات رافضة للعهدة الخامسة، ومستنكرة لدور الموالاة في القفز على إرادة الجزائريين وفرض رأيها بالقوة على الجميع، ففي مدن جزائرية مختلفة، انتفض الشارع للتعبير على موقفه، ولم ينتظر ما سيستقر عليه هذا الطرف أو ذاك.

ويبدو أن المأزق الداخلي الذي تتخبط فيه البلاد قبل شهرين من الانتخابات الرئاسية، لا يمكن أن يعالج إلا بهبة شعبية تحسم في مصير الاستحقاق ومصير البلاد، ويعترف الجميع أن القطيعة المترسبة بين الشارع والطبقة السياسية، وصلت إلى حقيقة الجهل بما يفكر فيه الشارع الجزائري، والعجز عن استشراف رد فعله.

ويراهن الجميع في السلطة والمعارضة، على أن الحسم الشعبي هو الذي سينهي حالة الاستقطاب، فأحزاب السلطة تعتقد أن خيار الولاية الخامسة هو صوت شعبي، أما المعارضة فهي منقسمة بين مرشحين يتطلعون إلى زحف شعبي يوصلهم إلى قصر الرئاسة، بينما يأمل مقاطعون لهذه الانتخابات في فضيحة تطال الاستحقاق القادم.

ترشح بوتفليقة يقسم الجزائريين

وتبقى أعرق مراكز ومدارس الإحصائيات وسبر الآراء، مشدوهة أمام الحالة الجزائرية، نظرا لصعوبة استنتاج موقف معين أو استنتاج إحصاء سياسي، كما جرت عليه العادة حتى في الديمقراطيات المبتدئة، وباستثناء المنخرطين والمستفيدين من الوضع القائم، فإن ملايين الجزائريين يبقون خارج التوقعات وخارج دائرة الاستشراف السياسي.

ويرى في هذا الشأن، الأكاديمي والضابط السابق في جهاز الاستخبارات شفيق مصباح، بأن تقاليد الاستحقاقات الانتخابية في الجزائر، أفضت إلى مجتمعين اثنين، واحد افتراضي والآخر حقيقي، فالأول هو الأقلية المشكّلة من الفئات المستفيدة من الوضع القائم وأصحاب المصالح الضيقة، الذين يتفاعلون مع المواعيد السياسية، وأما الثاني فهو الأغلبية التي فقدت الأمل في جدوى الانتخابات، وتعبر عن موقفها بطريقتها الخاصة، وهو ما يعرف بالأغلبية الصامتة.

وتعد الدعوات غير المسبوقة في شبكات التواصل الاجتماعي، التي تحض قوات الأمن والجيش على عدم الاصطدام مع الشعب أو الانخراط في القمع والدفاع عن السلطة، مؤشرات على اختراق حواجز نفسية وهي تصعيد في خطاب غير مألوف، يمهد الطريق لتغيير شعبي بطرق سلمية، لا مجال فيها للتخريب أو العنف.

ويتطلع المراقبون والمتابعون للشأن الجزائري، إلى ما ستفضي إليه الدعوات الواسعة على شبكات التواصل الاجتماعي، للخروج إلى الشارع في الـ22 من الشهر الجاري، للتظاهر ضد العهدة الخامسة، والتنديد بمخطط الموالاة للاستيلاء على السلطة، باسم رئيس غائب عن المشهد حتى في ذروة الحراك الرئاسي.

> الدعوات غير المسبوقة في شبكات التواصل الاجتماعي، التي تحض قوات الأمن والجيش على عدم الاصطدام مع الشعب، مؤشرات على اختراق حواجز نفسية وتصعيد في الخطاب، يمهد الطريق لتغيير شعبي سلمي

وتتصدر الطبقة السياسية نبض الشارع وتطورات الوضع خلال الأيام المقبلة لبلورة مواقفها، حيث لا يزال حزب طلائع الحريات مترددا بشأن ترشيح علي بن فليس، فضلا عن حزب العمال اليساري، المتردد هو الآخر في مسألة ترشيح لويزة حنون، في حين يبقى الغموض يلف مبادرة رئيس فصيل إخواني للملمة شتات المعارضة.

وإن ربطت مصادر مسؤولة، المسألة بالتدابير والنقاش الداخلي، فإن الغموض القائم والخوف من المرور في الهامش، يلقي بظلاله على مواقف الكثير من المرشحين والأحزاب السياسية، بسبب العجز عن مواكبة حراك الشارع، حيث لم يعد بمقدور الفاعلين في المشهد المحلي توقع ما سيقرره الشعب في ما يتعلق بمصير الانتخابات القادمة.

تواجد الإرهاب في المناطق الشعبية يؤرق الأمن المصري

التوجه نحو سن تشريع يتصدى لاستغلال المتطرفين للعقارات المؤجرة

تجدّدت الاشتباكات المسلحة بين الجيش المصري وعناصر إرهابية السبت. ورغم ما أحرزته قوات الأمن المصرية من تقدم في مواجهتها لعناصر تنظيم الدولة الإسلامية المتواجدة في شمال سيناء، إلا أن تحرّك الجماعات المتطرفة في المناطق الشعبية يشكل معضلة جديدة أمامها، حيث تستغل هذه الجماعات الوحدات السكنية المؤجرة في التجهيز لعملياتها.

محمود زكي

❏ **القاهرة** – أعلن الجيش المصري السبت، تعرض أحد المراكز الأمنية في شمال سيناء إلى حادث إرهابي أسفر عن مقتل 7 إرهابيين ومصرع ضابط في تبادل لإطلاق النار.

وجاء حادث سيناء بعد يوم واحد على تفكيك قوات الأمن لعبوة ناسفة استهدفت قوة أمنية في ميدان محافظة الجيزة، المجاورة للقاهرة، وأسفرت عن إصابة اثنين من عناصر الشرطة، ما يشير إلى أن العناصر الإرهابية قادرة على مواصلة عملياتها، وإن كانت بشكل عشوائي.

وتواجه قوات الأمن مشكلات معقدة في التعامل مع العمليات الإرهابية الصغيرة والعشوائية التي تقع في توقيتات وأماكن متفرقة. ورغم الصعوبات إلا أنها استطاعت أن تتعامل مع غالبية القيادات المركزية للتنظيمات المتطرفة وبقيت العناصر غير المسجلة أمنيا، والتي تتحرك في أوساط المدنيين، عصية على النفاذ إليها.

وأكد التضييق الأمني الذي طبقته قوات الأمن على الإرهابيين في سيناء، تحرك عناصر متشددة داخل المناطق الشعبية أو الموجودة في مناطق متطرفة، وهو ما نتج عنه وقوع بعض الحوادث الإرهابية التي لم تصب أهدافها بدقة.

> العديد من العناصر المتطرفة تدفع بالنساء إلى تأجير الوحدات السكنية حتى تكون مخبأ لها أثناء التجهيز لعملياتها الإرهابية

وبدأت وزارة الداخلية المصرية في خطة للتحرك بحثا عن وسائل تمكنها من بناء قاعدة بيانات جديدة للعناصر المتورطة حديثا في عمليات إرهابية. ونظمت مؤخرا نقاشا شارك فيه عدد من خبراء الأمن وأعضاء مجلس النواب وخبراء في قضايا المجتمع، وانتهى اللقاء إلى ضرورة تحسين علاقة الشرطة بالمواطنين وتوعيتهم بأهمية التعاون مع قوات الأمن، والاتفاق على سن تشريع جديد يواجه استغلال العقارات المؤجرة في التجهيز للعمليات الإرهابية.

الإرهاب يخترق الأماكن الشعبية

وأقرت قيادات أمنية خلال هذا النقاش، الذي جاء بعنوان "الشعب والشرطة في صناعة الأمن نحو مجتمع لا يأوي الإرهاب والجريمة"، بأن هناك شخصيات تقدم الدعم اللوجيستي للعناصر الإرهابية قبل الانطلاق لتنفيذ عملياتها، وقد يكون بشكل مخطط أو عشوائي، أو لوجود قصور تشريعي وإداري يدفعها إلى الاختباء والتجهيز لعملياتها داخل عقارات غير مسجلة.

وتقدم النائب عمرو أبواليزيد بمشروع قانون يشدد العقوبات على أصحاب الوحدات غير الملتزمين بإبلاغ أقسام الشرطة عند إبرامهم عقود إيجار دائمة أو مؤقتة، لتصل إلى الحبس ثلاث سنوات وغرامة تصل إلى 10 آلاف جنيه (600 دولار تقريبا) بعد أن كانت 500 جنيه فقط (30 دولارا) في القانون الحالي.

ويأتي تحرك البرلمان كأحد الحلول المقترحة للتعامل مع مشكلات الإرهاب الذي وجد بيئة خصبة للتحرك بين المواطنين، وهو ما عبّرت عنه إحصائيات صادرة عن وزارة الداخلية المصرية، مطلع العام الجاري.

وأشارت الإحصائيات إلى أن 85 بالمئة من جرائم الإرهاب التي وقعت منذ ثورة 30 يونيو 2013، تتخذ من الوحدات السكنية المؤجرة بصفة مؤقتة نقطة انطلاق لارتكاب أعمال تخريبية لصعوبة تتبعها (المجموعات الإرهابية) خلال التنقل.

وكشف إحصاء صادر عن المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية (متخصص في الأبحاث الأمنية)، عن وجود 6 آلاف وحدة سكنية جرى استخدامها في أعمال الإرهاب والتخريب خلال العام الماضي، نصفها مؤجر بصفة مؤقتة وغير مسجل بأوراق رسمية.

وقال العميد خالد عكاشة، عضو المجلس القومي لمكافحة الإرهاب، إن العديد من العناصر المتطرفة تدفع بالنساء لتأجير الوحدات السكنية، على أن تكون مخبأ آمنا لهذه العناصر أثناء التجهيز للعمليات الإرهابية، وتختار أماكن قريبة من الهدف المرصود حتى يسهل عليها تصنيع القنبلة ووضعها من دون المرور على النقاط الأمنية في الطرق الرئيسية.

وأضاف في تصريحات لـ"العرب"، أن "العناصر الإرهابية تعتمد على الوحدات غير المسجلة على أنظمة إلكترونية، وتتنقل من مكان إلى آخر لضمان عدم ترصدها أو الإبلاغ عنها، مما يتطلب توفير قاعدة بيانات من الأحياء عن العقارات المؤجرة والمغلقة وتسهيل مهمة رجال الشرطة".

وتشير إحصائيات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء (حكومي)، إلى أن مصر بها أكثر من 7 ملايين وحدة سكنية مغلقة، والملايين من الوحدات مؤجرة من دون إحصاء رسمي. وكشفت وزارة الداخلية المصرية أنها فحصت 310 آلاف وحدة مستأجرة من بينها 3 آلاف ليس لديها بيانات أو معلومات عنها.

وداهمت قوات الأمن إحدى البنايات بمحافظة أسيوط (جنوب) مؤخرا، وتبين أنه جرى استغلالها لتكون مخزن متفجرات وأسلحة للعناصر الإرهابية، كما كشفت عن وحدة سكنية استخدمها إرهابيون في تصنيع المتفجرات بمنطقة العجوزة (أحد الأحياء الراقية بالقاهرة)، وضبطت أيضا وحدة سكنية مؤجرة بمنطقة 6 أكتوبر (جنوب غرب القاهرة) لتخزين أدوات تصنيع المتفجرات.

قوات سوريا الديمقراطية على وشك هزيمة داعش في شرق سوريا

رودي سعيد

❏ **الباغوز (سوريا)** – قال قيادي في قوات سوريا الديمقراطية السبت إن القوات ستنتزع السيطرة على آخر جيب لتنظيم الدولة الإسلامية في شرق سوريا "في وقت قصير جدا".

وإذا تحقق الانتصار فسيدفع هذا بالتنظيم إلى هزيمة كاملة على الأرض بعد أن أعلن دولة "خلافة" على مساحات شاسعة عبر سوريا والعراق.

وقال جيا فرات قائد قوات سوريا الديمقراطية في دير الزور للصحافيين إن القوات المدعومة من الولايات المتحدة تحاصر متشددي التنظيم من جميع الجهات في حي صغير بقرية الباغوز.

وحاربت قوات سوريا الديمقراطية التي يقودها الأكراد وتدعمها ضربات جوية أميركية تنظيم الدولة الإسلامية في جيب الباغوز الذي يقع شرقي نهر الفرات قرب الحدود العراقية.

ويقول مسؤولون من قوات سوريا الديمقراطية إن متشددين أغلبهم من الأجانب يبدون مقاومة أخيرة في الباغوز. وخرج الآلاف من المدنيين فرارا من العنف خلال الأسبوع الماضي.

وقال فرات إن المتشددين لا يسيطرون حاليا إلا على نحو 700 متر مربع فقط لكن مقاتلي قوات سوريا الديمقراطية يتحركون بحذر لوجود مدنيين ورهائن يحتجزهم تنظيم الدولة الإسلامية.

وأضاف أن القرية "تحت مرمى (نيران) قواتنا... لكن الآلاف من المدنيين ما زالوا هناك محتجزين كدروع بشرية لذلك نتحرك بحذر... في الأيام القليلة القادمة في وقت قصير جدا سنبث البشرى إلى العالم بنهاية الوجود العسكري لتنظيم داعش الإرهابي".

لكنه أضاف أن قوات سوريا الديمقراطية ستنتقل قريبا للمرحلة المقبلة وهي "ملاحقة الخلايا النائمة وفلول داعش المنتشرين في كل المناطق لتأمين المنطقة".

وقال مصطفى بالي، وهو متحدث باسم قوات سوريا الديمقراطية، لرويترز إن القوات أمسكت بعدد من المتشددين حاولوا الفرار وسط المدنيين فيما سلم آخرون أنفسهم.

وأضاف أن قوات سوريا الديمقراطية تعتقد أن بضعة مئات من المتشددين ربما ما زالوا متحصنين في الجيب.

وقال المرصد السوري لحقوق الإنسان في وقت سابق إن قوات سوريا الديمقراطية سيطرت على جيب الباغوز بعد استسلام المتشددين الذين كانوا في المنطقة وهو ما نفاه مسؤولون في قوات سوريا الديمقراطية.

تلاعب وتزوير في قوائم الناخبين في الانتخابات المحلية في تركيا

هيئة الانتخابات تشطب نحو 90 ألف ناخب مسجل ببيانات مزيّفة

❏ **إسطنبول** – كشفت هيئة الانتخابات التركية عن إدخال بيانات مزيفة، ما وصف بأنه تلاعب في قوائم الناخبين للانتخابات المحلية المزمع إجراؤها في نهاية مارس المقبل، وذلك في محاولة لتهدئة مخاوف الأحزاب التركية وتخفيف حدة الانتقادات جراء تزوير القوائم من قبل حزب العدالة والتنمية الحاكم.

وذكرت هيئة الانتخابات التركية، السبت، أنها شطبت حتى الآن أكثر من 91 ألف ناخب من السجلات بسبب إدخال بيانات مزيفة، وسط تكهنات ترددت مؤخرا عن تلاعب في قوائم الناخبين قبل الانتخابات المحلية المرتقبة.

ونقلت وكالة الأناضول للأنباء التركية عن سعدي غوفين، رئيس المجلس الأعلى للانتخابات، قوله في أنقرة إن الهيئة وجدت 91093 ناخبا مسجلا في عناوين لم يعودوا يقيمون فيها.

في المقابل كان هناك 736 ناخبا فقط من مثل هذه الحالات في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في يونيو، بحسب بيانات المجلس الأعلى للانتخابات. وقال غوفين إن أكثر من 57 مليون تركي مؤهلون للتصويت في 31 مارس.

وأشارت المعارضة التركية في يناير الماضي إلى هذه المخالفات، حيث تحدثت عن زيادات غير طبيعية في أعداد الناخبين في مدن بعينها مقارنة بانتخابات يونيو. وهو ما نفاه المجلس الأعلى للانتخابات. ومن المتوقع أن تكون انتخابات مارس سباقا محتدما فيما يكافح الرئيس رجب طيب أردوغان للحفاظ على شعبيته وسط مشاكل اقتصادية.

واشتكى حزب الشعوب الديمقراطي المؤيد للأكراد في تركيا الخميس، من الصعوبات التي تواجهه قبل الانتخابات المحلية في أواخر مارس المقبل. واتّهم حزب الشعوب الحكومة بتزوير قوائم الانتخابات، وقال أحد مسؤوليه إن الناخبين الأشباح يظهرون مرة أخرى في سجلات الانتخابات المحلية، ما يعكس مخاوف من تزوير محتمل على نطاق واسع.

وقالت الرئيسة المشاركة للحزب بروين بولدان، أمام الصحافيين في إسطنبول، إنها حملة انتخابية غير متكافئة. وقال سيزاي تمللي، الرئيس المشارك للحزب، إن حوالي 7 آلاف من أنصار الحزب وأعضائه في السجن وحوالي ألفين بالمنفى.

وأضاف تمللي أن ما يطلق عليهم تسمية الناخبين الأشباح يظهرون مرة أخرى في سجلات الانتخابات. وأشار إلى أن هناك أيضا عشرات الآلاف من الشكاوى حول الحالات التي جرى فيها انتهاك قانون الانتخابات. وكان رئيس اللجنة الانتخابية سعدي غوفين قد رفض بالفعل المزاعم بوجود مخالفات.

ويواجه حزب العدالة والتنمية الذي يقوده أردوغان، بعد 18 عاما في الحكم وفي إثر انحسار طفرة الاقتصاد وتصاعد أزمته، احتمال أن يخسر السيطرة على مجالس بعض المدن الكبيرة في الانتخابات البلدية المرتقبة.

وقال مصدران في الحزب لرويترز إن اثنين من استطلاعاته الداخلية أظهرا أن التأييد الشعبي تراجع إلى ما بين 32 و35 بالمئة قبل حساب نسبة الثلاثين بالمئة من الناخبين الذين لم يحسموا إلى الآن لمن سيصوتون.

> الناخبون الأشباح يظهرون في سجلات الانتخابات المحلية، حيث وجدت هيئة الانتخابات 91093 ناخبا مسجلا في عناوين لم يعودوا يقيمون فيها، ما يعكس مخاوف من تزوير محتمل

وفي الانتخابات البلدية التي أجريت عام 2014 حصل حزب العدالة والتنمية على 43 بالمئة من الأصوات متقدما بفارق كبير على أقرب منافس له وهو حزب الشعب الجمهوري العلماني الذي حصل على أقل من 25 بالمئة من الأصوات.

وقال المصدران إن من الممكن الآن أن يخسر حزب العدالة والتنمية العاصمة أنقرة كما يواجه منافسة شرسة في إسطنبول.

ومؤخرا أعلن الرئيس التركي عن ترشيح بن علي يلدريم لمنصب عمدة إسطنبول، في مسعى لإبقاء أكبر المدن التركية في يد الحزب بعد انتخابات 2019، وهو ما استدعى استنكار المعارضة بشدة، والتي رأت الأمر غير قانوني لترشيح رئيس البرلمان الحالي في الانتخابات البلدية.

ويشير مراقبون للشؤون التركية إلى أن هناك مساعي حثيثة من طرف حزب العدالة والتنمية الحاكم باتجاه تعبئة أمنية لترويع الناخبين وصرف أنظارهم عن التحديات الحقيقية التي تواجه الشعب التركي من جهة، ودفعهم لاختيار ممثليه لحكم الولايات والبلدات من خلال افتراض فوزه في الانتخابات البلدية المقبلة من جهة ثانية.

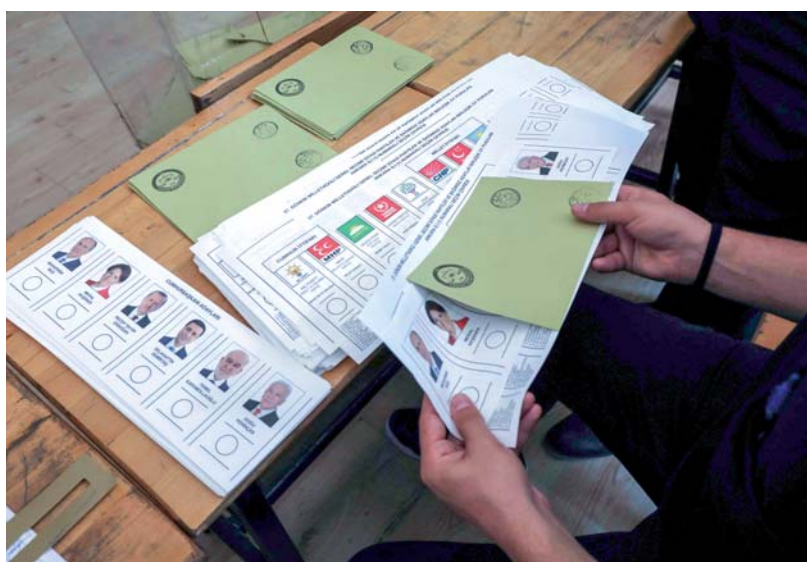

مخاوف من التزوير

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

عن نقد المملكة العربية السعودية خارج السياق

إيمان الزيات
كاتبة تونسية

❏ من الغريب أنّنا مازلنا نتعمّد التّعليق على التطوّرات الاجتماعية والاقتصادية في دولة ما ونناقش سياساتها خارج السّياق، إن كان ذلك سياقا تاريخيّا، مجتمعيّا أو سياسيّا. وتفشت هذه الظاهرة لسببين: أوّلا، سهولة التّعليق، وفي بعض الأحيان سهولة توجيه النّقد اللاذع دون اعتبار التفاصيل التاريخية والمجتمعية والسياسية التّي يتطلب تجميعها اجتهادا وبحثا وتدقيقا. وثانيا، الرّغبة في المغالطة لخدمة الأجندة أو المصلحة التّي يتبنّاها الصحافي أو المحلّل بغضّ النّظر عن منطق الأحداث وواقع الأمور.

بالتمعّن في ما نشر في السنوات الأربع الأخيرة من دراسات ومقالات سياسيّة من داخل العالم العربيّ وخارجه، سنلحظ اهتماما وتركيزا شبه مكثف على المملكة العربيّة السعوديّة وسياساتها. وإن كان التركيز المكثّف في حدّ ذاته غير مسيء فإنّ هذه المقالات النقديّة تكون مربكة إن لم نقل خطيرة بسبب ضعف البحث، وعدم التطرّق للخصوصيّة التاريخيّة للمملكة وإسقاط الأحكام وتسييس القضايا الدينيّة والمجتمعيّة وغيرها من الممارسات التّي توجه القارئ نحو شكل من أشكال التطبيع مع المغالطة المقصودة.

ومن أهم السياقات التي يتعمّد النقّاد اليوم إسقاطها هي أنّ السعودية دولة متفرّدة في تاريخها ومراجعها الدينيّة والسياسيّة والتّي لا يمكن القفز فوقها مباشرة لإصدار أحكام تستند في غالبيّتها إلى قوانين تمّ إحداثها في نهاية القرن العشرين.

والسعودية، وإن شهدت تطوّرات هامّة منذ التأسيس الأوّل في سنة 1744 على يد محمّد بن سعود، وحتّى التأسيس الثالث في سنة 1875 على يد الملك عبدالعزيز آل سعود، تبقى راسخة في الوعي المحلي والإقليميّ والدولي حصرا على أنّها الأرض المقدّسة التّي شهدت ظهور الرسالة المحمديّة.

وهنا المشقّة الأولى التّي تواجهها الأسرة الحاكمة في السعودية اليوم. فبينما تطرح بقيّة الدّول تجاربها التّاريخيّة وتستعرض مختلف المراحل التّي مرّت بها لتنتقي منها ما يناسب العصر الحديث، تنحصر تجربة السعودية في حقبة تاريخية واحدة وهي الحقبة المحمّديّة، بما حوّل الأمر إلى اختزال متحامل على المستقبل والحاضر وما سبقهما.

عندما نتحدّث عن المشقّة، فنحن نحاول بذلك إنصاف التّجربة السعودية في تحقيق موازنة صعبة بين جزء من الماضي كان ولا يزال مؤثّرا وبين حاضر له متطلّباته وخصائصه. ولنقلها صراحة، القيادة السعوديّة اليوم تقع تحت ضغطين اثنين: ضغط الإرث الحضاريّ للمملكة وضغط القوانين المستحدثة والتي التفت حولها غالب الأمم والدّول بعد الحرب العالميّة الثانية. وهنا، لنا أن نرى أنّ النّقد سهل إذا تناسينا هذه المشقة وأصدرنا أحكامنا جزافا على السعودية وقادتها وكأنّنا بذلك نعزل تجربتها الحاليّة عن السّياق الفعلي والتاريخي للأحداث.

الإصلاح وقوى الدفع إلى الوراء

يعلّمنا التاريخ أن الحركات الإصلاحية لها أعداؤها ضرورة في الداخل وفي الخارج. ويعلّمنا التّاريخ أيضا أنّ الاهتمام والرّيبة يشتدّان متى كانت هناك إرادة فعليّة لمراجعة الأمور وتطويرها ولعلّ هذا ما نشهده اليوم بخصوص السعودية وبعد طرح رؤيتها لسنة 2030.

أعداء الإصلاح في الدّاخل أنواع بينهم من كانوا يتمتّعون بامتيازات في الماضي وفيهم من كانوا يتاجرون بأجندات الإصلاح في الخارج، وهناك أيضا الرجعيّون الذّين يرفضون أيّ إصلاح مبدئيّا ويتعلّقون بالقديم دون النّظر إلى المصلحة الوطنيّة للدّولة.

والتطوّرات في السعودية وإن عكست بوضوح شعبيّة المبادرة الإصلاحيّة والتفاف الشّباب حولها، فقد كشفت أيضا عددا من قوى الدّفع للوراء. فإثر انطلاق الحملة على الفساد في المملكة، انطلقت مباشرة حملات التّشكيك مصحوبة بحملات مماثلة للدّفاع عن بعض الموقوفين دون التمعّن أو حتّى الاطلاع على ملفاتهم. وكان من الواضح حينها أنّ الدّفاع الحقيقي لهؤلاء كان دفاعا على الامتيازات القديمة ورغبة في الحفاظ على بعض الفتات والعلاقات التّي كانوا يتمتّعون بها عن طريق معاملاتهم مع بعض الموقوفين.

لم يقف الأمر عند ذلك، فبعد الإعلان عن بعض الإصلاحات الاجتماعية تعالت الأصوات من ناحيتين لإدانتها والتّقليل من قيمتها وتأثيرها. فكان هناك معسكر الرجعيّة الذي استند في هجومه على نصوص قديمة وبعض الخرافات الشعبيّة لتكفير السلطة والدولة وحتى الشعب السعودي. وكان هناك أيضا معسكر "الحقوقيين" الذي استشعر خطر الإطاحة برؤوس أمواله في الأسواق الحقوقية الغربية ومضى يزايد وينتقد ويتباكى لأن السعودية لن تترك له ما يسمسر به في الندوات واللقاءات التي كانت ومازلت تنتظم هنا وهناك في العديد من العواصم الأجنبيّة.

تسييس ما لم يكن يوما سياسيا

ليكون الهجوم فعالا على المبادرات الإصلاحية التي تقدّمت بها السعودية في السنوات الأخيرة، تبنّت جميع الأطراف في الدّاخل والخارج استراتيجية تسييس الملفات التّي لم تكن يوما سياسية. وأكبر مثال على ذلك محاولات تسييس الحجّ والذّي تمّ تحويل وجهته من شعيرة دينيّة إلى ملف سياسي يقذف به فوق الطّاولة لإرباك السعودية وخلق مشاكل وهميّة وذلك بهدف الضّغط على توجّهات الدولة وقراراتها.

> عندما نتحدّث عن إيران فنحن نتحدّث عن ظاهرة توسّعية وعن نظام وظّف الميليشيات والدّين والعلاقات الاقتصادية وموارد الدولة كافة لتحقيق هيمنة إقليمية تسمح له بفرض مقاربته للاقتصاد والمجتمع والجماعات الدينية والأقليات وحتّى العلاقات الدولية على دول أخرى

في سنوات مضت، كانت إيران هي المتورّط الوحيد في تسييس الحجّ ولكنّها وجدت لها حلفاء بعد أن التحقت بها أطراف أخرى معادية لسياسات المملكة وعلى رأسها الميليشيات المدعومة من طهران في المنطقة وتنظيم الإخوان المسلمين والشقيقة قطر التّي لم تترك ملفا إلا وسيّسته.

التّسييس أيضا طال ملفات اجتماعية، فرأيناه في أوج السّجال الذّي صاحب قضيّة رهف القنون، الفتاة السعودية التي هربت من أسرتها للحصول على لجوء في دولة أخرى. وبالطّبع لم يتعامل أحد مع ملف رهف كملف اجتماعي حصرا. وبدل الحديث عن الفتاة وعن ظاهرة هروب الشباب والقصّر في السعودية وغيرها من دول العالم، أمعن بعض الصحافيين والمعلقين في انتقاد السعودية وقادتها وسياساتها وكأنّها الدولة الوحيدة التي تعاني من هروب الشّباب.

هؤلاء المعلّقون مثلا لم يتعرّضوا ولو بالصّدفة للآلاف من الشباب العرب الهاربين من دولهم في اتّجاه أوروبا وكندا وغيرهما بحثا عن فرص للعيش الكريم. بل ويبدو أنّ تلك الآلاف المؤلّفة صارت أمرا لا يعني الغرب المتباكي من ظاهرة الهجرة ولا الشرق الهارب من مسؤوليّاته في تحقيق العيش الكريم لشبابه.

قضيّة "القنون" تثير أيضا أكثر من سؤال قد يستفزّ شوفينيّة العالم المتقدّم والحقوقيّ بامتياز: ما سرّ هروب واحد من مجموع سبعة من شباب الولايات المتحدة ما بين سنّ 10 و18 سنة؟ ولمَ 75 بالمئة من هؤلاء الهاربين فتيات، وذلك بحسب دراسة نشرها موقع المؤتمر الوطني لسلطات الدولة في الولايات المتّحدة؟ أمّا عن عدد الهاربين من الأطفال والشّباب في كندا فالإحصائيات تشير إلى الآلاف. وتتعدّد الأسباب من العنف الأسري إلى الفقر والمشاكل النفسية التي يعاني منها الهاربون. وهذا لم يكن مطروحا البتّة عندما تعاملت السلطات الكندية مع قضية "القنون" التي أرادت من خلالها الزجّ بالسعودية في مزايدات سياسية بعد قرابة ستة أشهر من اندلاع أزمة دبلوماسية مع الرياض.

وأخيرا عن استراتيجية التسييس، يبقى الملف الحارق لمقتل الصحافي جمال خاشقجي متصدّرا لاهتمامات المسيّسين ومن يقف وراءهم. فبعد أن كانت الجريمة، ينظر إليها النّاس كملف يعود بالنظر إلى المحققين وأهل القضاء صارت لعبة بين أيدي الصحافيين والمسربين والمعلقين. والخوف كل الخوف هنا أن يضيع حق الرجل وأسرته تماما بعد أن أدخل المسيّسون قضيّة خاشقجي في متاهات الفبركة والإشاعة والأخبار الكاذبة.

ولا يفوت القارئ وغيره من المتابعين للأحداث أنّ القضيّة قد مُيّعت للأسف تحت وطأة التّسريب قطرة قطرة من طرف السلطات التركية وبعد أن تم توظيفها سياسيا لضرب علاقات المملكة ومهاجمة الخصوم وتسجيل نقاط سياسية ضد إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب.

المخاطر والتحديات الإقليمية

رغم سياسة السّكون والمسالمة طيلة حكم الملك عبدالله بن عبدالعزيز على مدى عشر سنوات، لم تنقطع بعض الدّول عن الأذى بل طوّرت قدراتها وإمكاناتها للإضرار بالمصالح السعوديّة وتهديد الاستقرار في أكثر من دولة عربية.

ومن الواضح أن المسالمة، كما يدعو لها البعض، لم تعد خيارا صائبا في التعامل مع الملفات الحارقة في المنطقة وعلى رأسها ملف إيران، تلك الدولة التي تمكنت خلال العشرية الماضية من بسط نفوذها في لبنان والعراق وركّزت لنفسها وسياساتها شوكات جديدة في سوريا واليمن. وإن استخف البعض بالخطر الإيراني فليراجعوا مشروع الملالي والجمهورية الإسلامية جيّدا. فنحن عندما نتحدّث عن إيران نتحدّث عن ظاهرة توسّعية وعن جمهورية وظّفت الميليشيات والدّين والعلاقات الاقتصادية وموارد الدولة كافة لتحقيق هيمنة إقليمية تسمح لها بفرض مقاربتها للاقتصاد والمجتمع والجماعات الدينية والأقليات وحتّى العلاقات الدولية على دول أخرى.

وإيران هي خطر تقليديّ تعامل معه العالم العربيّ منذ ثورة الخميني في 1979 وتعاملت معه السعودية بحذر وحنكة قبل أن تتوتّر الأمور بظهور مخاطر أخرى تتّفق مع المشروع الإيراني في تحجيم الدور السعودي بنفس الأساليب وبأساليب أخرى متطورة. ولعلّ أحداث ما يسمّى بالربيع العربي هي من وضعت المجهر فوق الخطر الذي تحرّكه أيادي تنظيم الإخوان المسلمين من خلف السّتار في تركيا وقطر وتونس وغيرها من الدول العربية.

التحديات التي تواجهها السعودية ليست إقليمية فقط وهذا طبيعي خاصة وأننا نعيش في ظل عالم يقفز فوق الحدود التقليدية لتنفتح الدولة على غيرها وتنكشف تجارب الحوكمة على بعضها.

والأزمة السياسية الحالية في واشنطن لها تداعياتها على النظام السعودي وعلى المملكة ككل. فنحن لا ننسى شعار الحملة الانتخابية للرئيس الأميركي والقائل بجعل "أميركا أولا". هذا الشعار تحديدا أثار حفيظة الليبراليين في الولايات المتحدة وأزّم علاقتهم مع الرئيس الأميركي خاصّة بعد عدد من القرارات التي اعتبروها تدميرا للنظام العالمي وتخلّيا عن الإرث الليبرالي.

من هذه القرارات، مثالا لا حصرا، الانسحاب من اتفاق الشراكة الاقتصادية الاستراتيجية عبر المحيط الهادئ، التخلّي عن اتّفاق باريس العالمي للحدّ من تغيّر المناخ والتخلّي عن الاتفاق النووي مع إيران وغيرها من القرارات التّي كانت مستفزّة لليبراليين ولخصوم ترامب السياسيين.

هنا تأتي السعودية، الحليف الاستراتيجي لواشنطن وللإدارة الأميركية. فباستهداف السعودية يعتقد الليبراليون في الولايات المتحدة وغيرها من الدول الأوروبية أن بإمكانهم إضعاف الإدارة الأميركية الحالية والرئيس ترامب بالتحديد بناء على ذلك. ولمتابع أن يلحظ هوس الليبراليين بترامب وبالمملكة في الفترة الأخيرة ممّا يفسّر التّحامل على قرارات الرئيس الأميركي وعلى شؤون المملكة العربية في أغلب المقالات الصحافية تقريبا والتقارير الإخبارية في العالم.

ومن الطبيعي أن يكون التّحامل مسيئا للرّياض وهي التّي لم تكن ترغب يوما في أن يزجّ بها في معارك سياسية غريبة عنها وفي حملات للعب على الرّأي العامّ بهدف تسجيل نقاط قد يمكن استغلالها في الانتخابات الأميركية القادمة. والجميع يعلم أنّ تحالف واشنطن الاستراتيجي مع السعودية لن ينفرط أبدا، بل هو مجرّد ورقة يلعبها الخصوم من الليبراليين اليوم للوصول إلى السلطة في السنة القادمة والتعويض عن خسارتهم الفادحة في انتخابات 2016. ومتى تمّ لهم ذلك، سيعمل هؤلاء أنفسهم على دعم العلاقات مع السعودية والنّأي بها عن أيّ أزمات قد تكلّفهم وتكلّف الولايات المتحدة خسارات استراتيجية.

> التطورات في السعودية وإن عكست بوضوح شعبية المبادرات الإصلاحية والتفاف الشباب حولها، فقد كشفت أيضا عددا من قوى الدفع إلى الوراء. وليكون الهجوم فعالا على هذه المبادرات تبنت جميع الأطراف في الداخل والخارج استراتيجية تسييس الملفات التي لم تكن يوما سياسية

العراق وخنّاقوه

منزل الخميني في العراق يتحول إلى مزار

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❏ منذ أيام بابل وسومر وآشور، ثم الخلافة الإسلامية الأولى، والدولة الأموية والعباسية، وإلى زمن الاحتلال الأميركي، ثم الإيراني الأخير 2003، لم يشهد الشعب الذي استوطن بلاد ما بين الرافدين فترات صفاء مستقرة وثابتة مع جارتيه الكبيرتين، تركيا وإيران، كما ينبغي أن تكون العلاقة بينه وبين جارين يُشبهانه في المشارب والطبائع والثقافة، وفي الدين أخيرا، إلا في حالات نادرة وقصيرة وعابرة.

ومن سوء حظ العراق، وكان ينبغي أن يكون ذلك من حسن حظه، أن يقع موجودا بين جارتين قلما كانتا متصافيتين في ما بينهما. وبدل أن تجعلاه أرضا محايدة بينهما يستخدمانها ساحة حوار فقد اتخذتا منه جسر عبور لقواتهما الخارجة من حدودهما للعدوان والغزو والاحتلال والاستيطان.

وكان طبيعيا، بسبب ذلك، أن تستباح أرض العراق جيوش هذه الجارة أو تلك، من حين إلى حين. فمرة تحتله جيوش الفرس، وتارة جيوش بني عثمان. وحين غزا الأميركيون العراق في 2003 وجدت إيران فرصتها النادرة المنتظرة لدخوله ثم احتلاله بذريعة التحالف المَصالحي بين الجيوش الأميركية من جهة، وبين الحرس الثوري الإيراني وميليشيات المجلس الأعلى الإسلامي وحزب الدعوة وباقي الميليشيات الإيرانية العراقية الأخرى، من جهة أخرى، بحجة اجتثاث البعث وفلول صدام حسين وحماية النظام الأميركي الديمقراطي التعددي الذي يضمن مصالح الدولتين الحليفتين من إرهابهم ودكتاتوريتهم وأحلامهم بالعودة إلى حكمه من جديد.

وكانت هذه هي أولى صفقة غباء سياسي تاريخي جغرافي عسكري اقتصادي يعقدها الأميركيون مع ملالي متمرسين في (التقية) والمراوغة والنفاق. وها هم اليوم يجاهدون، بتظاهرات وكلائهم العراقيين، وبتهديدات كبار قادتهم المدنيين والعسكريين، من أجل طرد ما تبقى من فلول أميركية متناثرة هنا وهناك، كانت قد أعادتها، بعد خروجها، حكوماتُ إيران العراقية ذاتُها، حين تطلبت حاجتهم إلى ذلك.

كل هذا عن إيران وحدها. أما تركيا اليوم، وهي تعبر الحدود وتقتل وتحتل وتأسر وتغتال دون رادع وطني يصدها، فلا تختلف عن تركيا القديمة وغزواتها واحتلالها للعراق لثلاثمئة وخمس وثمانين سنة، من عام 1535 وحتى عام 1920.

ولا تقل مرارة احتلالها عن مرارة الاحتلال الإيراني بشيء. وما زال العراقيون يتحدثون عن عنصرية الإمبراطورية العثمانية التي كانت سياسة التتريك من أبرز وجوهها، والمجازرُ الجماعية، وسوْق مئات الآلاف من رجالهم وأبنائهم للتجنيد الإجباري ليموتوا في حروبها الاستعمارية المعروفة بـ (السفر برلك).

من هذه المقدمة الطويلة المملة نُفضي إلى الخلاصة، وهي أن لاعبا ثالثا قد دخل، بإصرار وعزيمة ثابتة، إلى حلبة الصراع الدامي بين إيران وتركيا على أرض العراق السليب.

ويظن الكثير من العراقيين، اليوم، بأن الأميركيين، هذه المرة، قد يكونون قرأوا التاريخ بدقة ونباهة، وتعلموا كيف يأخذون مكان بريطانيا العظمى التي احتلت العراق، في أعقاب الحرب العالمية الأولى 1914، فحمته من الأصابع الإيرانية والتركية، وحافظت على استقراره وأمنه وسيادته حتى موعد خروجها.

وهنا ينبغي التأكيد على نقطتين، الأولى أن أميركا اليوم غير أميركا الأمس. فهي لن تدخل العراق محتلة كما فعل بوش الابن، ولن تخرج منه خالية الوفاض كما فعل أوباما. فما جنته جيوشها من كوارث على أيدي العراقيين، سواء الذين قاوموا احتلالها بوطنية صافية أو الذين كانت تدسهم إيران وتركيا لمنعها من تثبيت احتلالها للعراق، ومنع الدولتين الطامعتين فيه من التسلل إليه، كاف لإيقاظها من غفلتها وجعلها تحارب إيران وتركيا دون جيوش بجيوش، ولا حديد ونار بحديد ونار.

والنقطة الثانية أنها، وكما هو واضح من جميع قرارات إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب وتحالفاتها الجديدة، وآخرُها مؤتمر وارسو، ماضية قدما في ما يخص إيران في سياسة الخنق الاقتصادي والسياسي والعسكري الهادفة إلى تركيع النظام الإيراني وإخراجه دون قتال. وبأكثر من صيغة وأسلوب وكلمات تم إبلاغ القيادة الإيرانية بأن أميركا في حالة تعرض قواتها في العراق أو في الخليج العربي لأي اعتداء مسلح، من أي نوع، ومن أي وزن، سواء من قبل الجيش الإيراني والحرس الثوري، مباشرة، أو من قبل ميليشياتها العراقية فإن ردها سيكون ضربات ماسحة كاسحة لمواقع ومراكز إيرانيةً عسكرية حيوية، ربما داخل إيران ذاتها.

أما في ما يخص تركيا أردوغان فبسياسة إغراق السلطان العثماني بحروب استنزاف دامية داخلية وخارجية لا تنتهي.

وهنا نتوقف قليلا لنعترف بأن أغلب العراقيين، غير المستظلين بخيمة الإمام الخميني ووريثه علي خامنئي، لا يرون لهم مصلحة من أي نوع لا في نصرة إيران، ولا في نجدة تركيا، ولا في إعانة أميركا على تركيا وإيران.

والحكمة والحنكة والنباهة وحسابات الزمن البعيد تنصح كلها بأن تظل بلاد ما بين النهرين، قدر ما تستطيع، بعيدةً عن هذه المحرقة، وتنتظر نهاية هذا المسلسل الطويل.

وواهمٌ وغافل وجاهل من يحمل سلاحه ويقاتل لا دفاعا عن أهله وبوطنه، بل دفاعا عن أي من خنّاقيه الثلاثة، أميركا وتركيا وإيران. وسَيرحلون، جميعهم، كما رحل غيرهم، وسيبقى العراق ويبقى أهله العراقيون، وسنرى.

مؤتمر وارسو امتحان آخر لواشنطن

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ ليس مؤتمر وارسو الذي دعت إليه الولايات المتحدة وبولندا حدثا عاديا. إنّه مساهمة في عزل إيران أكثر وتأكيد وجود نيّة لحملها على تغيير سلوكها. لعلّ أهمّ ما في هذا المؤتمر الذي شاركت فيه ما يزيد على ستين دولة أنه سيسمح مرّة أخرى بمعرفة ما إذا كانت إدارة دونالد ترامب جدّية فعلا في الذهاب إلى النهاية في المواجهة مع النظام الإيراني... أم أن كلّ ما في الأمر خطبا نارية لا ترجمة لها على أرض الواقع، على الرغم من تمزيق الرئيس دونالد ترامب الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني.

> مؤتمر وارسو يعكس التغيرات التي يشهدها العالم والشرق الأوسط والتوازنات الجديدة فيهما. عاجلا أم آجلا سيكون هناك جواب عن السؤال الذي لا يزال مطروحا منذ انتخاب دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة. هل أميركا جدية في وضع حد للخطر الإيراني

يمكن اعتبار مؤتمر وارسو، الذي تخللته دعوة موجهة إلى دول أوروبا من نائب الرئيس الأميركي مايك بنس كي تحذو حذو الولايات المتحدة بالنسبة إلى الملف النووي الإيراني، حلقة جديدة تضاف إلى سلسلة طويلة من المواقف الأميركية. بدأت هذه المواقف بخطاب لترامب ألقاه بعيد دخوله البيت الأبيض، قبل ما يزيد على عامين، حدّد فيه بوضوح ليس بعده وضوح المآخذ الأميركية على السلوك الإيراني. بدأ الرئيس الأميركي بسرد للأحداث التي ترافقت مع قيام "الجمهورية الإسلامية" في إيران مباشرة بعد سقوط نظام الشاه في شباط – فبراير من العام 1979. لم يترك أي حدث كبير يعتبره "إرهابا" إلاّ وأتى على ذكره. توقف عند احتجاز الدبلوماسيين الأميركيين في طهران 444 يوما في تشرين الثاني – نوفمبر 1979. لم يفته الدور الإيراني في نسف السفارة الأميركية في بيروت في نيسان – أبريل 1983 ثمّ مقر المارينز قرب مطار العاصمة اللبنانية في تشرين الأوّل – أكتوبر من السنة نفسها ولا خطف مواطنين أميركيين في لبنان في منتصف ثمانينات القرن الماضي. كشف ترامب أنّ إدارته تعرف إيران بدقّة شديدة مؤكّدا أنّها ستكون مختلفة عن الإدارات السابقة. لعلّ أهم ما في كلّ خطب الرئيس الأميركي وتصريحاته هو تلك الحملة على سلوك إدارة باراك أوباما التي اختزلت كل أزمات الشرق الأوسط في الملف النووي الإيراني. رفضت تلك الإدارة بذل أي جهد يسمح لها باستيعاب أن المشكلة مع إيران ليست في الملف النووي فقط. المشكلة أوسع من ذلك بكثير. هذه المشكلة هي مع المشروع التوسّعي الإيراني الذي يستثمر في الغرائز المذهبية من أجل تدمير المجتمعات العربية وجعلها تحت سطوة الميليشيات التابعة لـ"الحرس الثوري". بهذه الطريقة، استُهدف العراق واستُهدفت سوريا ولبنان واستُهدف اليمن الذي باتت عاصمته رهينة لدى "أنصارالله".

اتسم مؤتمر وارسو بلهجة حازمة. رأى وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو في افتتاح المؤتمر أن "إيران وحزب الله وتفشي الإرهاب أخطار تهدّد الشرق الأوسط". أعرب عن رغبة واشنطن في فرض مزيد من العقوبات على النظام الإيراني لوقف "عدوان" الرئيس الإيراني حسن روحاني وقائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الجنرال قاسم سليماني على الشرق الأوسط. هناك باختصار تأكيد آخر لوجود توجه أميركي جديد وإلى تسمية الأشياء بأسمائها والتعاطي مع المسؤولين الإيرانيين بطريقة مختلفة أكثر هجومية من الماضي.

لم يكن وزير الخارجية البولندي أقلّ وضوحا من بومبيو في مؤتمر وارسو، المخصص للبحث في الوضع في الشرق الأوسط، وبرنامج إيران النووي والحد من انتشار أسلحة الدمار.

أبدى ياتسيك تشابوتوفيتش، قلقه حيال برنامج إيران النووي. وقال "بلادنا معنية باتخاذ إجراءات تعزز السلام" في الشرق الأوسط. وأضاف "الوضع في الشرق الأوسط يتطلب منا اهتماما خاصا". زايد عليه بومبيو بقوله "إن إيران تشكل أخطر تهديد في الشرق الأوسط. لا يستطيع العالم تحقيق السلام والأمن في الشرق الأوسط من دون مواجهة إيران."

بعيدا عن التصعيد الكلامي، كان لا بدّ من ملاحظة أن ثمّة تغييرا في الموقف العربي عموما من إسرائيل. جلس وزير الخارجية اليمني بين وزير الخارجية الأميركي ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو الذي كان لديه لقاء مع الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية في سلطنة عُمان يوسف بن علوي. تصرّف بن علوي بشكل لائق مع رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي جاء يشكر الوزير العماني على الدعوة التي وجّهها إليه السلطان قابوس العام الماضي لزيارة مسقط. رأى في زيارته لمسقط "تحوّلا كبيرا" على الصعيد الإقليمي. بدا واضحا أن هناك أجواء جديدة في المنطقة خلقتها زيارة نتانياهو لسلطنة عُمان التي ترتبط بعلاقات خاصة ومميّزة مع إيران، بغض النظر عن طبيعة النظام فيها. لا فارق في مسقط بين الشاه والخميني أو بين الشاه والذين خلفوا الخميني. لم يكن التصرّف العُماني، الذي يشير إلى وجود جسر بين إيران وإسرائيل، سوى جانب من الصورة التي تغيّرت في المنطقة بعدما اكتشف معظم العرب مدى خطورة إيران...

ما لا بدّ من ملاحظته أيضا هو ذلك الانقسام الأوروبي تجاه إيران. لا وجود لموقف أوروبي موحّد من "الجمهورية الإسلامية". بولندا، على سبيل المثال، متشدّدة. تبدو أكثر تشدّدا من الولايات المتحدة في حين تعتمد دولة مثل فرنسا موقفا حائرا. يقوم هذا الموقف على رفض تطوير إيران للصواريخ الباليستية والتمسك في الوقت ذاته بالاتفاق في شأن ملفّها النووي.

هناك ما يمكن وصفه بضمور الدور للأوروبي على الصعيد العالمي. فقد الاتحاد الأوروبي الكثير من وزنه. بريطانيا غارقة في أزمتها الداخلية التي تسبب بها الاستفتاء على الخروج من الاتحاد الأوروبي (بريكست) وفرنسا تعاني من اضطرابات اجتماعية يصعب أن تخرج منها قريبا. أمّا ألمانيا، فهي في مرحلة ترقّب لعهد ما بعد المستشارة أنجيلا ميركل.

فقدت أوروبا الكثير من ثقلها في وقت تبيّن أن الصين ليست على استعداد للذهاب بعيدا في أي مواجهة مع الولايات المتحدة،

العين على مصدر الفوضى في الشرق الأوسط

خصوصا بعدما تبيّن أن اقتصادها لا يتحمّل مثل هذه المواجهة على الرغم من حجمه الكبير.

تبقى روسيا التي كشفتها القمة الثلاثية في سوتشي بين الرئيس فلاديمير بوتين وحسن روحاني والرئيس التركي رجب طيب أردوغان. لا تستطيع روسيا إيجاد تفاهم بينها وبين تركيا في شأن شمال سوريا، فيما لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية في تأمين غطاء للوجود الإيراني في سوريا. عين روسيا على صفقة تريد عقدها مع أميركا في سوريا. ثمّة من يعتبر أن هذه الصفقة تمّت وأن الانسحاب العسكري الأميركي من شرق الفرات جزء من هذه الصفقة. إضافة إلى ذلك، ظهر بوضوح أنّ روسيا لا يمكنها إلاّ أن تأخذ في الاعتبار مصالح إسرائيل وأن العلاقة الروسية – الإسرائيلية في غاية الأهمّية بالنسبة إلى المقيم في الكرملين.

يعكس مؤتمر وارسو التغيّرات التي يشهدها العالم والشرق الأوسط والتوازنات الجديدة فيهما. عاجلا أم آجلا سيكون هناك جواب عن السؤال الذي لا يزال مطروحا منذ انتخاب دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة. هل أميركا جدّية في وضع حدّ للخطر الإيراني وهل من ترجمة للكلام الناري الذي يصدر عن كبار المسؤولين في الإدارة التي تريد أن تكون مختلفة عن إدارة باراك أوباما؟

سوتشي: قمة لإنقاذ مسار أستانة

رانيا مصطفى
كاتبة سورية

❑ يَظهَر في بيان قمّة سوتشي، المنعقدة الخميس الماضي ضمن سلسلة اجتماعات أستانة للدول الضامنة الثلاث، روسيا وتركيا وإيران، أن لا جديد على صعيد حلّ الملفّات العالقة في سوريا، سواء ما يتعلق بملفّ إدلب وحل المعضلة الجهادية، أو ملف المنطقة الأمنية شمال شرق سوريا، أو ملف منبج، ولا بخصوص ملفي عودة اللاجئين وإعادة الإعمار، ولا حتى ملف اللجنة الدستورية المختلف على تسمية أعضائها منذ أكثر من عام، والتي لم تتحدد بعد مهامها وغايتها، في ضوء غياب أي أفق جدّي للحلّ السياسي.

ما تقرّر في قمة سوتشي هو فقط التأكيد على استمرار اتفاقات خفض التصعيد المتفق عليها ضمن سلسلة اجتماعات أستانة، وهو ما صرّح به الرئيس التركي رجب طيب أردوغان عقب القمة بالقول "حافظنا على روح أستانة رغم كافة المشاكل"، فيما غيّر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بعد القمة، من لهجته التصعيدية قبلها، بالقول إنه "لا يوجد حديث عن عمليّة عسكرية في إدلب"، بعد أن سَمح للنظام بقصف بلدات ريف إدلب الشرقي والجنوبي قبل القمة بيومين، وتوافقت تصريحاته مع روحاني حول إنهاء الوجود الإرهابي، وتسليم كل الأراضي السورية إلى "السلطات الشرعية"، في خطوة من أجل ابتزاز حليفه التركي، وفرملة طموحه في الحصول على اتفاق حول منبج أو المنطقة الأمنية، وفق الرغبة التركية، أي بتواجد تركي بعمق 30 كيلومترا وطول 470 كيلومترا على الحدود مع سوريا.

ضربت مواعيد لقمة جديدة، بعد شهر ونصف، في تركيا أو في العاصمة الكازاخية؛ ولا يمكن توقع جديد من هذه القمم، سوى التأكيد على استمرار اتفاقات التهدئة في الأراضي السورية. فموسكو أقامت تحالف الدول الضامنة لإعادة سيطرة النظام على مناطق المعارضة، عبر مقايضات مع تركيا المشغولة بهمّ أمنها القومي لحماية حدودها من خطر هجمات "وحدات حماية الشعب" الكردية و"حزب العمال"، واضطرت إلى إشراك طهران، رغم تباين الأجندات، والتنافس على المصالح الاقتصادية، بسبب قوة حضورها الميداني ضمن جيش النظام وميليشياته، وتوغلها الاستخباراتي ضمن مراكز القرار السياسي للنظام السوري.

يدرك بوتين أن لا إمكانية لإحراز تقدّم ملموس في الملفات العالقة في سوريا، بوجود إيران، مع الرفض الأميركي والعربي والإسرائيلي لتوسّعها في الشرق الأوسط، خاصة أن قمة سوتشي ترافقت مع انعقاد مؤتمر وارسو حول الشرق الأوسط، والذي تعمل فيه الولايات المتحدة على تشكيل حلف ضد إيران بإشراك كل من إسرائيل، ودول عربية رافضة للهيمنة الشيعية على المنطقة.

وليس بوسع روسيا شطب إيران من المشهد السوري، رغم رغبتها في الهيمنة منفردة على القرار السوري، ورغم قناعتها كذلك بأن لا إمكانية لإشراكها في الحل السياسي، أو المضي في إعادة الإعمار بوجودها، بسبب الرفض الأميركي والإسرائيلي والعربي لها.

عن انتزاع اتفاق يرضيها حول المنطقة الأمنية شمالا، أو حول منبج، لكنها تمكّنت من الحفاظ على اتفاق المنطقة العازلة في إدلب، والذي عقد في سبتمبر الماضي، رغم الرغبة الروسية الإيرانية في سيطرة النظام عليها؛ ويدعمها في ذلك موقف أوروبي رافض لحدوث كارثة إنسانية وموجات نزوح جديدة، وموقف أميركي رافض للتوغل الإيراني في إدلب، ولاستفراد روسيا بسوريا دون حل سياسي يراعي الشرط الأميركي.

فيما تراهن أنقرة على محاولات هيئة تحرير الشام تغيير حلّتها، بعد تخليها "شكليًا" عن العقلية الجهادية، حيث أزالت اللافتات في الشوارع والتي تدعو إلى الجهاد وحجاب المرأة ومحاربة الشيعة، ودخلت في حرب الفتاوى الدينية مع تنظيمي حراس الدين وحزب التركستاني الإسلامي

ورغم بعض المناوشات الدامية التي حصلت الشهر الماضي في سهل الغاب وفي درعا، ضمن جيش النظام وميليشياته بين فرق محسوبة على إيران وأخرى على روسيا، إلا أن موسكو لا ترغب في صدام مسلح مع إيران، وهي تعتمد على عامل الزمن للحد من التواجد الإيراني في سوريا بالفعل، إرضاء لشركائها في تقرير مصير سوريا، وفي إعادة الإعمار؛ وذلك عبر أمرين: الأول مساعيها لتعزيز الفيلق الخامس والفرق الخاضعة لها في جيش النظام، عبر اعتمادها خصوصا على عناصر المصالحة في مناطق المعارضة، وعلى ميليشيا النمر وقدرتها على الحشد، واعتمادها في ذلك على العامل المذهبي ضمن الطائفة العلوية. وذلك بالتوازي مع الحدّ من قدرة النظام على رفد الفرق الموالية لإيران، حيث أجبرت روسيا النظام على تسريح وإعفاء الشبان الذين تتجاوز أعمارهم 38 عاما.

وثانيا عبر سماح موسكو لإسرائيل باستكمال ضرباتها ضدّ المواقع الإيرانية في سوريا، بتنسيق أعلى مما كان عليه بالتأكيد، خوفا من تكرار أخطاء من قبيل ما حدث في خريف العام الماضي، حول إسقاط دفاعات النظام للطائرة الروسية إيل 20 بالخطأ، أثناء محاولتها صدّ الهجمات الإسرائيلية على مواقع إيرانية في اللاذقية.

أما إيران فتجاهد للبقاء في سوريا، وتفرض وجودها على التحالف الروسي التركي المتين، لكن دون أن تمتلك القدرة على فرض أجندتها على هذا التحالف، حول منع الهجمات الإسرائيلية المتكررة على مواقعها في سوريا. وأنقرة هي الأخرى عجزت

المتشددين، ومع المتشددين والأجانب ضمنها، حيث تشهد مؤخرا انشقاقات لكبار منظريها الجهاديين؛ وبموازاة ذلك تسعى حكومة "الإنقاذ" التابعة لها إلى إظهار وجه مدني للهيئة، وهناك أحاديث عن صفقات لها مع تركيا لاستجرار الطاقة الكهربائية إلى إدلب، وإنشاء مراكز لمؤسسة البريد التركية.

وأخيرا، فإن كل خيوط الملفات العالقة في سوريا بيد واشنطن؛ ورغم أنها قررت الانسحاب من سوريا قريبا، وهي تقرّ بالسيطرة الروسية على سوريا، إلا أنها في نفس الوقت تعرقل المساعي الروسية للتفرّد بتقرير مصير سوريا، وهي ما زالت تشترط على موسكو، لتحقيق تقدم ملموس في الحل السياسي، إنهاء الوجود الإيراني، وإجراء تغيير سياسي حقيقي وفق مسار جنيف والقرار 2254. وتحشد لذلك حلفا

> رغم أن واشنطن تقر بالسيطرة الروسية على سوريا، إلا أنها تعرقل مساعي موسكو للتفرد بتقرير مصير سوريا، وتشترط عليها إنهاء الوجود الإيراني لتحقيق تقدم في الحل السياسي

ضد إيران، يضم دولا عربية، فشلت روسيا في إقناعها بإعادة التطبيع مع النظام، هذا إضافة إلى قانون "قيصر" الذي تعدّ واشنطن لاستصداره، في خطوة ستحاصر المساعي الروسية لجذب الأموال العربية – الأوروبية لإعادة الإعمار، مع بقاء نظام الأسد.

الإصلاح.. ونكبة فبراير في اليمن

طارق كرمان
كاتب يمني

❑ لم تكن الثورة في اليمن ذات طابع ديني أو إسلاموي في بدايتها حتى انضمّ إليها حزب الإصلاح، الجناح السياسي للإخوان المسلمين، وهو خليط من التحالفات المعقدة الدينية والقبلية والسياسية والعسكرية والتي كانت بغالبيتها جزءا من النظام السابق.

أفسد ذلك فرصة التغيير على أسس وطنية لأن فكرة الأحزاب الإسلامية تقوم على مبدأ إلغاء الآخر وإن زُعمت ظاهريا غير ذلك. فالدكتاتورية هي وسيلة حكم قيادات هذه الأحزاب لقواعدها. ولا يؤثر التغيير في تلك القيادات على الخطوط العريضة التي تحدد سياسات تلك الأحزاب المنطلقة فكرتها الأساسية من أن لها الأفضلية على ما سواها سواء في توجيه المجتمع أو في الاستئثار بالسلطة.

لم يكن انضمام حزب الإصلاح إلى ذلك الحراك إلا بدافعين رئيسيين اثنين، أولهما الكراهية لشخص علي عبدالله صالح ونظامه والرغبة الجامحة في الانتقام منه على (تخفيضه) لنصيبه من كعكة السلطة والثروة منذ 2006، وثانيهما هو السعي للحصول على أكبر قدر من (امتيازات) السلطة وعوائد الثروة.

> ما يميز حزب الإصلاح عن الأحزاب الإسلامية في البلدان الأخرى هو عدم رغبته أو استعداده في تسلّم السلطة بشكل مباشر. هو يريد أن يكون الشخص أو الحزب الذي يحكم في الواجهة غير ممثل له، فإذا أحسن قال قادة الإصلاح نحن من نقف وراءه وندعمه وإذا أساء وفشل قالوا هو ليس منّا

ضعوا هنا تحت كلمة (امتيازات) ثلاثة خطوط، إذ أن ما يميّز حزب الإصلاح عن جميع الأحزاب الإسلامية في البلدان الأخرى هو عدم رغبته أو استعداده في تسلم السلطة بشكل مباشر وبالتالي تحمّل مسؤولياتها. يهدف الحزب إلى أن يكون مسيطرا من تحت الطاولة وأن يكون الشخص أو الحزب الذي يحكم في الواجهة غير ممثل له، فإذا أحسن قال قادة الإصلاح نحن من نقف وراءه وندعمه وإذا أساء وفشل قالوا هو ليس منا ولا يمثّلنا.

لهذا، لم يمانع حزب الإصلاح أن يكون من يرث الكرسي عن علي عبدالله صالح هو نائبه عبدربه منصور هادي والذي تمكن الإصلاح من السيطرة عليه وتحويله إلى وكيل عنه في تحقيق مصالحه كما لو كان قادة الحزب هم الذين يحكمون لا هو. ولا يخفى على أحد كيف تمت أخونة معظم وظائف الدولة منذ استلام عبدربه منصور هادي للسلطة وحتى سقوط صنعاء بيد الحوثيين، وكيف كان رئيس الوزراء محمد باسندوة (والذي يتحكم بحباله حميد الأحمر) يرفض قرارات الرئيس عبدربه منصور هادي أو يتحايل عليها والشواهد على ذلك كثيرة ولا يتسع المقام لذكرها.

ومن الأمثلة المضحكة للطابع الإسلاموي الساذج الذي عمل الإصلاح لتعميمه على الدولة بعد أن طبع به حراك الشباب، قيام وزارة الكهرباء مثلا بحملة إعلانية توعوية لحض المواطنين على دفع الفواتير المستحقة بعنوان "فاتورة الكهرباء دين في رقبتك ستسأل عنه يوم القيامة"، وذلك في الوقت الذي كانت الكهرباء تنقطع عن المواطنين ليس لساعات طويلة يوميا فقط بل ولأيام عدة أحيانا!

كانت استراتيجية قادة الإصلاح في توزيع الوظائف قائمة على مقولة يتداولونها ويعرفها الكثيرون ألا وهي "إخواننا أولى بها". شكّلت هذه الاستراتيجية عنوانا للإقصاء قد لا يشمل الوظائف السياسية العليا التي كان الإصلاح ملزَما بتقاسمها مع شركاء آخرين بمن فيهم النظام السابق، ولكن الحديث هنا عمّا هو دون تلك الوظائف العليا في شتى مؤسسات الدولة. ولمّا كانت مؤسسة الجيش عصيّة بهيكليّتها الصلبة على أن يسيطر عليها الإصلاح بنفس الطريقة

على أطلال ثورة 11 فبراير

عمل جاهدا على مشروع هيكلة الجيش والذي عمل به على إقصاء القيادات العليا ذات الخبرة والكفاءة العسكرية وبالتالي سهّل القيام بتحييده عن الوقوف ضد زحف ميليشيات الحوثي من صعدة إلى صنعاء.

وردا على سيمفونية دراويش الإصلاح ومنشديه وكتّابه الذين يصدحون ليل نهار بتراتيل معجزات 11فبراير، ويتغنون بأنها هدية السماء، يكفي أن نحاججهم بمجرد القول إن الحكم على الأحداث يجب أن يكون من خلال النظر إلى نتائجها، ثم نطرح السؤال الكبير: ما هي النتائج الإيجابية لما سُمّي بثورة الشباب في اليمن؟

الإجابة هي: لا شيء. والتأكد لا يحتاج إلى جهد خارق في البحث والتنقيب، ولا يحتاج إلى قريحة العباقرة في الاستنباط أو الاستنتاج. كل ما أفرزته تلك النكبة هو خراب ودمار شامل، وقتل وذبح وتشريد وفوضى، وسقوط الدولة في براثن مشروع إيران الخبيث، وزيادة مبررات الحراك الجنوبي للانفصال بل وتعزيز قوّته وتماسكه.

أصبح الداعون إلى الانفصال قاب قوسين أو أدنى من تحقيق (مشروعهم) الانفصالي، ولكن، برغم ذلك كله، نجد كهنة الثورة ودراويشها خصوصا من حزب الإصلاح يقدسون تلك النكبة بوصفها ثورة عظيمة تستحق الاحتفاء كل عام.

طبعا لهم الحق في أن يروها كذلك، فالثورة بالنسبة لهم نقلتهم من القاع إلى صدارة المشهد العام، وجعلوا منها دجاجة تبيض ذهبا، وأحيانا بقرة حلوبا تدر لهم الشهرة والسلطة والمال والسفر للخارج وغيرها من الامتيازات التي يحرصون عليها أكثر من حرصهم على الوصول إلى السلطة بشكل رسمي وبالتالي يعتبرون أنفسهم منتصرين إذا نالوها ولو ذهبت السلطة إلى غيرهم وأصبحوا مطرودين من وطنهم مشردين في أصقاع الأرض.

النخب السياسية تناقش افتراضيا احتجاجات السودان وتعديل الدستور المصري

المعارضة تهاجر إلى السوشيال ميديا كبديل عن التجمعات والمؤتمرات الممنوعة

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – تدفع عديد الأحداث والتطورات التي تشهدها دول عربية، كالتظاهرات في السودان والجدل حول تعديل الدستور في مصر، العديد من النخب السياسية للعودة إلى الانخراط في قضايا سياسية ومجتمعية متلاحقة والاشتباك معها، بعد أن اختار البعض الانزواء والتراجع كحل لعدم قدرته على التأثير، لكن هذه المرة كانت العودة عبر منصات يصعب السيطرة عليها وتوجيهها.

بعد حوالي ثماني سنوات من اندلاع ثورات الربيع العربي، والتي لعبت فيها مواقع التواصل الاجتماعي دورا مهما في حشد المواطنين للنزول إلى الشارع، تحولت هذه المنصات إلى بديل للتجمعات والمؤتمرات. يمكن أن يتوضح ذلك من خلال تدوينات السياسيين السودانيين والهاشتاغات المتابعة للاحتجاجات. وفي مصر، لجأ العديد من المعارضين إلى مواقع التواصل الاجتماعي للحديث عن التعديلات الدستورية، بعد أن تعذر عليهم التعبير عن وجهة نظرهم عبر وسائل الإعلام التقليدية.

الباب الواسع

قدرة المعارضة في التأثير على المواطنين وعدم استطاعة أجهزة الدولة المختلفة التقليل من أثرها، من بين الوسائل المستقبلية التي تبني عليها هذه المعارضة خطط عملها، كبديل للمؤتمرات الجماهيرية، والتضييق على عمل منظمات المجتمع المدني، وهي طريقة يمكن أن تُفشل جميع الأدوات التي تلجأ إليها الحكومات لتضييق هامش الحرية.

أوضح عبدالمنعم سعيد، مدير المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية سابقا، أن المزاج العربي الثوري ما زال مهيأ لإثارة اهتمام النخب وتحريكها، والمشكلة الأساسية في هذه التحركات تكمن في غياب النظرة المستقبلية والتي تظل غائبة منذ اندلاع الثورات في العام 2011.

وأضاف سعيد لـ"العرب" أن "النخب العربية وجدت في مواقع التواصل قدرا كبيرا من الحيوية والحرية، لا تتوفر في وسائل الإعلام التقليدية، ووجدت سيولة كبيرة في تمرير آرائها والوصول إلى الآلاف من المتابعين، بل والتعرف على اتجاهاتهم، لكن المشكلة الأساسية أن تعدد الاتجاهات ساهم في تفتيت أيديولوجيات هذه النخب التي كانت تنقسم إلى وسط ويمين ويسار".

وبرأيه أن معيار تأثير النخب من عدمه مازال غير واضح إلى الآن في ظل عدم وجود دراسة تبين مدى تأثيرها، في المقابل فإن وسائل الإعلام لديها أساليب لقياس الرأي العام تمكنها من معرفة حدود المتابعة. وانتشرت العديد من التدوينات في مصر مؤخرا، تفند مواد الدستور المطلوب تعديلها، وظهرت آراء غلب عليها الاتجاه المعارض، لكن بعض المؤيدين واجهوها بأخرى تدعم أهمية التعديل في الوقت الحالي، ما دفع أنور الهواري، الصحافي المصري للقول، عبر صفحته، بأن "السوشيال ميديا أصبحت منصة الحوار الرصين بين العقول الجادة بعيداً عن الإعلام الذي دمره تدخل السلطة".

وقال أنور الهواري، الذي ترأس تحرير عدة صحف مصرية، لـ"العرب"، إن "جدل تعديل الدستور سمح بتداول أربعة مقالات تحمل آراء مختلفة جرى نشرها في نفس الوقت تقريبا، أحدها قمت بكتابته وحصل على الكثير من المشاركات والتعليقات، وجميعها كانت مثار جدل على صفحتي الخاصة".

على غير العادة تمكن البعض من الشخصيات السياسية من زيادة أعداد المتابعين على صفحاتهم، وأصبحوا ينافسون نجوم الفن والرياضة المهيمنين على اهتمامات الشباب، وظهر ذلك من خلال مشاركة منشوراتهم مرات كثيرة وزيادة التعليقات والمناقشات، مقارنة بما كانت عليه خلال الأشهر الماضية.

كان أبرز من تواجد على صفحات التواصل الاجتماعي خلال الفترة الأخيرة، مصطفى كامل السيد، أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، والسفير المصري السابق فوزي المنشاوي، وإبراهيم نوار إحدى الشخصيات السياسية الفاعلة في ثورة يناير 2011، وزياد بهاءالدين نائب رئيس الوزراء المصري سابقا، وكمال حبيب الخبير في شؤون الحركات الإسلامية.

وأشار أنور الهواري إلى أن الشخصيات التي برزت على ساحة مواقع التواصل مؤخرا ليست ضد الدولة المصرية بالمطلق، أو ضد النظام الحالي من جذوره، بل هي تسعى إلى خلق وسيلة للحوار، وضد استخدام مواقع التواصل للدخول في مستنقع الفوضى، وأضحى هناك حوار جاد وموضوعي حول تعديل الدستور وكيفية إدارة الدولة، بعيدا عن اتهامات العمالة التي كانت تثار دائما في مثل هذه المواقف.

التكنولوجيا تخدم النخب

هناك عوامل عدة تضعها النخب السياسية في أذهانها أثناء إقدامها على التفاعل عبر منصات التواصل الاجتماعي، لأنها تبحث عن أرضية مستقبلية لها قد تجدها من خلال الأجيال الصاعدة والتي يرتبط تعليمها بالوسائل التكنولوجية الحديثة، وقد يلعب توجيه الخطاب السياسي إليها دورا متناميا في المستقبل.

وأشار عبدالله السناوي، الكاتب والمحلل السياسي المصري، إلى أن تطوير التعليم في غالبية البلدان العربية والزيادة المضطردة في أعداد المستخدمين في الدول التي تعاني من التضييق على الحريات العامة، من العوامل التي تجعل هذه الوسائل تلعب أدوارا متنامية، وتأثيرها في المستقبل سيطال الجميع.

ولفت في تصريحات لـ"العرب" إلى أن المعارضة المصرية أدركت أن انسحابها أفقدها بريقها، وظهرت كأنها مازالت تعيش على أوهام الماضي من دون أن تواكب التطورات الحديثة، وهو ما سمح بظهور شخصيات جديدة لديها مئات الآلاف من المتابعين على مواقع التواصل المختلفة، واستطاعت أن تحل محلها، مع استخدامها خطابات تعبر عن انفلات الأجيال الصاعدة، ما يجعل التدخل مطلوبا لضبط إيقاع الحوار.

وتستغل العديد من دوائر المعارضة انتهاج الحكومات أساليب تقليدية في التعامل مع الوسائل التكنولوجية، عبر الحجب والاعتقال، لزيادة شعبيتها وتأثيرها، وتدرك أن هذه الأساليب تجاوزها الزمن، وقد تكون سببا في زيادة العناد وتدفع للتعاطف الشعبي.

ولم تستطع ترسانة القوانين التي وضعتها بعض الدول لتنظيم عمل المنصات الاجتماعية الإلكترونية في السيطرة على الملايين من المحتويات المتدفقة على مواقع التواصل بشكل مستمر، وقد يكون الأشخاص الفاعلون يمثلون خطرا على السلطات الحاكمة عرضة للاعتقال، لكن في النهاية هناك أرضية خصبة يمكن للسياسيين العمل عليها من دون قيود.

وأقر البرلمان المصري قوانين لتنظيم الصحافة والإعلام، ومنح لمجلس تنظيم الإعلام (حكومي) حق تطبيق العقوبات المقررة على وسائل الإعلام التقليدية على الحسابات التي يبلغ عدد متابعيها أكثر من خمسة آلاف شخص، ما يعني التعامل معها باعتبارها وسائل إعلام إلكترونية، لكن هذه المادة لم تجد طريقا للتطبيق.

يرى سياسيون أن ظهور شخصيات تستخدم مواقع التواصل في المعارضة السياسية يتطلب أن تكون هناك مبادئ عامة تشكل الوعاء العام للخطاب الذي توجهه إلى الجمهور.

مواقع التواصل حاضنة للتأثير

عبدالمنعم سعيد

النخب العربية وجدت في مواقع التواصل قدرا من الحرية، لا تتوفر في وسائل الإعلام التقليدية

أنور الهواري

البعض من الشخصيات السياسية تمكنت من زيادة أعداد المتابعين على صفحاتها

عبدالله السناوي

وسائل التواصل الاجتماعي تلعب أدوارا متنامية والتأثير في المستقبل سيطال الجميع

مونيكا ويت.. أميركية جندها الحرس الثوري خلال مؤتمر في طهران

ضابطة القوات الجوية الأميركية أقنعت الإيرانيين بعد أن هددت بأخذ أسرارها إلى روسيا

من مونيكا إلى فاطمة

من ضابطة في القوات الجوية الأميركية إلى جاسوسة لصالح إيران

❑ بحسب القرار الاتهامي، عملت مونيكا ويت بين العامين 1997 و2008 في سلاح الجو حيث تعلّمت اللغة الفارسية وقد أُرسلت مرات عدة إلى الشرق الأوسط، خصوصا في إطار مكافحة التجسّس. كما عملت من العام 2008 حتى 2010 كمستشارة في وزارة الدفاع.

وفي فبراير 2012، زارت مونيكا ويت إيران لحضور مؤتمر بعنوان "هوليوديسم" الذي عُقد برعاية الحرس الثوري الإيراني وهو موجه تماما ضد الولايات المتحدة، بحسب القرار الاتهامي. وفي مايو من العام نفسه، حذّرها عملاء من الشرطة الفيدرالية الأميركية (أف.بي.أي) من محاولات إيرانية لتجنيدها. إلا أنها أقسمت حينها أنها لم تُعط قط معلومات إلى طهران.

لكن في الشهر التالي، عملت مع شخص غامض أُطلقت عليه تسمية "الشخص أ"، يحمل الجنسيتين الأميركية والإيرانية جاء ليصوّر فيلما دعائيا معاديا لأميركا في الولايات المتحدة.

وفي فبراير 2013، زارت إيران مجددا لحضور مؤتمر جديد بعنوان "هوليوديسم". وفي الصيف التالي، تواصلت كثيرا مع "الشخص أ" وشكرته خصوصا في رسالة إلكترونية على "إتاحة الفرصة" لها لاستخدام تدريبها العسكري "لأغراض جيدة بدلا من (استخدامه لأغراض) سيئة".

وأبلغها "الشخص أ" عن "شكوك" إيران بشأنها، فتحدثت عن احتمال انشقاقها وذهابها إلى روسيا. لكن في 28 أغسطس، أرسلت له رسالة تقول فيها إنها على متن طائرة متوجهة إلى إيران "أنا ذاهبة! إلى المنزل". ولا يكشف القرار الاتهامي هوية "العميل أ".

الرئيسي للحياة ولماذا يجب أن نعيش بأفضل طريقة".

وفقا لبيان الخزانة الأميركية، كان منظمو المؤتمر مرتبطين بالحرس الثوري الإيراني. وهدفت هذه الأحداث إلى توفير أرض خصبة لتجنيد الجواسيس.

ويمكن أن يكون هناك عدد قليل من المجندين الحاملين لنفس استعداد ويت، كما يصورها المدعون العامون الأميركيون. وبالإضافة إلى التحول في العقيدة الشيعية، ظهرت أصيلة ولاية تكساس، التي تبلغ من العمر 33 عاما، في مقاطع الفيديو تبرّأت فيها من حكومتها.

ورغم أنها كانت منتمية إلى القوات الجوية الأميركية، الشيء الذي مكّنها من التمتع بأعلى تصريح أمني محتمل، فإن مكتب التحقيقات الفيدرالي بدا غير قلق في نظرته للتحول المفاجئ في حياتها.

وبعد ثلاثة أشهر من رحلتها إلى طهران، حذرها عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي من أنها قد تصبح هدفا للتجنيد في إيران، فأكدت أنها لن تمنح أي معلومات من خبرتها في القوات الجوية إذا ما عادت إلى الجمهورية الإسلامية.

ولكن بعد أسابيع، وتحديدا في يونيو 2012، زارها طرف التقت به في طهران، في الولايات المتحدة. وتم تحديده في لائحة اتهام دائرة العدالة بصفة "الفرد أ"، وهو مواطن أميركي-إيراني "عمل مقيّما بالنيابة عن أجهزة الاستخبارات الإيرانية".

واستأجر "الفرد أ" ويت، التي كانت تعيش في ضواحي واشنطن، كمساعدة في صنع "فيلم دعاية مناهض لأميركا". وبحلول فبراير، عادت الأميركية إلى طهران أين عرض عليها أن تنشق.

لم يكشف نص الاتهام هوية الشخص الذي تتواصل معه ويت، لكن تتوقع الصحافة الأميركية أن هذا الشخص المجهول هو مرضية هاشمي، الصحافية الأميركية والحاصلة على الجنسية الإيرانية والتي تعيش في طهران منذ حوالي 25 سنة.

وخلال زيارتها إلى الولايات المتحدة تحت اسمها الأصلي "ميلاني فرانكلين"، تم إيقاف مرضية هاشمي يوم 23 يناير سنة 2019 في مدينة سانت لويس، قبل أن يتم التحفظ عليها لمدة عشرة أيام في واشنطن بهدف الاستماع لها كشاهدة في قضية جنائية أمام قاض من العاصمة الأميركية.

ويتبين أن هيئة محلفين كبرى في العاصمة الفدرالية وجهت إلى مونيكا ويت الاتهام في الثامن من فبراير. وهاشمي، المولودة في الولايات المتحدة واسمها الأصلي ميلاني فرانكلين، قبل أن تعتنق الإسلام وتتزوج إيرانيا، تعيش في إيران حيث تُعرف منذ 25 عاما بأنها الوجه التلفزيوني الأشهر في قناة "برس تي في" الإيرانية الناطقة بالإنكليزية.

ولدى عودتها إلى طهران، نددت هاشمي بظروف احتجازها، من دون الكشف عن تفاصيل القضية التي كانت سبب توقيفها.

محللة اللغة المشفرة

ولدت مونيكا الفرايد ويت في إل باسو، في تكساس. وانتقلت عائلتها إلى فلوريدا عندما كانت صغيرة في السن. وفي سن الثامنة عشرة، انضمت ويت إلى القوات الجوية وأصبحت "محللة اللغة المشفرة". وعملت مع وحدة من طائرات المراقبة الإلكترونية في نبراسكا، وترجمت الاتصالات الاستخباراتية التي تم اعتراضها. وتعلمت اللغة الفارسية في معهد للغات في كاليفورنيا.

وبحسب سيرتها الذاتية، فقد انتقلت إلى مكتب التحقيقات الخاص في 2003 وشاركت في التحقيقات المضادة، والتحقيقات الجنائية، في قاعدة اندروز في واشنطن، وهي القاعدة التي تخرج منها طائرات "سلاح الجو واحد"، أي الطائرة الرئاسية وطائرات عدد من المسؤولين الكبار في الإدارة.

وفي النهاية، تم توجيه ويت إلى "الحرب على الإرهاب"، في قاعدة ثمريت الجوية في عمان وأربيل في العراق، وفقا لموقع لقدامى المحاربين في العراق. ويبدو أن تلك التجربة هي التي كانت وراء خيبة أملها.

وكتبت ويت في سيرة ذاتية قصيرة غير مؤرخة على موقع قدامى محاربين في العراق ضد الحرب "لقد خدمت في القوات الجوية لمدة 10 سنوات وشاركت في حربي أفغانستان والعراق".

وأضافت "بعد مشاهدة الكثير من الفساد والأضرار التي كنا نتسبب فيها بكل من العراق وأفغانستان، ومفهوم الولايات المتحدة، قررت أنني بحاجة للقيام بأي شيء ممكن للمساعدة في تصحيح الوضع".

ومع ذلك، بعد مغادرتها القوة الجوية، بقيت ويت في مجال الدفاع. وعملت لمدة خمسة أشهر كمحللة استخباراتية لبوز ألن هاملتون، وهي شركة رائدة في مجال توفير خدمات الاستشارات الإدارية والتقنية، ثم أكثر من عامين في شركة أخرى في فيرجينيا.

وقالت في سيرتها الذاتية إنها "أشرفت على التنفيذ، وضبطت، ونسّقت عمليات مكافحة التجسس الحساسة ضد أجهزة الاستخبارات الأجنبية في جميع أنحاء العالم".

وفي سنة 2010، تركت العمل للعودة إلى الدراسة، وحصلت على الماجستير في دراسات الشرق الأوسط في جامعة جورج واشنطن في 2012. وعملت كمتدربة لبرنامج فولبرايت في العراق، حيث ساعدت الطلاب العراقيين في الحصول على منح دراسية في الجامعات الأميركية.

وقالت لمحاورها البنغالي إنها بدأت في التساؤل حول المسيحية والمادية الغربية خلال فترة دراستها في الجامعة، وأصبحت نشطة في حركة احتجاج "احتلوا وول ستريت". وخلال دراستها في الجامعة، كتبت مقالين لمجلة الشؤون الدولية. كان أحدهما يتعلق بالعلاقة بين طاجيكستان وإيران، ولماذا يعتبر إقناع طاجيكستان بالمشاركة في العقوبات الغربية على طهران صعبا. وشاركت في تأليف المقال الثاني الذي يتحدث عن صعوبات إصلاح الدعم. ولم تقدم أي مقالة أي إشارة إلى الحماسة التي كانت ستبرزها بعد بضعة أشهر، عندما كانت تقدم، وفقا للائحة الاتهام، تفاصيل شخصية لزملائها السابقين في المخابرات.

> العميلة الأميركية السابقة وجهت إليها، إلى جانب أربعة قراصنة إلكترونيين إيرانيين، اتهامات بالعمل لحساب قوات الحرس الثوري الإيراني. واستخدم الأربعة أساليب هجمات إلكترونية لاستهداف ثمانية من عملاء الحكومة الأميركية

وفي سلسلة من رسائل البريد الإلكتروني لـ"الفرد أ" في صيف سنة 2013، بدا أنها كانت تسافر بين أفغانستان وطاجيكستان طالبة الانتداب.

وكتبت ويت "قلت لهم إنني لا أتمتع سوى بالقليل من الخيارات وسأذهب إلى مناطق أخرى لطلب المساعدة". وبعد تدخل من طهران، قدمت لها السفارة في العاصمة الطاجاكية المال للسفر إلى دبي في نهاية يوليو، بانتظار الحصول على تأشيرة إيرانية من هناك.

واستغرق الأمر شهرا آخر لتبادل الوثائق، والنظر في تاريخ عملها وروايتها قبل أن يتم إعطاؤها الضوء الأخضر من قبل الإيرانيين.

خلال صعودها الطائرة نحو طهران، بدت ويت سعيدة. وكتبت في آخر بريد إلكتروني لها قبل أن تختفي في إيران أنها عائدة إلى منزلها. وأنهت رسالتها مع رمز تعبيري مبتسم.

من تكساس إلى طهران

في مسعى لتقديم إجابة على هذا التساؤل، قال جون ديمرز إن مونيكا ويت متهمة بالانشقاق والتوجه إلى إيران عام 2013 لأسباب "أيديولوجية"، موضحا أنها خدمت في صفوف القوات الجوية في العراق واعتنقت الإسلام بعد حضور مؤتمر في إيران حول عدم أخلاقية الثقافة الأميركية.

وكشف بورغر، مراسل صحيفة الغارديان في واشنطن، أن ويت أظهرت رغبة في هَجر وطنها وماضيها، حتى أن المجنّدين الإيرانيين رفضوها في بادئ الأمر، إلى أن هددت بأخذ أسرارها إلى روسيا بدلا منهم، وتسليمها إلى ويكيليكس.

واعتنقت ويت الإسلام في مراسم بثها التلفزيون الإيراني في 2012، خلال رحلتها الأولى إلى طهران.

جاء ذلك في نفس الوقت الذي اعتنق فيه شون ستون، ابن المخرج الأميركي أوليفر ستون، الإسلام أيضا. وحضرت ويت وستون نفس المؤتمر في طهران، والذي كان بعنوان "الهوليوودية".

وتناول المؤتمر موضوع ثقافة السينما الأميركية، والتقت فيه مجموعة من مناهضي الغرب وأصحاب نظريات المؤامرة.

وبعد سنوات، أخبرت مونيكا ويت شبكة أنباء بنغالية بأنها "حصلت على فرصة للتفكير أكثر في نفسها وفي مستقبلها"، بعد حضور المؤتمر. وقالت "لقد جذبتني هذه الأسئلة إلى الإسلام: ما هو الهدف

جون ديمرز

> مونيكا ويت متهمة بالانشقاق والتوجه إلى إيران عام 2013 لأسباب أيديولوجية. خدمت ويت في صفوف القوات الجوية في العراق واعتنقت الإسلام بعد حضور مؤتمر في إيران حول عدم أخلاقية الثقافة الأميركية

❑ واشنطن – كان الأسبوع الماضي حافلا بالأحداث من تطورات الحرب ضد داعش في سوريا والعراق إلى مؤتمر وارسو ثم مؤتمر ميونيخ، والتصريحات الأميركية المتصاعدة ضد إيران، الأمر الذي غطى على خبر آخر لا ينفصل في تفاصيله عمّا سبق، وهو خبر اتهام ضابطة سابقة في القوات الجوية الأميركية بالتجسّس لصالح إيران.

وكشف عدد من كبار المسؤولين الأميركيين في مؤتمر صحافي عقد في واشنطن، الأربعاء، أن الضابطة السابقة في القوات الجوية الأميركية مونيكا ويت (39 عاما) متهمة "بكشف برنامج استخباراتي سرّي لصالح النظام الإيراني، وكشف هوية عميل استخباراتي أميركي ما عرّض حياته للخطر".

ووجهت إلى العميلة الأميركية السابقة إلى جانب أربعة قراصنة إلكترونيين إيرانيين، اتهامات بالعمل لحساب قوات الحرس الثوري الإيراني. واستخدم الأربعة أساليب هجمات إلكترونية لاستهداف ثمانية من عملاء الحكومة الأميركية "جميعهم عملوا في وقت واحد أو تفاعلوا" مع المشتبه به الرئيسي.

وقال جون ديمرز، مساعد وزير العدل لشؤون الأمن القومي، "إنه يوم حزين لأميركا عندما يخونها أحد مواطنيها". وتابع ديمرز قائلا "إن التجسّس من قبل أفراد سابقين أو حاليين من مجتمع الاستخبارات، يشكل تهديدا كبيرا لبلدنا وخطرا متزايدا على زملائهم السابقين".

وصدرت مذكرة اعتقال دولية بحق الأميركية التي تُعتبر فارة، والتي تثير قضيتها الكثير من الأسئلة حول الأسباب التي تدفع شخصا مثل ويت إلى الخروج عن القوات الجوية الأميركية وعالم المدافعين عن واشنطن، لتعمل جاسوسة لإيران، ألد أعداء بلدها، وفي فترة تعد من أكثر الفترات حساسية بين إيران وواشنطن، كما على الصعيد العالمي ككل.

كيميائي مغربي بين لوبيات السياسة ولوبيات الدواء

أنس الدكالي

يدير قطاع الصحة بصيغة «الوضع تحت السيطرة»

محمد ماموني العلوي

❏ وضعه فيروس إنفلونزا الخنازير تحت أضواء الاهتمام المحلي والدولي. يساري يشرف على قطاع ليس من السهولة التعامل مع تعقيداته وتحدياته ومتطلباته وخطورته، وزير الصحة الذي تم تعيينه قبل سنة ونيف جيء به من ميدان تدبير الكفاءات والشغل، لكنه فوجئ بأجواء من التمرد والاحتجاج من طرف شغيلة القطاع.

يمر أنس الدكالي هذه الأيام بضغوطات كبيرة، فزيادة على الاحتجاجات المتوالية لأطر وموظفي الوزارة وملحقاتها تلاحقه اتهامات بانعدام الكفاءة وغياب الجرأة السياسية في مواجهة الأزمات وصولا إلى تشويش واضح في كيفية تدبير تداعيات إنفلونزا الخنازير التي تفشت مؤخرا بعدد من المدن المغربية.

حصوله على الدكتوراه في الكيمياء الفيزيائية بكلية العلوم بالرباط أهله ليكون باحثا في المركز الوطني للطاقة والعلوم والتقنيات النووية، حيث تولى الإشراف على مختبر التحليلات البيئية بمنصب نائب رئيس الجمعية العالمية لخدمات التشغيل العمومي لمنطقة الشرق الأوسط والبلدان العربية، وقبل موقعه الوزاري كان مديرا عاما للوكالة الوطنية لإنعاش الشغل والكفاءات.

اختاره حزب التقدم والاشتراكية ليكون وزيرا للصحة بدل سلفه الوردي من نفس الحزب، ربما توسمت فيه قيادته الكفاءة، خصوصا وأنه شغل أستاذا بالكلية متعددة التخصصات بتازة وأستاذا للكيمياء التحليلية بكلية الطب والصيدلة بالرباط، وعمل عضوا بالمجلس الإداري للمركز الاستشفائي ابن سينا.

إضرابات وشارات سوداء

في أول خطوة يخطوها الدكالي داخل الوزارة، واجهته إضرابات الممرضين والأطباء الذين ارتدوا الشارات السوداء احتجاجا على قلة الموارد البشرية، وغياب الشروط الكفيلة بالعلاج، منها ضعف التجهيزات والمعدات البيولوجية الطبية، وغياب بعض الأدوية المهمة.

> بعض البرلمانيين المنتمين إلى حزب وزير الصحة يعملون ليل نهار على تبييض صفحته، واتهام الغير بالتشويش على منجزات رفيقهم، مؤكدين أن لوبيات الأدوية هي من تضع العصا في عجلة منجزات الوزير الحالي والسابق الذي قالوا إنه هدد في حياته

يحمله هؤلاء المسؤولية، فقد كان الدكالي إلى جانب بقية القيادات في حزب التقدم والاشتراكية نائبا بمجلس النواب، لكن هناك من يقول إنه ليس سياسيا بمعنى الكلمة بل تكنوقراطي يقبع تحت عباءة يسارية لإضفاء بعض المصداقية على وضعيته وزيرا داخل الحكومة.

الغريب أن وزير الصحة المغربي عمد منذ اللحظة الأولى لانتشار إنفلونزا الخنازير إلى اعتماد لغة التطمينات وتبسيط الموضوع إلى أدنى حد ممكن، لكن كثرة الإصابات بالعدوى في صفوف الأطفال والنساء وحتى ضمن بعض الطواقم الطبية تنسف مقولاته مئة بالمئة. ويبدو أن الدكالي لا يستمع إلى النواقيس التي تدق ليل نهار في مدن متعددة من خطورة المرض وانتشاره وأنه لا بد من التعامل معه بيقظة أكثر.

ولا أحد يعرف أين وزارة الصحة من تصنيف منظمة الصحة العالمية الأطباء والممرضين في المستشفيات ضمن أكثر الفئات عرضة للوباء. إذ بشكل رسمي تم تسجيل حالتين في صفوف الممرضين، دون الحديث عمن هم في حالة هشاشة من كبار السن والنساء الحوامل والأطفال، فغياب شروط الحماية من جانب الممرضين والأهل يجعل العدوى تنتقل بسهولة.

الأخطر هو تصريح علي لطفي رئيس الشبكة المغربية للدفاع عن الحق في الصحة، بأن "الوزارة لم توفر اللقاح المزدوج هذه السنة، والمهنيين يشتغلون دون قفازات طبية، ودون كمامات تقي من انتشار المرض. كما أن أدوات نظافة بدائية، مثل الصابون، لا تتوفر في أغلب المراكز الاستشفائية، تصريحات يستوجب أن تكون في علم وزير الصحة وأن يتولى الرد عليها بإجراءات عملية".

عدوى المظلومية من العدالة والتنمية

حتى أعضاء البرلمان دعوا الدكالي إلى قول الحقيقة للمغاربة، بعيدا عن التصريحات المتناقضة التي أسهمت في ارتفاع منسوب الخوف في نفوس المواطنين، محملين وزارة الصحة مسؤولية انتشار المرض وعدم وجود خطة استباقية وتوفير أدوية ولقاحات في الوقت المناسب، إلى جانب ارتفاع سعر الدواء المخصص لمعالجة الفيروس.

وكالعادة يبرر الدكالي ذلك باتخاذ وزارته عدة تدابير استباقية مع بداية الموسم الحالي لم يكن معمولا بها السنة الماضية، نافيا أن تكون وزارته قد تأخرت في توفير الدواء واللقاح للمغاربة، مبررا بالقول إن "جميع الأشخاص الحاملين لبطاقة التغطية الصحية (راميد) يستفيدون من علاج مجاني وليس بمقابل مادي كما يتم الترويج لذلك"، فهل أخذ الوزير عدوى المظلومية ونظرية المؤامرة من زملائه في العدالة والتنمية.

نفاد مخزون الأدوية يرجعه الدكالي إلى الإكراهات التي يطرحها قانون الصفقات، والتي تتجلى في الوقت الذي تستغرقه وتؤثر سلبا على نفاد المخزون، مؤكدا أن شراء الأدوية ليس صفقة عادية، والحل اعتماد الصفقات الإطار لمدة ثلاث سنوات مع القيام بالمراقبة الداخلية والافتحاص بشكل دوري وسنوي. إضافة إلى تأخر الاعتمادات في بعض الحالات، والمرصودة لشراء الأدوية، حيث أن هذا التأخر الذي كان يقع في سنوات، تغلبت عليه الوزارة سنة 2019 الحالية.

الفوضى التي يتخبط فيها القطاع الصحي الخاص والعام جعلت الناس يتذمرون من سوء الخدمات الصحية والبيروقراطية والمحسوبية المفتعلة وسياسة التمييز والخدمات المتدنية، وهي أحد مؤشرات الفشل في التدبير والاستباقية، لهذا تحدث الكل عن قرب إعفاء الوزير التقدمي الدكالي، الآتي من الوكالة الوطنية لإنعاش التشغيل والكفاءات "أنابيك" إلى وزارة ترتبط بالأمن الصحي للبلاد، من منصبه الحكومي، بعد تدبيره السيء لموضوع إنفلونزا الخنازير إلى جانب الاحتجاجات التي اجتاحت مرافق القطاع الذي يسيره.

لقد تم تعيين الدكالي في منصب مدير الوكالة الوطنية لإنعاش التشغيل والكفاءات، في العام 2015، في ما يراه البعض صفقة تبادل للمصالح بين العدالة والتنمية والتقدم والاشتراكية. فترأس الوكالة لمدة ثلاث سنوات. مشددا على أن تلك المؤسسة، تحت إدارته، تسعى إلى وضع أسس قوية لإدماج الطاقات والموارد البشرية في الحياة النشيطة، ومحاربة البطالة والهشاشة، والدفع بعجلة الاقتصاد نحو الأمام، لكن ذات المؤسسة نالتها أسهم الانتقاد من طرف من قالوا إن العقود التي أبرموها مع المشغلين كانت مجحفة بحقهم وأنهم تم استغلالهم.

كلام الدكالي كان مناقضا لما سجله المجلس الأعلى للحسابات في أحد تقاريره حول مجموعة من الاختلالات التي تشوب عمل الوكالة الوطنية لإنعاش الشغل والكفاءات. فقد تحدث أن عملية التعيين في المناصب داخل الوكالة لا تكرس الاستحقاق والشفافية المطلوبة، كما أكد وجود الكثير من الصفقات المفتوحة التي لم تتم تصفيتها داخل الوكالة والتي وصلت إلى 93 بالمئة من مجموع الصفقات المبرمة من قبل الوكالة.

وهكذا كان الدكالي موضع شكايات متعددة، تصفه بأنه يحابي من ينتمي إلى حزبه، وأن قراراته كانت مجانبة للصواب في العديد من المناسبات سواء في طريقة برمجة الحركة الانتقالية أو بخصوص تدبير شأن بعض الوكالات الصغيرة.

مشروع إصلاح الصحة

يعمل المغرب على تفعيل المخطط الصحي في أفق العام 2025، وإصلاح النظام الوطني للصحة الذي دعا إليه العاهل المغربي الملك محمد السادس. وهنا يؤكد وزير الصحة أن النتائج الجيدة للمستشفيات تشكل جزءا كبيرا من الرهانات الكبرى لهذا الإصلاح المدعوم برؤية تتأسس على مبادئ الاستمرارية والتضامن والقرب والمساواة والفعالية وجودة الخدمات.

وعد الدكالي أن جميع المستشفيات على الصعيد الوطني ستتجند حتى لا تكون هناك مواعيد مؤخرة لإجراء العمليات الجراحية لهذا العام. لكن الواقع يقول غير ذلك عندما تضرب المستشفيات مواعيد للمرضى إلى السنة المقبلة رغم أن هناك حالات تحتاج إلى الارتفاق بها ووضع حد للانتظار قبل فوات الأوان.

وبالفعل هناك مستشفيات تستحق التنويه بفعل مبادرات جيدة نذكر منها تلك العملية الجراحية غير المسبوقة وطنيا والتي جرت بتاريخ 7 فبراير الجاري بالمركز الاستشفائي الجامعي بفاس، تتعلق بالقسطرة الداخلية للقلب، وإغلاق حاجز الاتصالات بين البطينين، استفادت منها طفلة تبلغ أربع سنوات ونصف السنة، وهي ليست جراحة لفتح الصدر ولا القلب، بل بتقنية التواصل عبر شريان الفخذ صعودا إلى القلب لوضع الطرف الاصطناعي لسد الثقب، والتي استغرقت ساعة ونصف الساعة.

ويتضح أن أمام الوزير رهانات كبيرة للارتقاء بالوظيفة المثلى للمستشفى العمومي، وكذلك العناية بقطاع الصحة على المستوى الجهوي، واعتماد الحكامة الاستشفائية، ناهيك عن الالتحاق بركب الرقمنة بالمستشفيات المغربية وكذا أدوار المستشفى في التنمية المستدامة. وعدم الركون لوعود لن ترقى بالقطاع ككل.

هكذا قال الصيدلانيون المغاربة في مواجهة الدكالي، والوزير الذي سبقه. فأوضاعهم صعبة ويعيشون مشاكل متعددة وسيف الإفلاس موضوع على رقبة أكثر من 3 آلاف صيدلاني، في الوقت الذي لم تقدم الحكومة أي حل بالنسبة لهم.

وكل التعهدات التي تم تقديمها في أول خطوة لتخفيض أثمان الأدوية والتي تعهد وزير الصحة السابق الحسين الوردي بالوفاء بها، تم التنكر لها مجددا، وظلت الإجراءات المصاحبة التي التزمت بها الوزارة حبرا على ورق.

هكذا هي علاقة الصيدلانيين في المغرب مع وزير الصحة الذين لم يعد لهم صبر عليه، وفقدوا كل ثقة في الوعود الكلامية التي يقطعها، في ظل غياب إجراءات فعلية.

وحتى لا يتم اتهامهم بوضع الحجرة في الحذاء، قال هؤلاء للوزارة إن هناك عددا من الخطوات الإجرائية التي يمكن القيام بها دون أن يكلفها ذلك شيئا، كتحديد لائحة الأدوية والمستلزمات الطبية داخل المصحات والمستشفيات.

لكن بعض البرلمانيين المنتمين الى حزب وزير الصحة يعملون ليل نهار على تبييض صفحته، واتهام الغير بالتشويش على منجزات رفيقهم، مؤكدين أن لوبيات الأدوية هي من تضع العصا في عجلة منجزات الوزير الحالي والسابق الذي قالوا إنه هدد في حياته.

ولا نزال نتذكر أن الحكومة التي يشارك فيها حزب وزير الصحة الحالي والفائت رفعت شعارا بمحاربة الفساد، وعلى هذا الأساس كان التحالف بين حزبي التقدم والاشتراكية والعدالة والتنمية، لكن شبهات فساد طالت صفقات أدوية على صعيد الوزارة التي يديرها أنس الدكالي دفعت قضاة المجلس الأعلى للحسابات إلى فتح تحقيق في صفقات مديرية الأدوية والصيدلة للافتحاص، بعدما توصلوا بمعلومات دقيقة حول خروقات في تدبير صفقات بالمليارات ورطت مسؤولين وشركات.

التدقيق في تفصيل طلبات عروض مشبوهة، والتلاعب بتراخيص تسويق ومنح أذونات عرض في السوق ومساطر تسعير الأدوية للعموم، كانت مهمة لجان المجلس الأعلى للحسابات، ودفاع الدكالي في ما يرتبط بمسطرة صفقات الأدوية ارتكز على أنها مؤطرة بموجب قانون الصفقات والأشغال العمومية، مضيفا في السياق ذاته أن الصفقات التي تبرمها اليوم وزارة الصحة عن طريق طلبات العروض، هي مفتوحة ومتاحة لجميع المتنافسين، الذين تضمن لهم الوزارة كامل الشفافية والنزاهة التي يخولها القانون.

قضايا متفجرة

دون أن يقدم على إجراءات زجرية واضحة، اعترف الدكالي بوجود ظاهرة تغيبات الأطباء والممرضين دون مبرر في المراكز الصحية والمستوصفات، والمستشفيات، ما ينعكس سلبا على الخدمات الطبية المقدمة للمرضى خاصة حينما يتعلق الأمر بالحالات المستعجلة أو إجراء عمليات جراحية.

انفجرت في وجه الدكالي قضية فرض الأداء على مرضى السل، حيث طالبه نواب برلمانيون بإرجاع الأموال المستخلصة بموجب حق إلى أصحابها من المرضى الفقراء المعوزين المصابين بداء السل، وتساءل هؤلاء إن كان الوزير سيأمر بإيفاد لجنة من المفتشية العامة للوزارة، لفتح تحقيق في الموضوع، واتخاذ الإجراءات القانونية والإدارية لإرجاع الأمور إلى نصابها، والحد من هذه الممارسات المنافية للقانون.

الناس العاديون يريدون حلولا، ويضعون في اعتبارهم أن الوزير هو المسؤول عن توفير الدواء والمخول بالدفاع عن حقهم في العلاج، ولا يعنيهم أي شيء آخر. ما يقض مضجع الفئة الهشة بالمجتمع هو الذهاب إلى المستشفى للحصول على دواء الإنسولين فلا يجدونه، وهذا ما حدث بالفعل في عدة مراكز صحية، إذ هناك من يؤكد أن هناك أيادي تخفيه عنوة لدفع الناس إلى اقتناء حقن الإنسولين والأقراص من الصيدليات. وبالطبع الوزير الدكالي ينفي ذلك ويؤكد أن الوضع تحت السيطرة.

● الدكالي يعاني هذه الأيام من ضغوط كبيرة، فزيادة على الاحتجاجات المتوالية لأطر وموظفي الوزارة وملحقاتها، تلاحقه اتهامات بانعدام الكفاءة وغياب الجرأة السياسية في مواجهة الأزمات.

● وزير الصحة المغربي يكرر منذ اللحظة الأولى لانتشار إنفلونزا الخنازير لغة التطمينات وتبسيط الموضوع إلى أدنى حد، لكن كثرة الإصابات في صفوف الأطفال والنساء والطواقم الطبية تنسف مقولاته.

رائد التجريب الفني في بلاده

عبدالله الشيخ

الرسام المحتج بين هجاء الواقع ورثائه

فاروق يوسف

❏ الموسيقى، الإنسان، العمارة ومن حولها شبح الحرب. كيف يتمكن الرسام من ضبط إيقاع توتّره الروحي لينال في خضم ذلك النزاع حصته من جمال مهدد بالزوال؟

سؤال صعب يمكن لرسام وصل بفنه إلى حافات التجريد مثل عبدالله الشيخ أن يجيب عليه. سعة خبرته بالمواد وتمرده على النظريات المحلية المتاحة ومهارته في الاستسلام لخياله وكفاءة يده التي شغفت بالتقنيات الحديثة، كلها عناصر أهّلته لأن يقف أمام العصف بقوة دفاعه عن الجمال.

المتمرد بعصا المايسترو

أخذ الشيخ من المحترف الفني العراقي الشيء الكثير، غير أنه تحرر منه حين أنصت إلى الهمس الذي ينزلق على أعشاب الصحراء حاملا إلى الأفق نداءات خفية وحين تمكن من استيعاب تجارب الفنانين العالميين الذين تأثر بهم وألهمته رسومهم وفي مقدمتهم الأميركيان روبرت راوشنبرغ وجاسبر جونز.

> المحترف الفني العراقي ينهل منه الشيخ الكثير، غير أنه تحرر منه حين أنصت إلى الهمس الذي ينزلق على أعشاب الصحراء حاملا إلى الأفق نداءات خفية وحين تمكن من استيعاب تجارب الفنانين العالميين الذين تأثر بهم

لم يستسلم لنداء البيئة التي هو ابنها بقدر ما حاول أن يطوعها لنداء حلمه الداخلي. لم يسع إلى التشبّه بها بالرغم من إعجابه بمفرداتها بل سعى إلى أن يظهرها كما لو أنها جزء من صنيعه الفني. الحيلة ذاتها سيمارسها مع الإنسان. الظل الذي يظهر شبحيا في عدد من أعماله كما لو أنه على أهبة الاستعداد للمغادرة. بالنسبة للشيخ فإن أثر الإنسان هو بمثابة خلاصة وجود.

تحيط فكرة الأثر المكان والإنسان بما تنطوي عليه من خيال تصويري، هو في حقيقته أشبه باستعادة حلمية لأحداث يمتزج من خلالها الواقعي بالوهمي ليصنعا تاريخا مجاورا. غير أن الموسيقى هي شيء آخر. كان تأثير الموسيقى حاسما في حياته.

الشيخ هو من أكثر الفنانين العرب الذين تعلموا كيف يمكن أن تنتج المعادلات الرياضية جمالا، لا يخضع لما هو متداول من وصفات جاهزة. كل ضربة إيقاع هي بالنسبة له إيذانا بولادة أثر خالد. وهو ما جعله ينظر إلى الصنيع الفني باعتباره جزءا من ملحمة البقاء.

لديه ما يكفي من الأسباب لكي يمشي في أثر جده السومري جلجامش.

الشيخ هو الرائد الحقيقي للحداثة الفنية في المملكة العربية السعودية، غير أنه لا يعتد كثيرا بذلك اللقب. تلك مسألة لا تدخل في حساباته وهو الذي لا يرغب في أن ينافس أحدا.

كنت سعيدا بلقائه ذات مرة. لكن أين ومتى جرى ذلك اللقاء الذي لا يزال ينفث هواءه في ذاكرتي، فهو ما لا أتذكره. سرّني يومها أنه لا يزال ممسكا بعصا المايسترو وهو يتوقع أن الموسيقى ستنبعث من حولنا في أية لحظة.

متعة الساحر في شغبه

ولد عام 1936 في بلدة الزبير بمدينة البصرة، جنوب العراق. أنهى دراسة الرسم في معهد الفنون الجميلة ببغداد عام 1959. بعدها درس فن التصميم في بريطانيا وتخرّج عام 1965. تأخر في إقامة معرض شخصي حتى عام 1982 هو المعرض الذي أقامه في مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية. يُعتبر معرضه "أشياء من هذا العصر" الذي أقامه عام 2007 خلاصة تحولاته الفنية عبر أكثر من عشر سنوات حيث ضم ذلك المعرض تجاربه بدءا من عام 1995.

يمكن القول إن الشيخ هو رائد التجريب الفني في السعودية. من خلال رسومه يمكن رصد تحولاته الفنية التي كان يعبّر من خلالها عن انتمائه إلى العصر، من غير أن تتمكن منه عقدة الهوية وهو الذي كان حريصا دائما على أن يتماهى مع تأثير المكان بقيمه الجمالية الخاصة.

غير أن الشيخ استطاع أن يحرر تلك القيم من سكونية إيقاعها حين تمكن من تطويعها ومن ثم استدراجها إلى مناطق خيالية تتيح له القيام بنزهاته المريحة التي لا ترتبط بهدف بعينه.

بالنسبة له لم يكن وصف المكان هدفا بل كان يستعمل مفردات ذلك المكان لتكون جزءا من عالمه الجمالي الذي صار ينشئه مشدودا إلى وعد إنساني لا ينضب بالمتعة.

بقدمي جندي ضائع

في بداياته مارست مفردات العمارة المحلية سحرها عليه، فكان يرسم القباب والأهلة والأقواس وسواها من المفردات التي وجد فيها ضالته التجريدية من زاوية هندسية، وهو ما جعله قريبا من إلهام الزخرفة الذي نقله إلى مستوى الإحساس بالإيقاع البصري الذي يهب الموسيقى أشكالا تجسدها كما لو أنها وقائع مرئية.

في مرحلة لاحقة صار الرسام يزاوج بين النظرة الواقعية وطريقة صياغة الواقع باعتباره حدثا غرائبيا. وهو ما جعله قريبا من السريالية من غير أن يكون سرياليا كاملا. أما حين انتقل إلى ما يمكن أن يُسمى بالتجريدية العضوية، فإنه صار قادرا على إعادة صياغة المرئيات لتظهر في رسومه كما لو أنها أشكال مستقلة، التقطها الفنان من العدم.

لم ينج شيء من شغبه الذي يعبر عن شغفه بثلاثيته الخالدة "الموسيقى. الإنسان. العمارة".

يقول الشيخ "أتصوّر أن كل خطوة أثناء رسم اللوحة هي تجربة جديدة بحد ذاتها، وهذه التجربة قد تتحوّل إلى مشكلة، أو لنقل أحجية أثناء الرسم. فيبدأ الرسّام بالعمل على حل المشكلة أو حل الأحجية، وحين يصل إلى وضع الحلّ، فإنه يشعر بلذة كبيرة، هي اللذة التي يجدها كل فنان حين يقتنع بأن عمله الذي يقوم به قد أشرف على الانتهاء، وهذا ينطبق على كل أنواع الفنون والفنانين".

ذلك وصف بليغ للرسم باعتباره حالة نفسية. الرسام هنا يلعب دور الصانع الذي يبحث من خلال صنيعه عن حل للغز، هو في حقيقته لغز حياته باعتباره رساما. يتضمن ذلك الحل على معنى أن يكون المرء رساما في عالم، يعيش تحولاته على وقع الخوف والذعر والقتل والخراب المبيت.

الحرب كانت واحدة من أشد الصدمات تأثيرا على أسلوب الشيخ في البحث عن حلول لمشكلاته الشخصية في ما يتعلق بوظيفته رساما. غزارته في إنتاج أعمال فنية تدور حول محور الحرب كانت تعبيرا عن رغبته في الاحتجاج على ما بدا له كارثيا من أحوال العالم العربي بعد احتلال الكويت والحرب التي دمّرت العراق في السنة الأولى من تسعينات القرن الماضي. لقد مشى الشيخ يومها على أرض الرسم بقدمي جندي ضائع.

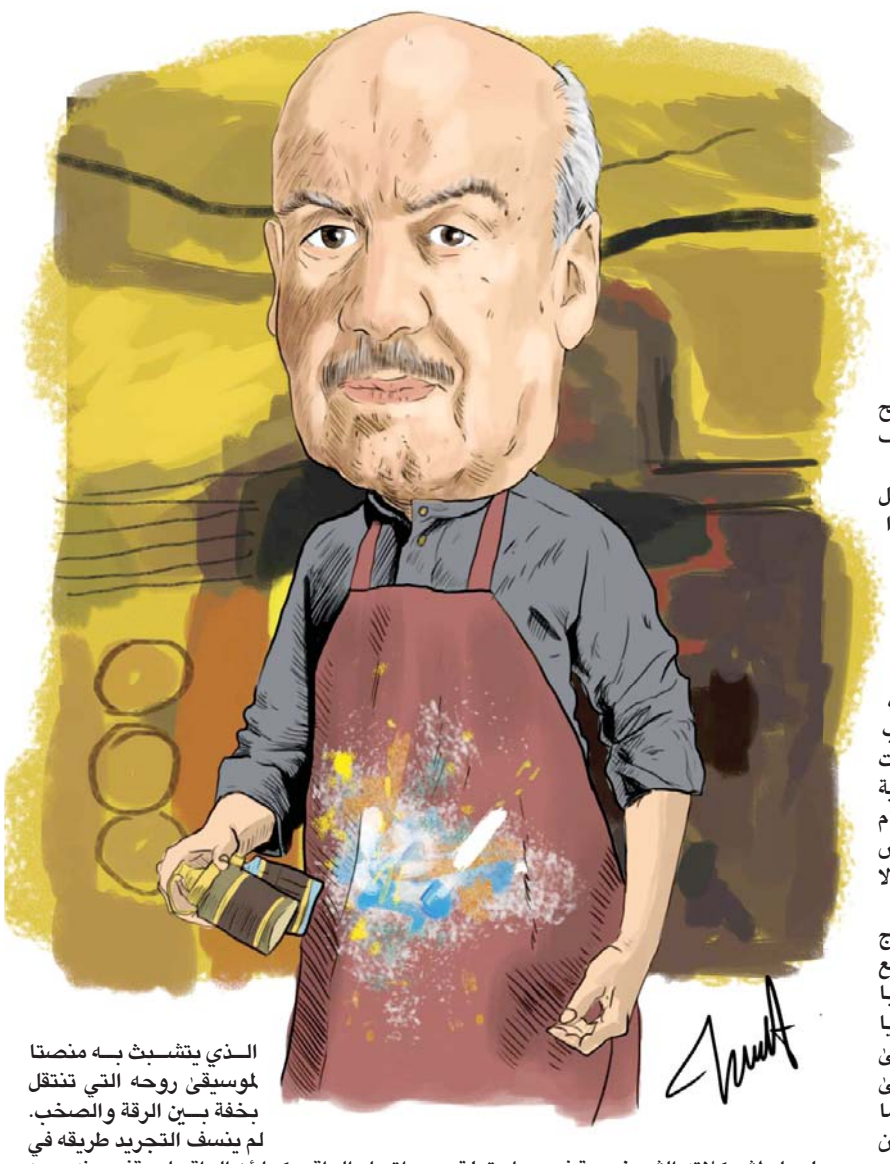

التجريد وهو خلاصه

تغير العالم فتغير الرسم. لجأ الفنان يومها إلى استعمال المزيد من التقنيات التي تشرك العالم الواقعي شاهدا في الإدانة.

أعمال الشيخ الفنية في تلك المرحلة كانت تمزج بين الهجاء والرثاء. هجاء الواقع ورثاء ذاكرته التي انفصل عنها. وهو يطارد ألغازا وأحجيات. غير أن عينه تظل في الوقت نفسه مصوبة في اتجاه الإنسان. تلك الفريسة التي تتجاذبها قوى خفية.

غنائي عذب هو الشيخ، وهو في الوقت نفسه محتج عنيد. رسومه تشبهه. هي أثره الذي يتشبث به منصتا لموسيقى روحه التي تنتقل بخفة بين الرقة والصخب. لم ينسف التجريد طريقه في اتجاه الواقع، كما أن الواقع لم يقف بينه وبين الذهاب إلى حديقة أحلامه التي تظل مفتوحة على التوقعات التي تقترحها مواد، صارت تتدخل في صياغة مصير الرسم.

الشيخ هو رسام صاحب رسالة إنسانية. ما يميّزه عن سواه أنه لا يرى للإنسانية من حل للخروج من مأزقها إلا عن طريق الجمال الخالص. في أشد حالاته واقعية يظل الرسام مسكونا بتجريد، هو التعبير الأمثل عن خلاصه.

> أعمال الشيخ الفنية تمزج بين الهجاء والرثاء. هجاء الواقع ورثاء ذاكرته التي انفصل عنها، وهو يطارد ألغازا وأحجيات. غير أن عينه تظل في الوقت نفسه مصوبة في اتجاه الإنسان. تلك الفريسة التي تتجاذبها قوى خفية

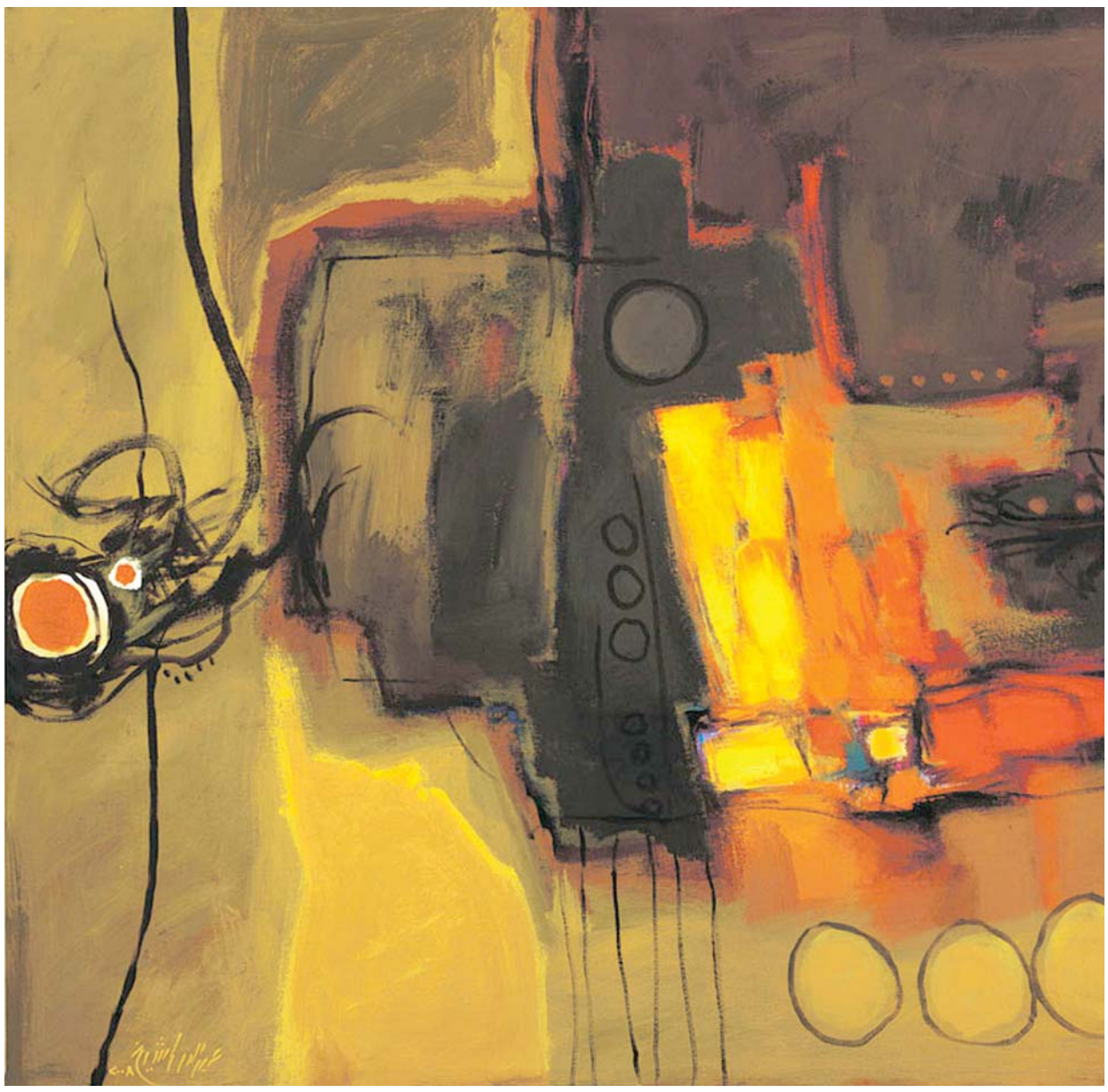

أدب الاعتراف: كتابة الذات في الثقافة العربية

للمرة الأولى في الصحافة الأدبية المعاصرة يجري التطرق لقضية أدب الاعتراف، ونعني به أدب السيرة الذاتية بمفهوم شامل يتسع لكل كتابة ذات طابع ذاتي تتحدث عن الأنا في علاقتها بعالمها. والواقع أن غياب أدب الاعتراف في الثقافة العربية هو علامة ودليل على تضعضع مكانة الذات في المجتمع، وضعف الفرص أمامها للتعبير عن مكنوناتها وتجاربها وخبراتها وتطلعاتها، والأهم نظرتها العميقة إلى نفسها، انطلاقا من فرصة امتحان القدرة الذاتية واختبارها في مجتمع يتيح لها ذلك.

والواقع أن مجتمعات أبوية مفرطة في تكبيل الأجيال الجديدة بقيم وأفكار بالية أشبه بالقيود على الأيدي والأحجبة على العيون، إنما تخلق بدلا من الذوات الحرة، نسخا متكررة من الأشباه المتحدرين من صلب آباء ظلموا، بدورهم، عندما لم يتمكنوا من تحرير ذواتهم من حبل القطيع المسيّر المساق إلى قدره الاجتماعي الأعمى. فما الذي تملكه ذوات لم تتحقق حتى يمكنها أن تعبر في يوميات ورؤى ذاتية عما يفترض أنه وجودها الشخصي، حتى لا نقول إرادتها الخاصة؟

إن حق التعبير عن الذات يفترض أولا وجودا حيّا وحرّا وبالتالي فعّالا لتلك الذات، بعد ذلك نطالبها بموقف من وجودها ومن عالمها.

لم تنتج الثقافة العربية، على كثرة ما قدمته من نصوص "ذاتية" في سياق مغامرتها الأدبية والفكرية الحديثة، منذ مطلع القرن العشرين وحتى اليوم، سوى القليل جدا من النصوص التي يمكن الإشارة إليها بوصفها علامات على أدب الاعتراف. سنترك للدراسات والمقالات المنشورة في هذا الملف أن تسهم في رسم صورة هذا النوع الأدبي في ثقافتنا العربية المعاصرة.

وندعو في الوقت نفسه النقاد والفلاسفة والأدباء العرب إلى إغناء هذا الملف ونقده وتقديم الإضافات الممكنة على ما جاء فيه، بما يحرك الساكن ويثير السؤال ويفتح الأبواب على مساهمات جديدة.

وإذا كنا قد تركنا المجال في هذا العدد أوسع لقراءة الظاهرة والتفكر فيها، فإن "العرب" كما "الجديد" تعد قراءها بفتح الباب واسعا في أعدادها المقبلة أمام النصوص الاعترافية وأدب السيرة الذاتية واليوميات في الثقافة العربية.

وجهان لإنسان واحد: أعترف لك لتعترف بي

عفراء قمير طالبي
شاعرة وباحثة من الجزائر

❏ يرسم لنا الحديث عن سؤال الاعتراف مسارين يبدوان للوهلة الأولى بأنهما متمايزان من حيث دلالة المفهوم فلسفيا وأدبيا غير أنهما يحتفظان بماء التشكل الأول ذاته ورعشة التفتق البكر للفكرة، وهما بذلك يلتقيان لقاء الفرع بالأصل.. مسارٌ يظهر لنا رسوخ المفهوم في حقل الدراسات الفلسفية، ولعلّ العودة إلى الكتابات المبكرة في الموضوع تحيلنا دونما الكثير من التفكير إلى اعترافين شهيرين كان لهما بالغ الأثر في تاريخ الفكر الفلسفي. ونتحدث هنا بالطبع عن اعترافات القديس أوغسطين ومن بعده جان جاك روسو ثمّ ليون تولستوي الذي استرفد من هذا وذاك، وهلمّ عركا للمسألة وصولا إلى أكسيل هونيث (A.Honneth).

فلماذا نبدأ بأكسيل هونيث ولماذا هذا القفز السافر؟ إنّ ما يهمّنا في هذه الورقة المقتضبة ليس رصد تحولات المفهوم وضبطه وفق معطى كرونولوجي معيّن، وإنما إبراز الانعطافة الحديثة لما بات يعنيه كل من أدب الاعتراف بما هو إفصاح ومكاشفة (Une confession).

والاعتراف (La reconnaissance) راهنا بوصفه الرؤية أو الصيغة النقدية المتأخرة التي عنيت بطرحها مدرسة فرانكفورت. يعتقد صاحب كتاب "الصّراع من أجل الاعتراف" بأنّ نظرية هابرماس التي استندت إلى قواعد لغوية صورية في عملية التواصل قد غفلت عمّا يعرف بالتجارب الأخلاقية للجور الاجتماعي وهو بهذا (أي هونيث) يسعى لبلورة براديغم جديد مجاوز في نطاق ما يسمى إجمالا بالاعتراف.

ليس خفيّا على أحد بأنّ التجربة الهونيثية في هذا المجال قد تأسّست على أفكار هيغل خاصة في رصد صراعات العلاقة بين "العبد والسيّد"، فهو يرى بأنّ العلاقات الاجتماعية بما هي علاقات "تذاوت" تروم في الأخير تحقيق الاعتراف المتبادل، لأنّ الوعي بالذات لا يحدث خارج العلاقة جملة وتفصيلا (علاقة الذات بالآخر)، وهذا ما بيّنه من بعده بول ريكور (P.Riceour) حين قال بأنّ الاعتراف هو قبل كلّ شيء اعتراف متبادل بين ذاتين ووعين، أو هو بالأحرى تعارف يتجاوز المعرفة البسيطة حول الشرط الإنساني للآخر، فالعنصر المعياري الحاسم الذي يكون حاضرا في الحياة اليومية يغيب عن وصف هابرماس التواصلي لها، الحياة الجسدية والانفعالية والنفسية هي الكفاح من أجل نيل التقدير الاجتماعي لأنّ المسائل الأخلاقية لا تتبدّى فقط أثناء عملية التواصل الحواري الخاضع لشروط المناقشة والحجاج، وإنّما هناك ذوات حاملة لها تصبو إلى تحقيق الاعتراف في أبعاده الأخلاقية والاجتماعية والقانونية.

لهذا تمخضت رؤية هونيث في ما نسمّيه نظرية أو فلسفة الاعتراف عن ثلاثة مجالات بيذاتية هي: الحبّ والحق والتضامن، متناسبة مع ثلاثة نماذج لتحقيق الذات: تحقيق الثقة في النفس، تحقيق احترام الذات وأخيرا تحقيق التقدير الاجتماعي.

ومسارٌ تظهر فيه الحاجة إلى الاعتراف أمرا ضروريا ومطلبا وجوديا به يتحدّد الكائن البشريّ على أنّه الكائن الذي لم يُعهد إليه بالانهمام بالذات كما أشار أبيكتيتوس (Epictète) في محادثاته وحسب بل هو الكائن الذي يعبرّ عن الذات اعترافا. وقد أوضحت الفيلسوفة الإسبانية ماريا زامبرانو (Maria Zambrano) في كتابها "الاعترافات، جنس أدبيّ" بأنّنا لا نكتب تلبية لضرورة أدبية ولكن التعبير عن الحياة هو الضرورة.

ومن المعلوم أنّ الاعترافات – التي أصبحت جنسا أدبيا يمكن تمييزه عن الرواية والشعر والقصّة- في أصلها ومنبتها هي الطقسُ الدينيّ المسيحيّ الذي يكشف من خلاله المرء عن أخطائه وتجاوزاته طلبا للمغفرة وتحرّرا من الآثام، إنّه نوع من التعرّي والمكاشفة في حضرة الرّب/الوسيط، ليس إفصاحا كليّا وإقرارا عاما بالخطأ وإنمّا عرض لأدق تفاصيل هذا الخطأ وأكثرها إحراجا من الناحية الأخلاقية، لهذا يظهر الاعتراف أو الإقرار بالذنب في تعريفات معجم الديانة الكاثوليكية على أنّه سرّ التوبة (Le sacrement de pénitence).

ومن هنا نلاحظ أنّ المفهوم الأدبي للاعتراف يتصّل بالمفهوم الكنسيّ أو الديني ومن ثمّة ظهر ما يعرف بأدب السيّر الذاتية والمذكرات (le journal intime). ولئن كان الاعتراف عند أكسيل هونيث هو نوع من الاسترجاع الأفقي ذي الأصل الهيغيلي لمفهوميْ الوعي بالذات والوعي بالآخر ضمن إشكالية تطرح حدود العلاقة بينهما صراعا يغذيه الاختلاف، علاقة من حيث هي "رغبة" في تثبيت هذه الاختلافية عبر إثبات الذات وحقها في نيل الاعتراف، فإنّ هذا الأخير –أي الاعتراف– يتخذ له مفهوما مغايرا كما تبناه صاحب مدينة الله، إذا ما ركّزنا على ما تتقوّم به وعليه علاقة الذات بذاتها وبربها ضمن سياق تطهيري صرف لا مكان فيه للآخر سوى الذات بما هي آخر إن شئنا توريط رامبو في المسألة، ألم يكن هو من اعترف في "فصل من الجحيم" "... كانت حياتي وليمة تتفتّح فيها كلّ القلوب، وتسيل كلّ الخمور"؟

ينبجس من كلّ أدب اعتراف أو ما يصطلح عليه في اللسان العربي بالسيّر الذاتية صراع مرّ بين شيء يخصّنا ويعنينا كما تشير ماريا زامبرانو وشيء آخر يظهر غريبا وعدّوا بالرغم من أنّه منّا ويحمل أسماءنا في الاعتراف، يشعر كلّ إنسان بأنّه قطعة ناقصة وحين الخروج منها.

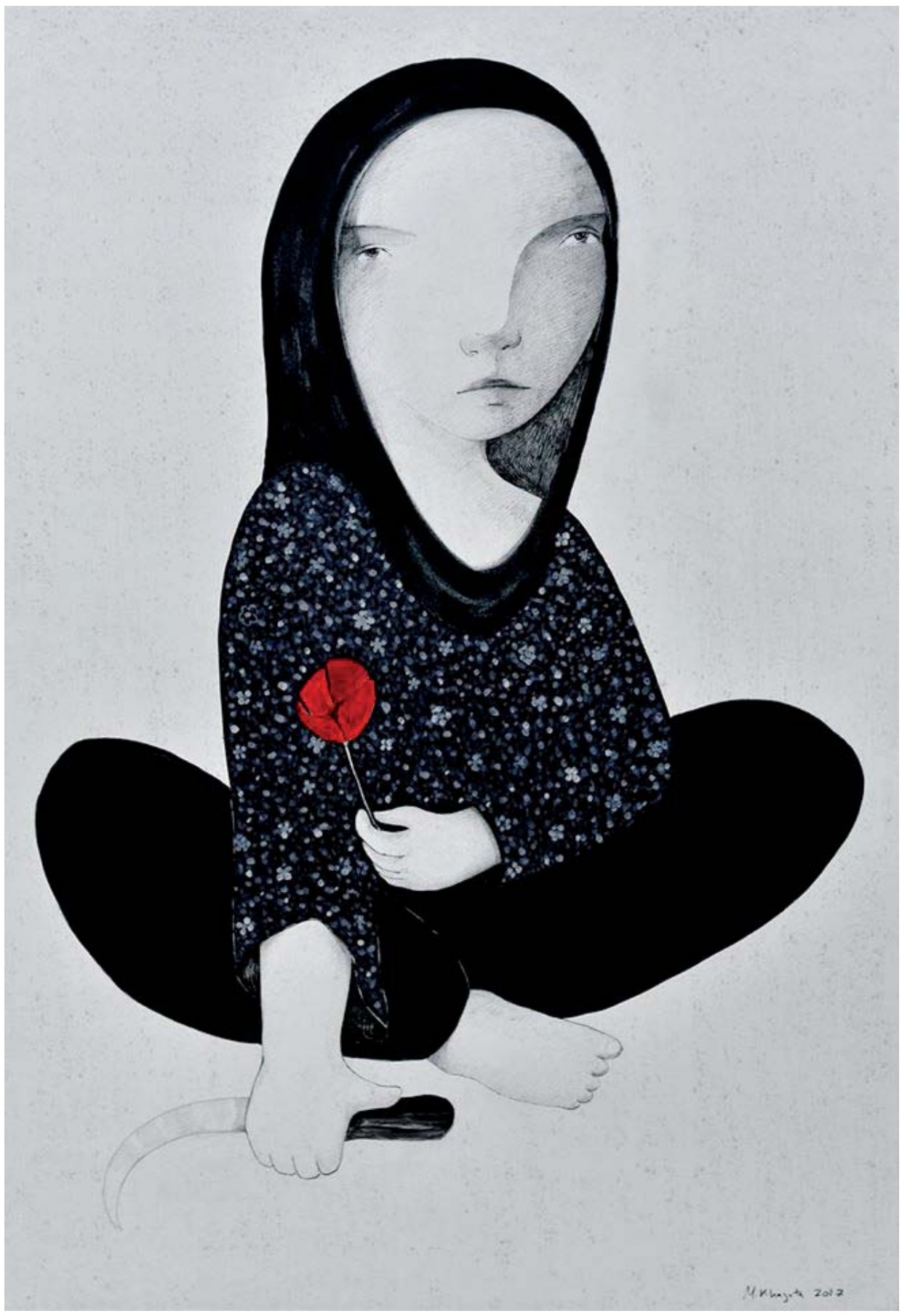

الرسمة للفنان محمد خياطة

استتروا

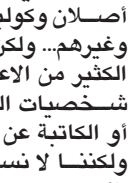

روزا ياسين حسن
كاتبة من سوريا

❏ ندرة الكتابات العربية التي تندرج ضمن ما يسمى أدب الاعتراف تعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الثقافة العربية والإسلامية، وجوهرها الذي يتجلى في مقولة: وإذا ابتليتم بالمعاصي فاستتروا. التستر على المعاصي في العرف العربي الإسلامي أفضل من فضحها.

في الغرب الأمر معاكس، يتأتى ذلك من سيادة ثقافة الاعتراف لديهم والآتية من الديانة المسيحية. لذلك نلاحظ كثرة كتابات أدب الاعتراف لديهم. بمعنى الاستتار بمقابل الاعتراف. تلك الثقافة تؤثر على المنظومة الاجتماعية بالعموم والتي تسيطر على المجتمعات كأعراف وتقاليد وأخلاقيات شعوب، في بعض الأحيان أكثر من سيطرة الأديان، لأنها متجذرة في عمق التربية واللاوعي الجمعي للأفراد، لذلك فمن الصعب بمكان التخلّص منها حتى لو تخلّص الأفراد عن وعي من السيطرة المباشرة للدين والمنظومة الاجتماعية السائدة.

فأدب الاعتراف ليس ذكريات مجتزأة ومنتقاة، كما لا يمكن أن يكون تزييناً وتلميعاً لصورة الكاتب أو المحيطين به، بل هو تعرٍّ كامل أمام القارئ بدون أي رتوش، الأمر الذي يبدو شديد الصعوبة في مجتمعاتنا العربية التي تعاقب قائل الحقيقة بالنبذ، على أقل تقدير، وقد تصل العقوبة للقتل أحياناً!

كتب في الأدب العربي سير ذاتية أكثر بكثير مما كتب أدب اعتراف، فهما أمران مختلفان، يمكننا أن نعتبر ما كتبه محمد شكري ولويس عوض أدب اعتراف بما حواه من مكاشفة شجاعة، أما السيرة الذاتية فهي تعتبر تسجيلية أكثر، انتقائية، وأكثر بعداً عن التعرّي والبوح، الأمر الذي كتبه الكثير من الأديبات والأدباء العرب كطه حسين ونوال السعداوي ورضوى عاشور وإبراهيم أصلان وكوليت خوري وليلى العثمان وغيرهم... ولكن ينبغي ألا ننسى أن هناك الكثير من الاعترافات تتلطّى تحت ظلال شخصيات الرواية دون إفصاح الكاتب أو الكاتبة عن أنها من حياتهم الخاصة. ولكننا لا نستطيع أن نصنفها بكل الأحوال باعتبارها أدب اعتراف.

الكاتبة والكاتب العربيان يعانيان بالعموم من رقابات سياسية ودينية واجتماعية وحتى ثقافية متشابهة، وخصوصاً حين يتطرق أحدهما للحديث عن التابوهات الثلاثة المعروفة الدين والجنس والسياسة. أما الكاتبة العربية فتتفرد بمعاناة مضاعفة عن زميلها الرجل باعتبارها امرأة في مجتمع ذكوري مسيطر، يعتبرها ملكاً للرجل، وموضوعاً للكتابة أكثر منها ذات إبداعية، ويحاصرها بقيود اجتماعية ثقافية تكبّل حريتها بشكل متطرف. فكثير من الكاتبات العربيات عانين من إسقاط ما حدث مع شخصياتهن الروائية على حيواتهن الشخصية، وحوكمت الكثيرات منهن بناء على تأويل نصوصهن وتفسيرها، فما بالك لو كتبن أدب اعتراف!

ولكن وعلى الرغم من كل ما قلته فالكتابة هي صنو للشجاعة ولمحاولة تغيير السائد ومجابهة السلطات المختلفة.

ينشر المقال بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

المرأة لن تعترف

زينب العسال
كاتبة من مصر

❏ بدأ أدب الاعتراف في أوروبا. كان طقسًا كنسيًا، له الفضل في ظهور هذا النوع الأدبي، ارتكازًا إلى أن "الاعتراف" يعني تطهر المعترف من الخطايا والذنوب.

ولعل اعترافات القس أوغسطين الصادمة، هي أول ما عرفناه كنوع أدبي له سماته، فقد انتشرت كتابات الاعترافات في أوروبا أوائل القرن الثامن عشر، وهي الفترة اللاحقة لصدور اعترافات أوغسطين.

الاعتراف يعنى أن يعترف الإنسان على نفسه، بقوله فعلت كذا وكذا، وقلت كذا، وهو أيضًا شهادة على الآخرين المشاركين في الفعل، المقصود بالاعتراف هو البوح الصريح، أو الكشف عن المستور، الذي فُعل من قبل، إنه جزء من سيرتنا، الاعتراف في الكنيسة بين رجل الدين والشخص المعترف، أما "أدب الاعتراف" فهو اعتراف على الملأ لكل أفراد المجتمع، ولجميع القراء.

بالطبع، فإن فكرة الاعتراف، تتنافى مع فكرة تجميل ذواتنا وتاريخنا وسيرتنا، ثمة من يخلق أسطورته، أي يذكر - على سبيل المثال - أنه من أصول تنتسب إلى الرسول "صلى الله عليه وسلم" أي من الأشراف، أو من الأولياء، أو أنه من أسرة غنية كانت تمتلك الأراضي والدور، ولكن الزمن فعل فعلته، إلخ..

الحقيقة أننا نشأنا في مجتمعات تتواطأ مع الكذب، فالاعتراف بالحقيقة، يعد صدمة للمجتمع ولعاداته ومعتقداته، إنه فكرة لا يصح أن تنتشر بين أفراد المجتمع الصالح، إنما علينا أن نذكر الفضائل والحسنات، ونخفي الأخطاء والعيوب والنقائص، أي نتجمل ونزيف، وفكرة الاعتراف في مجتمعاتنا مرتبطة بفكرة الحلال والحرام.

لا يقبل الأدباء على كتابة أدب الاعتراف، لأن ذلك يتسبب في "جُرسة" وكسر للحدود والتابوهات، وانتقاص من هيبة ومكانة الأديب، وفقده احترام الآخرين.

لن نجد أدب الاعتراف في مدوناتنا العربية، لأننا نرفض الكشف والصراحة والتعري النفسي والوجداني أمام الآخرين، أحيلك إلى كل ما يكتب على صفحات الفيسبوك، لن تجد إلا التأنق، فلا ينقصنا إلا أجنحة الملائكة، فكلنا أنقياء طيبون، أما الاعتراف فهو يؤكد على ضعفنا وبشريتنا وارتكابنا الخطايا والشرور.

عندما نقرأ أدب الاعتراف في كتابات جان جاك روسو، أو أوسكار وايلد، أو أندريه جيد، أو بدلدوين، أو جان جنيه، وغيرهم، نجد أننا أمام كتابة تعترف بالنقائص، وتقدم تأملات الذات، وإعلائها، وليس للحط من قدرها، بل تقول إنها قادرة على المواجهة، وتعتز بتحديها للنفاق والكذب، أدب الاعتراف يحتاج إلى مبدع لديه شجاعة المواجهة، ومواجهة النفس أولًا، ومواجهة المجتمع ثانيًا، يساعد الكاتب على هذا، المناخ أو البيئة الثقافية والتربية الحاضنة، فهي التي تثمن الاعتراف وتقدره. والدافع هو التخلص من الخوف والخجل.

كيف يسمح لكاتب عربي أن يكتب أدب الاعتراف على مدونة عربية؟

إذا كان يتحاشى الكتابة الورقية في هذا اللون الأدبي، فإن الكتاب له متلقوه، وهم قله في وطننا العربي، بضعة آلاف من النسخ، تطبع، وتوزع هنا أو هناك، أما المدونة فهي مفتوحة للجميع، لكل من يتصفح على وسائل السوشيال ميديا، وهم بالملايين، أي أن الفضيحة تصبح " بجلاجل"!، وتنهال التعليقات، والسخرية، والشتائم على الفور، فأين هذا الكاتب الذي يقوى على ذلك؟

منذ سنوات قدمت الإذاعة المصرية برنامجًا بعنوان "اعترافات ليلية". كان يذاع في وقت متأخر من الليل. أعتقد أن اختيار الوقت كان مقصودًا، فلأجل أن لا يكون البرنامج جماهيريًا، ويواجه انتقادات، رغم هذا، فقد صوبت إليه سهام النقد من قبل بعض الأقلام، التي اعتبرته برنامجًا يحض على الرذيلة.. وبعد فترة توقف البرنامج!.

وأذكر أن إحدى الكاتبات تحدثت في ندوة عن تجربتها الشخصية، فلاقت هجومًا عنيفًا وصل حد التجريح، فآثرت الابتعاد عن الوسط الثقافي. هذا هو جزاء كل من يتخطى حدود المقبول في مجتمعاتنا العربية.

كتب بعض مبدعينا أدب الاعتراف في صيغتين: الأولى روايات مثل "المرايا" لنجيب محفوظ. كل شخصيات الرواية التقى بهم محفوظ، وهم شخصيات حقيقية، قدمهم، وقدّم رأيه وموقفه منهم، كذلك ما فعله الطيب صالح في "موسم الهجرة إلى الشمال" وأحمد إبراهيم الفقيه في ثلاثيته، أما الصيغة الثانية فتتمثل في السيرة الذاتية كما هو الحال في "أوراق العمر" للويس عوض الذي تحدث فيها عن علاقته بأفراد أسرته: بأبيه وأخيه الأصغر وإخوته، كشف لويس عوض الكثير من الأمور، وخصوصًا علاقته المتوترة بأبيه. وكتب محمد جبريل سيرته الذاتية في "حكايات عن جزيرة فاروس و"أيامي القاهرية" و"الحياة ثانية"، و"مقصدي البوح لا الشكوى" وجمال الغيطاني في "التجليات"، و"أيام الحصر"، وسيرة شكري عياد، "ذكريات" رفعت السعيد، و"بيضة النعام" لرؤوف مسعد، و"رأيت رام الله" لمريد البرغوثي. الاعترافات تأتي في ثنايا العمل الإبداعي وليست مقصودة لذاتها، لا يمكن - بالطبع- أن نغفل "الأيام" لطه حسين، و"عصفور من الشرق" و"سجن العمر" و"من ذكريات الفن والقضاء" لتوفيق الحكيم، و"أنا" و"عرفت هؤلاء" للعقاد و"حياتي" لأحمد أمين.. وما كتبه ميخائيل نعيمة، وأحمد فارس الشدياق، وغيرهم.

لم تجرؤ المرأة العربية أن تكتب "أدب الاعتراف"، وإن يجدر بنا التوقف عند مذكرات الأميرة العمانية "وليم" - باللغة الألمانية - التي تتأرجح بين السيرة الذاتية والاعتراف.

لوحة نهاد ويشو

هل هناك أدب اعتراف في الثقافة العربية

عامر درويش
كاتب سوري مقيم في لندن

❏ أدب الاعتراف هو من الآداب الحديثة في العالم العربي، بعكس أدب التراجم (كتابة النفس) الذي له باع طويل في الثقافة العربية والإسلامية، بفضل نتاجات أدباء وروّاد من أمثال الإمام الغزالي.

هذا النوع من الأدب يعتبر حديث الولادة، أو ربما حتى أنه لم يظهر بعد في بلدان المشرق العربي، بينما وصل الباحثون والأساتذة في الغرب إلى درجة متقدمة في هذا الأدب، لدرجة أنهم أسسوا مادة دراسية جديدة في مجال الكتابة الإبداعية أسموها "كتابة الحياة" وهي تدرّس في الجامعات منذ عقود.

القيود الاجتماعية وتركيباتها العقائدية، أجبرت الكاتب العربي أن ينشر ضمن أطر معيّنة وقوالب معروفة، مما فقد حريته في التعبير عمّا يجول في خاطره للعامة. لذلك عندما قرر أن ينشر اعترافاته، كان تركيزه يصبّ على جمالية اللغة العربية أكثر من مشاعره وعواطفه الشخصية، وخير مثال على ذلك المصري عبدالرحمن شكري في كتابه "الاعتراف".

لكن إذا ما نظرنا إلى موقع أدب الاعتراف في المغرب والمشرق، نجد أن المشرق لم يستطع أن يعرّي نفسه تماماً كما فعل مثيله المغرب، يعود ذلك لعدة أسباب، أولها تأثر أدباء المغرب بالإرث الاستعماري الثقافي أكثر مما هو حال نظرائهم في المشرق.

فالمغرب العربي (باستثناء ليبيا)، احتل من قبل فرنسا البلد الذي ولدت فيه الثورة الفرنسية عام 1789، التي أتت بأفكار جديدة من ضمنها الليبرالية والتحرر، لا سيما في مجال الكتابة والفكر، وانعكس دلك في كتابات الأدباء والمفكرين من أمثال جان جاك روسو الذي يعدّ أحد أعمدة الثورة وصاحب أقوى اعترافات بالتاريخ (اعترافات جان جاك روسو)، حيث قال بأن العلم المنقاد من قبل السلطة هو علم ساقط.

بدورها نقلت فرنسا هذه الأفكار إلى المغرب العربي، فتأثر كتّابها بها، إلى درجة أنهم عندما دوّنوا سيرهم الذاتية، كانت باللغة الفرنسية كإدريس شرابي ومحمد شكري ورشيد بوجدرة.

ولكن ربما يسأل القارئ إنّ لبنان وسوريا احتلا أيضا من قبل فرنسا، فلماذا لم يصدرا نفس النتاج كما هو الحال في بلدان المغرب العربي؟ الجواب هنا أن فترة الانتداب كانت أقل منها في المغرب العربي، بالإضافة إلى أن الهوية القومية في المشرق العربي كانت أكثر صلابة منها من المغرب، فمن سوريا والمنطقة المجاورة انطلقت عدة أحزاب عربية قومية.

وهناك أيضا سبب آخر لتأخر المشرق في أدب الإعتراف وهو أن معظم المشرق كان محتلاً من قبل بريطانيا صاحبة تقاليد عريقة في المحافظة على ما هو قائم بدلاً من استقدام الجديد، فالمثل الإنكليزي يقول "القديم هو الذهب" كان رائجا عند الإنكليز في زمن الانتداب.

أمّا السبب الثالث لتأخر المشرق في أدب الاعتراف هو الجذور القوية للهوية الدينية وخصوصا في الخليج العربي.

وبالنتيجة أثرت هذه العوامل في تطور أدب الاعتراف المشرقي، فعلى سبيل المثال لم يستطع الكاتب صموئيل شمعون في كتابه "عراقي في باريس" أن يسرد لنا تفاصيل حياته في العراق باعترافات صريحة، وإنما أخذنا إلى فرنسا وتحديدا باريس ليعترف، مثلاً، بقصص جنسية حصلت معه.

ميخائيل نعيمة اللبناني وبثلاثة أجزاء ضخمة من سيرته الذاتية، "سبعون" أيضا لم يسرد بحرية مثلما فعل الكاتب المغربي محمد شكري بأقل من 300 صفحة في كتابه "الخبز الحافي". مع العلم أن نعيمة هو صاحب مقولة "إن الكاتب بتسجيل حياته يجعل نفسه كبيت مبنيّ من زجاج ليراه الجميع من الخارج".

وعندما ننظر لمحاور أدب الاعتراف ما بين المشرق والمغرب، ربما نقع على تشابه صغير، فعلى سبيل المثال صورة الأبوية في أدب الاعتراف المشرقي، تقدم الأب كقدوة لأبنائه، خصوصا الابن الذي يكتب عنه، أما أحاديث الجنس والمرأة والأبوية فهي شبه غائبة عن أدب الاعتراف المشرقي.

بخلاف دول المغرب، فهذه المحاور موجودة بقوة وبشكل صريح، وخاصة محور الأبوية، فيتناوله الكاتب هناك كجرعة دواء للتحرر من السلطة والقهر والحرمان.

أما بالنسبة لأدب الاعتراف الأنثوي فهناك القليل جدا وحتى أنه من المتعذّر على الباحث أن يجد أي كتاب بهذا الموضوع في المشرق أو المغرب، فهدى شعراوي وفدوى طوقان ونوال السعداوي لهن كتبٌ سير ذاتية وليس اعترافات، ويعود ذلك التقصير لسيطرة الصبغة الذكورية في الثقافة العربية وحتى المجتمعات العربية. أضف إلى ذلك التركيبة الاجتماعية وسطوة العادات والتقاليد.

لوحة موسى النعنع

كتابة الذاكرة

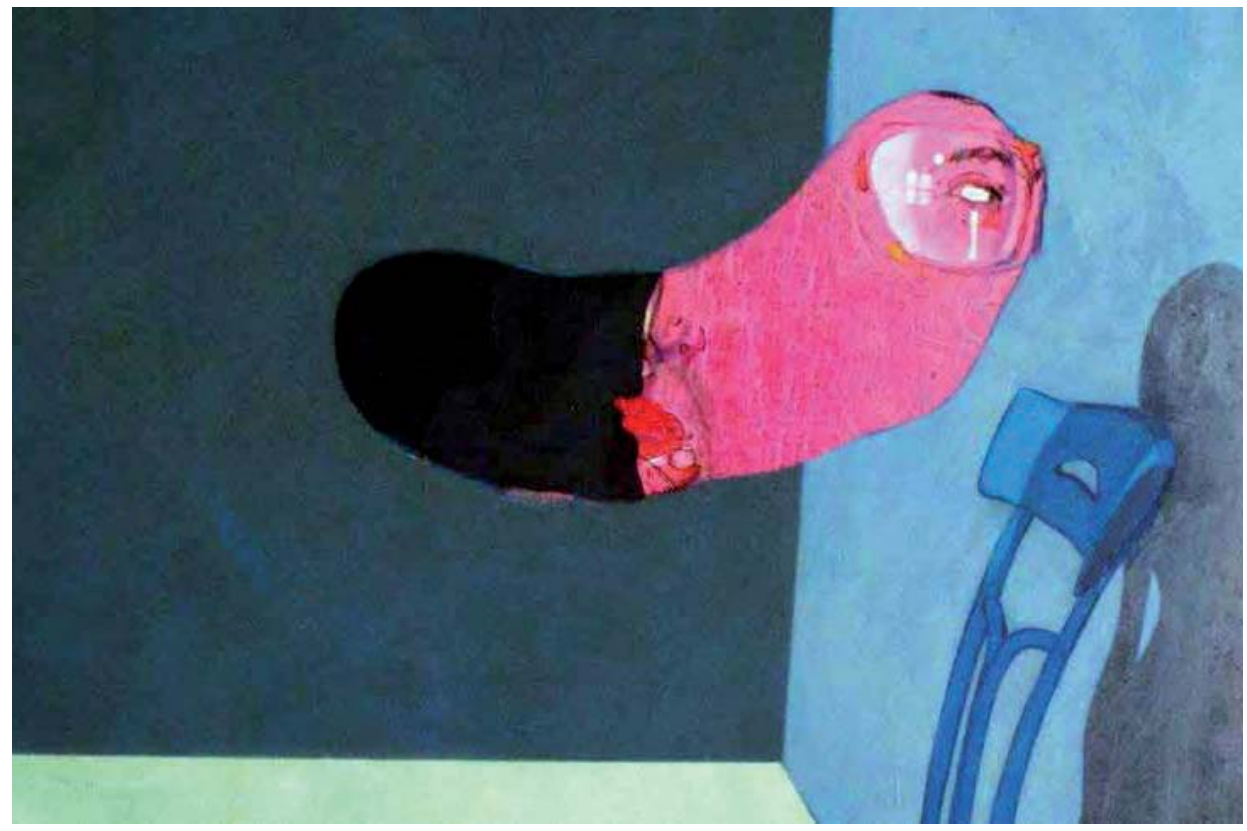

لوحة محمد ظاظا

شرف الدين ماجدولين
كاتب من المغرب

❏ في الصفحة الأولى من رواية محمد برادة "مثل صيف لن يتكرر" التي سمّاها "محكيات" يورد نصا لفيرناندو بيسوا يقول "الذكرى خيانة تجاه الطبيعة لأن الطبيعة بالأمس ليست طبيعة، ما كان ليس شيئا وأن نتذكر معناه ألا نرى" (ص 5)، أعدت النظر كثيرا في دلالة هذا النص الوارد في مستهل متن روائي مبني على لعبة التذكر، هل معناه أن ما سيقبل القارئ على قراءته ليس حقيقيا؟ أم أن وجوده مرتبط فقط بما تقوله المفردات الحاملة له؟ أم أن الذكريات في النهاية هي مجرد وهم أو خدعة لكتابة تصطنع لنفسها حيوات محتملة في الماضي؟

والحق أنه يمكن أن تكون كل تلك الافتراضات صادقة في التعبير عن جوهر كلمات بيسوا بصدد الذكريات، إنما ما يبدو مؤكدا في النهاية، هو أن لعبة الاستعادة لا تعني شيئا متصلا بوقائع منتهية، يجتهد الذهن في انتشالها من بيضات زاحفة على خلايا الذهن، بقدر ما تتصل بطاقة "التخيّل" الذي لا وجود لذكريات دونه، ولا تحقق للروايات بغيره؛ التخيل جسر ووعاء، وهو ما يحوّل الذكرى إلى تحقق لفظي له كنه الرومانيسك، ويمنح الوقائع القديمة المتداعية إلى الذهن تقاسيم وألوانا ومعنى. فليست الذكريات هي ما وقع بالأمس أو في اليفاعة أو ما قبل تعلم الكلام، هي صورتها الحريفة أو العذبة كما يدركها الروائي وهو مقبل على تحويلها إلى قاعدة في امتداد تخييلي له طعم وعمق وقصد جمالي.

في الصفحات الأولى من سيرة نيكوس كازانتزاكيس "تقرير إلى غريكو" يخاطب السارد قارئه بنبرة أسيّة عن أفول الذاكرة، يقول "كل ما كتبته أو فعلته كان مكتوبا أو محققا على الماء، وقد تلاشى. إنني أوقظ ذاكرتي لأتذكر. أحشد حياتي من الهواء" (ص 12). ليسترسل بعد أسطر قليلة وكأنما في تبرير عمله الأخير "أجمع أدواتي: النظر والشم واللمس والذوق والسمع والعقل. خيّم الظلام وقد انتهى عمل النهار. أعود كالخلد إلى بيتي الأرض. ليس لأني تعبت وعجزت عن العمل، فأنا لم أتعب، لكن الشمس قد غربت" (ص 13). إذن هل الكتابة إلا نفي للعدم الذي صارته حياتنا الماضية؟ محتمل، وربما أيضا هي تجميع للمبدد المتبخّر عبر الهواء ولزوجة السديم المكتف لما انقضى، عبر إعادة نحت الأثر بالكلمات، الأثر القادم من ذاكرات الحواس كلها، تلك التي يستجمعها الذهن ماحيا أصولها الحسية المرتبطة باليد والفم والأنف واللسان بمصادرة لا تبدو طبيعية، أليس الرهان في النهاية هو اختراق هشاشة الذكرى بمنحها صلابة الشيء المحسوس، الذي نفذ أثره إلى عمق الحواس؟ ومن ثم تجميد الماء المفترض لتتجمع في عمقه الشفاف شظايا المعنى الثاوي في قعر الذاكرة. أستحضر هنا حكاية النحات الذي صعقته ملاحظة ناظر إلى تحفته، حين علق "لم أكن أعتقد أن الصخرة كانت تخبئ هذا التمثال"، هي الذاكرة والذكريات ليست شيئا إلا قدرتنا على نحتها من جديد.

التذكر تصفية للماضي

في رواية الكاتب اللبناني رشيد الضعيف الأخيرة "ألواح" وهي نص سردي عن تفاصيل من حياة الكاتب الطفولية عن الأب والأم تحديدا ومسار القدوم إلى الشيخوخة، يتحدث الروائي كعادته مستعملا اسمه الحقيقي "رشيد" في وسم البطل، ليضيف هذه المرة الاسم العائلي "الضعيف" في لعبة ملوّعة أخاذة للقارئ، ولإيهامه مجددا بأن ما يجري يشبه إلى حد ما حقيقة ما كان، وأنه هو وليس هو تحديدا، ظل أو نسخة قادمة من العدم الذي صارته الذكريات، في ثنايا إحدى الفقرات يقول السارد ما يلي "تذكرت وأنا أكتب... عبارة كتبتها أوائل الثمانينات، هي: كل من قال قتل. وقصدت بها أن كل إنسان قاتل وإن كان غافلا عما فعل" (ص 18).

لم يكن رشيد الضعيف يفكر بعيدا عما يفترضه الخطاب من تصفية للإيحاءات والاستيهامات، تصفية بمعنى الإعدام والغربلة، في الكتابة، وبالتحديد في فن الرواية، إذ يسعى الروائيون عادة إلى تصفية الحساب مع الذات والمجتمع ومع الماضي والحاضر، عبر تنقيح الذكريات وتركيبها داخل نسق له منطق الحكاية، ذلك ما قام به فلوبير مع "إيما" حين قال في لحظة اعتراف مدهشة "أنا هو إيما بوفاري" وهو ما قام به دوستيوفسكي مع شخصيتي الأبله والمقامر، اللذين كأنهما صوّرا بمصفاة موضوعة لكي تعدم الأصل داخل اللغة والتخييل، وتمحوه من الذاكرة والحياة.

يمكن في عشرات الروايات أن نقف على الجوهر الشخصي الممتد في نسوغ الضمائر والحوارات والمشاهد والمواقف والأفكار والتأملات، حيث تشتغل الرواية كمصهر لشظايا منسية أو مهملة وتحتاج الذاكرة للتطهر من ثقلها، لهذا ليست حالة عادية تلك التي تنتاب الروائيين بعد الانتهاء من أعمالهم، عندما يحس عدد كبير منهم أنهم بصدد الانتهاء تماما من الكتابة، ولن يكون بإمكانه بعد ذلك إنتاج شيء جديد، وأن العقم مقيم... وهي حالة قد تمتد لسنوات مثلما حدث مع نجيب محفوظ حين اعتقد في لحظة ما أن رحلته مع الرواية انتهت ومن الواجب أن يبحث له عن عمل جديد، فتفرغ لكتابة السيناريوهات، وهو ما حدث مع عشرات آخرين ممن اختاروا التحول من الرواية إلى التشكيل أو الفوتوغرافيا أو النحت، وأن يراوحوا بينها، من هنري ميلر إلى أورهان باموك إلى طاهر بن جلون وإبراهيم نصرالله.

فتن الذكريات ولوعات الذاكرة

لكن ثمة مسافة بين كتابة الذاكرة وكتابة الذكريات، نحن نكتب ذكرياتنا بإحساس الحبور، ونزعة إلى استعادة لحظات وفضاءات وشخوص وأحاسيس هاربة، نكتبها حتى لا تضيع في ردهات النسيان، وحتى تمنحنا طاقة العيش، حتى حين تلتبس بمشاعر أسيّة فاستعادتها أدبيا تحولها إلى مجال رومانسي، التخيل يركبها في مساقات الهنا والآن.

الشفافية والتعتيم

أبو بكر العيادي
كاتب من تونس

❏ ليس القصدُ بالاعتراف إماطة اللثام عن بعض الأسرار، كما نقرأ في مذكّرات الزعماء وسير المشاهير، بقدر ما هو مُسارَّةٌ بالذنوب والأخطاء، وتفريج عن النفْس من عبء ثقيل. وإذا كان الناس في الغرب، حسبما تقتضيه التقاليد المسيحية، ينزعون إلى الإفضاء لسلطة دينية مؤتمنَة بما لا يَجرُؤون على قوله للخاصة والعامة، فإن آخرين اختاروا أن يعترفوا بخطاياهم وذنوبهم للناس كافة، وأن ينشروها على رؤوس الملأ أجمعين. ولعل أشهر الاعترافات تلك التي تركها القديس أوغستين (354–430) أكبر ممثل للفكر المسيحي وأفضل ملهم للفكر الغربي المعاصر، بشهادة كارل ياسبرس، وجان جاك روسو (1712–1778) أهم رواد حركة التنوير في الغرب.

فأما "اعترافات" القديس أوغستين، فقد أجمع أهل الاختصاص من مؤرخين ونقاد وأدباء على كونها عملا أساسا من جهة عمق تحاليله وأسلوب صياغته. وكان ألف ذلك الكتاب ما بين عامي 397 و401 للحديث عن سعيه إلى الله، واضعا نصب عينيه غايتين هما الاعتراف بذنوبه وأخطائه أمام الله مباشرة (بالمعنى المسيحي) والإعلان عن تمجيد الذات الإلهية. والمعلوم أن العبارة في أصلها اللاتيني Confessio تدل على البوح والإقرار، مثلما تدل على رغبة جلية في الشكر والامتنان، وهي إلى ذلك أحد عناصر طقس التوبة، يعترف خلاله المؤمن بذنوبه كافة أمام الله وأمام الكنيسة الكاثوليكية بصفة دقيقة، تفصل القول في الخطيئة المرتكبة، ليحوز المعترف الصفح وينصرف مرتاح البال.

بيْد أن المؤلف يعترف منذ البدء أن الذاكرة شابتها ثغرات ونقائص معللا ذلك بأنه إنما غفل عن عدة أشياء لاستعجاله بلوغ تلك الغاية التي تلح عليه كي يعترف بها، بدعوى أن "كل نقطة وقت غالية" بالنسبة إليه، فلا يذكر دخوله الأسقفية، والأسباب التي جعلت الله يقوده إلى نشر كلامه عز وجل، ولا الأعوام التي قضاها في طاغست بعد عودته من إيطاليا، أو إقامته في روما بعد وفاة أمه صيف 387.

وأما "اعترافات" جان جاك روسو، التي انتهى من وضعها عام 1767، فقد عُدّت هي أيضا عملا أدبيا جليلا ونصا فارقا في الأدب الفرنسي، سار عليه عدد من الكتاب من بعده. ولئن استمدت عنوانها من "اعترافات" القديس أوغستين فإنها لم تكن ذات مرجعية دينية، وإن أخذت منه رمزيتها، ونعني بها الإقرار بالذنوب والخطايا، بل هي أقرب إلى سيرة ذاتية اعترف فيها روسو بما جلل حياته من أحداث في لحظات انتصاره وانكساره، ليرسم صورة إيجابية عن نفسه، ويقنع قارئه بأنه إنما كان ضحية حياة لا ترحم، وأنه كان خير البشر. جاء في مقدمة كتابه: "ليَعلُ نفير القيامة متى شاء، سوف آتي، وبيدي هذا الكتاب، لأقدم نفسي أمام الملك القاضي. سأقول بصوت عال: "هذا ما فعلت، وما فكرت، وما كنت. لقد قلت الخير والشر بنفس الصراحة. لم أغفل عن أي شيء سيّئ، ولا أضفت شيئا جيدًا؛ ولو صادف أن استعملت بعض زخرف غير مبال، فإنما لملء فراغ سببه خيانة ذاكرتي. لقد افترضت حقيقةً ما كنت أعلم أنه كذلك، ولم أفترض قط ما أعرف أنه خطأ. أبديت نفسي كما كنت: مقيتا ودنيئا حين كنت كذلك؛ طيبا، كريما،ساميا حينما كنت على ذلك النحو: كشفت عن داخلي كما رأيتَه بنفسك. أيها الكائن الخالد، اجمع من حولي حشدا من أمثالي لا يحصيهم عد؛ وليسمعوا اعترافاتي، ويئنوا من صَغاري، ويخجلوا من بؤسي. وليكشف كل واحد منهم بدوره عن قلبه عند قدم عرشك بالصدق نفسه، وليقل لك واحد منهم فقط، إن جرؤ: كنتُ خيرا من هذا الرجل".

يلتقي الرجلان إذن في ادعائهما قول الحقيقة عارية، بمحاسنها ومساويها، وفي اعترافهما بأنهما غفلا عن بعض المسائل، لتعجّل الأول ملاقاةَ رحاب دين ربّه، وتعلل الثاني بخلل شاب ذاكرته، ولكن وقائع التاريخ تثبت أنهما غفلا قصدًا عن أحداث تسيء كثيرا إلى الصورة التي حرص كلاهما على تقديمها للقارئ، وتركها للأجيال اللاحقة، وأن ذاكرة كل منهما كانت انتقائية.

لم يأت أوغستين في اعترافاته على ذكر أعماله الخسيسة، كطرد ابنه ذي الاثني عشر ربيعا حينما كان مدرسا بميلانو، وتركه نهبا للخصاصة إلى أن وافته المنية، دون أن يحضر جنازته؛ أو معاشرته نساء كثيرات في قرطاج خلفن له عدة أبناء أنكرهم، وادعى أنه إنما فعل ذلك ليثبت فحولته؛ أو نكثه العهد الذي قطعه على أمه باصطحابها إلى روما، ثم تركها وحيدة في قرطاج بلا سقف يؤويها وسافر ليقابل أسياده الرومان، فقد كان هدفه الأول الحصول على منصب سياسي في روما بشهادة بعض تلاميذه في ميلانو. والأخطر من ذلك سكوته عن دوره في تحريض الرومان على الفتك بالدوناتيين، أتباع الأب دونا النقريني Negrinus Donatus (نسبة إلى مدينة نقرين بولاية تبسة الجزائرية) ذلك الذي رفع لواء المسيحية في بلاد البربر، وقال قولته الشهيرة "لا علاقة للمسيحية بالإمبراطور والإمبراطورية، والله أرسل المسيح لإنصاف المستضعفين"، فقاومه الرومان ثم نفوه إلى إسبانيا حيث سجن وتوفي عام 355، كما قمعوا أتباعه قمعا رهيبا، فقامت الكنيسة الرسمية المنتصرة بطرد الدوناتيين من الكنائس بقوة الجيش، ما أجج النقمة وساهم في انتشار واسع للدوناتية، كما روى المؤرخ الجزائري عثمان سعدي. وأمام صمود الدوناتيين ورفضهم سيطرة الإمبراطورية على الكنيسة الأفريقية، اعتبر الإمبراطور قسطنطين سنة 317 أن الدوناتيين خارجون على القانون، وأمر الجيش باقتحام المدن والقرى ومصادرة الكنائس الدوناتية وتسليمها للكاثوليك.

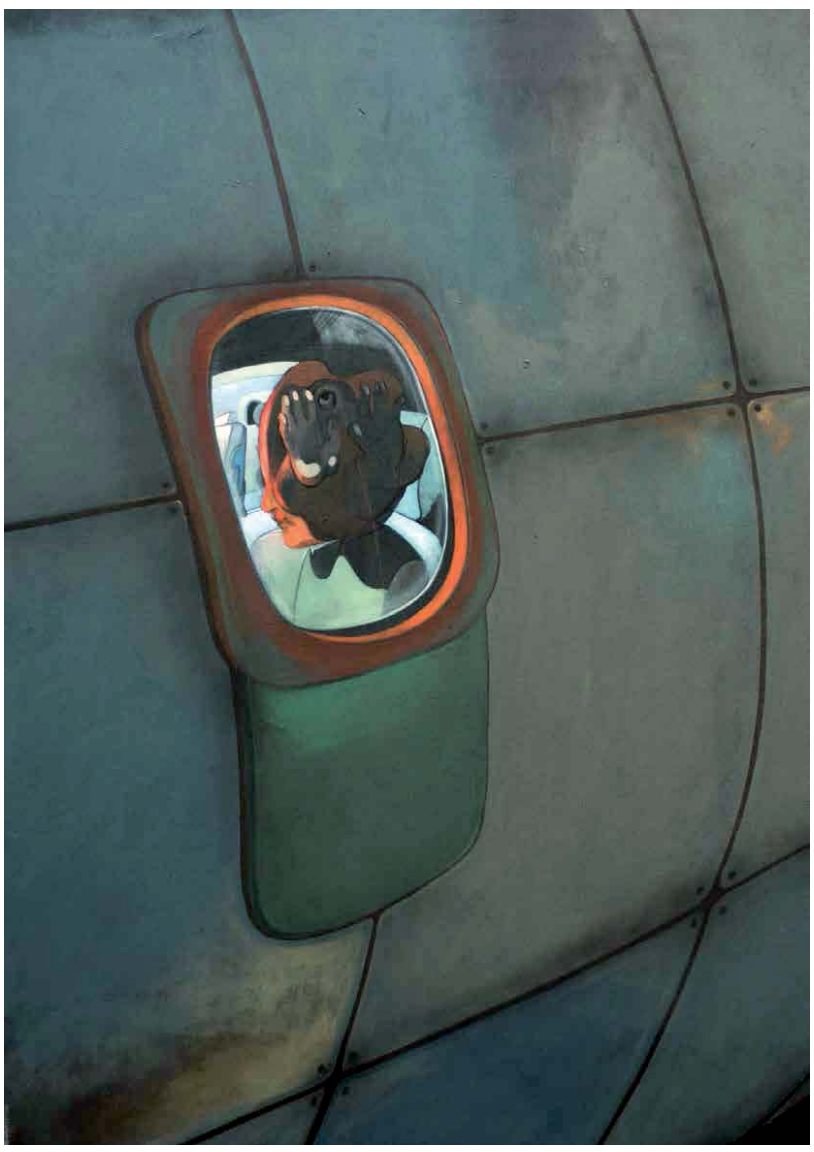

أدب الاعتراف ومسوغات الغياب

عامر عبد زيد الوائلي
كاتب من العراق

❏ البحث في هذا المضمار دائما يكون بمحاكاة الغرب كمركز، مقابل أطراف تتم مقارنتها بسلوك مركز ثقافي حداثي، وهذه المحاكاة فيها الكثير من التجني على الثقافة العربيّة؛ لأن الغرب ذاته ليس واحدا في هذا الجانب، فالثقافة الغربية التي عرفت بهذا أكثر من غيرها خصوصا في ألمانيا وفرنسا، إذ ثمّة اختلافات ثقافيّة واجتماعيّة واضحة المعالم حتى في الثقافة الغربيّة.

كيف إذن نحاكي الثقافة العربيّة بالثقافة الفرنسيّة، فهناك تباين في الكثير من الجوانب، والمحاكاة أساسا مرفوضة، وما يبقى سوى المقارنة والتوصيف لما هو قائم وتعليله. الأمر الآخر أن هناك في الثقافة العربيّة تداخلا وخلطا في بعض الأحيان بين مفهوم السيرة الذاتيّة وما يسمى بـ"أدب الاعتراف"، حيث كانت السيرة الذاتيّة هي تأريخ لحياة الإنسان، خصوصا هؤلاء الذين لهم أدوار مؤثرة في المجتمع ويجد الناس متعة في معرفة بداياتهم ومشوار حياتهم، بوصفهم أنموذجا للنجاح والتأثير المعنوي.

ويذهب بعض النقاد إلى أن الترجمة الذاتية بالمفهوم الحديث لم يكن لها وجود في الأدب الغربي قبل عام 1600. ثم ظهرت بعد ذلك التاريخ الواحدة تلو الأخرى، في فترات طويلة إلى أن كانت سنة 1800، حيث أخذ الكتاب يتوخون ما يشبه السنن الأدبية في كتابتها، دون أن يبلغوا مبلغ الطريق الجديدة التي يمكن أن يقال معها إنهم اصطنعوا جنسا جديدا من الأجناس الأدبية. (الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: يحيى إبراهيم عبدالدايم، ص12).

لكن الترجمة الذاتية، ليس هي تلك التي يكتبها صاحبها على شكل "مذكرات" ويعنى فيها بتصوير الأحداث التاريخية، أكثر من عنايته بتصوير واقعه الذاتي.

وليست هي التي تكتب على صورة "ذكريات"، يعنى فيها صاحبها بتصوير البيئة والمجتمع والمشاهدات أكثر من عنايته بتصوير ذاته. وليست هي المكتوبة على شكل "يوميات"، تبدو فيها الأحداث على نحو منقطع غير رتيب، وليست في آخر الأمر "اعترافات" يخرج فيها صاحبها على نهج الاعتراف الصحيح.

وليست هي الرواية الفنية التي تعتمد في أحداثها ومواقفها على الحياة الخاصة لكاتبها، فكل هذه الأشكال فيها ملامح من الترجمة الذاتية، وليست هي؛ لأنها تفتقر إلى الكثير من الأسس التي تعتمد عليها الترجمة الذاتية الفنية. (يحيى إبراهيم عبدالدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص3).

أما أدب الاعتراف وأعتقد أنه مفهوم حديث يتم توظيفه مع مفاهيم وأجناس الأدب الحداثي.أي كونه ارتبط بمفاهيم جاءت بها الحداثة وظهور مفهوم الفرد أو الذات المفكرة وما يتعلق بالتداوت بين الذوات على صعيد الحوار والتواصل المعرفي والثقافي وما ارتبط بالتواصل الحديث مع ظهور سلطة الإعلام والمجتمع العمومي في الغرب.

ينشر المقال بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

القناع سبيلا إلى البوح

محمد آيت ميهوب
كاتب من تونس

❑ عدّ تضمين الكاتب العربي نصه الروائي عناصر من حياته الحقيقية مظهرا من مظاهر التقنع والتخفي. وعلى هذا الأساس اعتبرت الرواية السيرذاتية العربية سيرة ذاتية مقنّعة، وقرئت روايات من قبيل "إبراهيم الكاتب" للمازني، و"سارة" للعقاد، و"الحي اللاتيني" لسهيل إدريس، و"التجليات" للغيطاني، و"ثلاثة وجوه لبغداد" لغالب هلسا وغيرها، سيرا ذاتية مكبوتة مقموعة تتوكأ التخييل الروائي لتخفي ما عاشه الكتّاب فعلا لا رواتهم التخييليون.

ومطمح هذه المقالة أن تناقش هذا الرأي النقدي الذي سار مسار المسلمات، وتبيّن تعدد وجوه هذه المسألة وتشابكها، وتكشف أنّ القناع وإن كان يطلب للحماية، فإنّ له قدرة على التعرية ودفع الكاتب إلى الاعتراف وحسن اكتشاف الذات.

لعل أهمّ وظائف القناع توفير الحماية لمن يكتب قصّة حياته وحياة ذويه وأحبابه. فمن شأن القناع أن يقيم حاجزا بين الأحداث المرويّة وحياة المؤلّف الحقيقيّة، فيضمن له ولمن يحيطون به قدرا من الصيانة والستر يقيه ويقيهم من الافتضاح والهتك. وعلى عكس السيرة الذاتيّة، يمنح المتخيّل الروائيّ الكاتب فضاء من الحريّة وسيعا. وتتجاوز هذه الحريّة النصّ لتتوسّط علاقة الكاتب بالقارئ، إذ تضمن الرواية للكاتب انفراده بوجوده التاريخيّ الشخصيّ في استقلال عن النصّ والقارئ. فبفضل الراوي التخييليّ، يستطيع الروائيّ أن يخلق عالما روائيّا مشاكلا للواقع دون أن يضطرّ إلى أن يبرّر للقارئ خياراته ويدافع عن مواقف شخصيّاته، إذ حمل الرّاوي عبء ذلك كلّه.

أمّا كاتب السيرة الذاتيّة، فإنّ تعهّده برواية قصّة حياته الشخصيّة، يجعله في نظر القارئ المسؤول الأوّل المباشر عن النصّ ومضمونه. ذلك أنه قبل طوعا أن يتحمّل هذه المسؤوليّة وحده وأن يعرض شخصيته عارية أمام الجمهور مع كل ما يحفّ بهذا العرض من مخاطر. وليس يعني ذلك طبعا أنّ الرواية فضاء آمن من الرقابة، يوفّر الحماية الكاملة من سوء الفهم والاتّهام. فالواقع يكذّب هذا الأمل الذي ينتظره الكاتب من الرواية.

وتاريخ كل من الروايتين الغربيّة والعربيّة معا من "فلوبير" إلى "نجيب محفوظ" و"حيدر حيدر" مليء بأمثلة قاسية ممّا قد يتعرّض له الروائيّ بسبب ما يكتب من المحاصرة والمحاكمة وحتّى التحريض على القتل.

ومع ذلك فإنّ سخط السلطة الدينيّة أو النظام السياسيّ أو المجتمع ينصبّ على الروائيّ حين يقترب من الدّين أو السياسة أو الأخلاق، بوصفه مبدعا لأثر أدبيّ تخييليّ يحسب له حساب في إفساد المعتقد أو التّأليب على صاحب السّلطان أو نشر سوء الخلق، ولا ينصبّ عليه بوصفه الممثّل الواقعيّ للعالم الروائيّ التخييليّ. فإذا كان البطل في الرواية ملحدا فلا يعني ذلك أنّ الكاتب بالضرورة ملحد، وقد تمنع الرواية من التداول ولكن دون أن يحاسب الكاتب على عقيدته الدينيّة. وإذا ما قام العالم الروائي على اختراق المحظور الديني والأخلاقي في ما يهمّ الجنس، فقد تصادر الرواية "حفاظا على الأخلاق العامّة" ولكن لا يحاسب الكاتب بوصفه المخترق الحقيقيّ للأخلاق، الآثم الفعلي في النصّ.

فمهما تكن شدّة الرقابة ومهما تكن قراءة السلطة أو المجتمع عدائية سطحيّة في ربطها بين النصّ الروائيّ وصاحبه، يظلّ المتخيّل الروائيّ مع ذلك، قادرا على أن يضمن مسافة فاصلة بين النص والواقع التاريخيّ وبين الشخصيّة الروائيّة وخالقها الكاتب. وإذا ما حوسب الكاتب فإنّما يحاسب لأنّه خلق تلك الشخصيّة لا لأنّه اعتقد ما اعتقدت في الرواية من آراء دينيّة أو تمرّد مثلها على ما تمرّدت عليه من نظم سياسيّة أو اجترح ما اجترحت هي من آثام أخلاقيّة وعاش ما عاشت من تجارب جنسيّة.

للرواية إذن مقدرة عالية على المباعدة بين النصّ وشخصيّة المؤلّف وحماية حياته الخاصّة ومواقفه الدينيّة والسياسية من التعرّي والافتضاح. وقد يصل هذا التباعد إلى حدّ التنافر التام بين الروائيّ وبطله وبين حياته وأحداث الرواية. وليس "بلزاك" المنتصر للأرستقراطيين في الواقع، السّاخر منهم في رواياته مثالا فريدا على ذلك. فلطالما انقلب الروائيّ في نصه على شخصيّته الاجتماعية ليبتدع شخصيّات بعيدة عنه ومال إلى رؤى للعالم غريبة عمّا عرف عنه في الواقع. وما بالأمر النّادر أن تشهد علاقة الكاتب بنظم المجتمع ومواضعاته وطابوهاته تحوّلا جذريّا في الرواية. فكثير من الكتّاب المتديّنين، المطمئنّين إلى معتقداتهم، أبدعوا شخصيّات قلقة تنزع إلى التصادم مع الدّين، وكثير ممن كانوا في وفاق مع النظام السياسي، تمرّدت عليهم شخصيّاتهم واتّخذت من السلطة غير ما اتّخذوا من مواقف...

على نقيض الروائيّ، يجد كاتب السيرة الذاتيّة نفسه محروما من الحماية التي توفّرها الرواية، مجبرا على أن يعرّي نفسه أو يصمت. فبغض النظر عن صدق كاتب السيرة الذاتيّة أو كذبه، فإنّ التزامه بالميثاق السيرذاتيّ يجعل كل ما يرويه عن نفسه دليلا إلى شخصيّته ووثيقة يمكن أن يحاسب عليها ويساءل عنها وقد تغيّر نظرة معاصريه إليه. ولذلك فإنّ كلّ اقتراب من المحرّمات الدينية والسياسية والأخلاقية في السيرة الذاتيّة عمل حرج ومجلبة للشكوك وقفز إلى المجهول، إذ لا يمكن أن يتخيّل الكاتب لا سيّما إذا كان شخصيّة مشهورة من أيّ المواقع يمكن أن تنطلق إليه السهام بدءا من العائلة فالأصدقاء والصحافة وممّن عرف من الأدباء والسياسيين وممّن لم يعرف أيضا. ويكفي أن نتذكّر هنا الضجّة الكبيرة التي أحدثها اعتراف نجيب محفوظ بتردّده قبل الزواج، على دور البغاء السريّ في القاهرة. ولعلّه

لوحة محمد ظاظا

ليس من باب الصّدفة أن عدّ حديث الكاتب عن علاقته بالدّين والجنس والسياسة محرارا تقاس به درجة نزاهته وتحدّد على أساس جرأته والتزامه الحقيقة قيمةُ سيرته الذاتيّة.

على أنّ كاتب السيرة الذاتيّة سواء اعترف بالحقيقة أو تستّر، لا يسلم في كلتا الحالتين من انتقاد النّاس. فإذا اختار أن يقول كلّ شيء في ما يهمّ الجنس، فإنّه واقع لا محالة، لا سيّما إزاء أقاربه، موقع الاتّهام والمساءلة وغالبا ما ينظر إليه على أنّه مثال أخلاقيّ أعلى تهاوى وسقط. وإذا اختار أن يقول حقيقة آرائه السياسية ومواقفه من النظام الحاكم، فإنّه سيجلب لنفسه غضب السّلطة ومحاصرتها إيّاه، هذا إن سمح للكتاب أن يرى النور أصلا. أمّا إذا اختار الكاتب أن يتجنّب "المحرّمات" فيبرز خضوعه للسلطة الدينية والسياسية والأخلاقية، وهو ما قد يكون حقيقة فعلا، فإنّ أغلب القرّاء سيصابون بخيبة أمل. فستبدو لهم حياة المؤلّف عاديّة لا بطولة فيها، ولن يجدوا فيها من التمرّد والتحدّي والفوضى ما يؤهّلها لتكون موضوع سيرة ذاتيّة يقبل عليها القرّاء.

لهذا ربما وفّرت الرواية بما تتيح من فرص للتخفّي والتقنّع، فضاء مناسبا للحديث عنّ الذّات في حقيقتها وجوهرها، بآثامها وآلامها وعقدها دونما خشية من الافتضاح والتعرّي. فقد حمل الراوي عن المؤلّف وزر كل ما أتى البطل من "كبائر" واجترح من آثام.

على هذا النّحو تبدو الرواية الملاذ الذي لجأ إليه الكاتب العربيّ لتدوين قصّة حياته وتجاوز العوائق النفسية والاجتماعية والحضارية التي تحول دونه وصياغة هذه القصّة في نصّ سيرذاتيّ صريح. وبذلك كانت وظيفة المتخيّل الروائيّ بما يوفّر من أقنعة، سدّ نقائص الواقع وتلبية حاجة المؤلّف إلى الحرية الغائبة وحمايته وصيانته من الرقيب الذاتي والخارجي معا. أمّا فضل القناع الروائيّ على الأدب فهو فتح منفذ يستطيع به جنس السيرة الذاتيّة وإن على سبيل الاستعارة والمواربة أن يفتكّ له موقع قدم في ساحة الأدب العربيّ.

بيد أنّ العودة إلى الروايات السيرذاتية العربية وقبول تجديد النظر في قضيّة القناع فيها بعد أن غدت مسلّمة محسوما أمرها، يكشفان لنا أنّ كلّ مظاهر التقنّع تجاورها وتداخلها وتزاحمها شواهد على نزوع مؤلّفي الرواية السيرذاتيّة إلى التعرّي والافتضاح والتخلّي عن غطاء المتخيّل الروائيّ لكشف الذّات ورواية قصّة الأنا. ومن شأن ذلك أن يدعونا إلى النظر إلى القناع في الرواية السيرذاتيّة نظرة نسبيّة وإعادة البحث عن دوافع الكاتب إلى اختيار الرواية بديلا للسيرة الذاتيّة ووضع ما سلّم به عدد من النقّاد موضع شكّ وسؤال: فهل إنّ الرواية السيرذاتيّة لا تزيد فعلا عن أن تكون مجرّد سيرة ذاتيّة مقنّعة؟

إنّ القناع في الرواية السيرذاتيّة قناع شفيف كشّاف يفضح أكثر ممّا يستر ويبرز أكثر ممّا يخفي. فالحدود تبدو ضبابيّة زلاّقة بين القناع ونزع القناع، وبين الهروب والمواجهة، والتخفي والتجلي، والتستّر والبوح. وإذا كان هذا الاستنتاج لا يعني بالمرّة أنّنا ننكص على أعقابنا وننفي ما كنّا قد أثبتناه سابقا من أهميّة القناع في الرواية السيرذاتيّة، فإنّه يؤكّد ما لمسناه في نصوص الرواية السيرذاتية من تأرجح قلق ونوسان لا يكل بين الظهور الخفيّ والخفاء الظاهر.

يدفعنا هذا الرأي إلى أن نعيد النظر في ما توصّل إليه كثير من النقّاد من اعتبار الرواية السيرذاتيّة العربيّة سيرة ذاتيّة مقنّعة. فأحد وجوه الخطأ في هذا القول ليس الحديث عن صلة الرواية السيرذاتيّة بالقناع وإنّما النظر إلى القناع على أنه مطلق ثابت. لكنّ الحقيقة التي قادتنا إليها النصوص هي عكس هذا الحكم تماما. فرغم أنّ مبتدأ أيّ مشروع روائيّ سيرذاتيّ والأسّ الذي ينهض عليه هما المواربة والتقنّع والحديث عن الذّات داخل غطاء المتخيّل، فإنّ المسار الذي يتّخذه هذا المشروع في ما بعد داخل السّرد ليس غير نزع الأقنعة والانعتاق من المتخيّل إلى شفافيّة الإحالة المرجعيّة. فلعلّ من الأسلم أن نصف الرواية السيرذاتيّة بأنّها الرواية التي تضع القناع لا لتثبته بل لتقتلعه وتدكّ الحواجز بين العالم التخييليّ والعالم المرجعيّ.

إنّ القناع متاح لكاتب قصّة حياته سهل الوصول إليه منذ أن يختار التخييل الروائي أداة للتعبير. فكلّ أدوات الكتابة الروائيّة من الميثاق الروائيّ والراوي إلى الشخصيّات والأحداث والأطر، كفيلة بأن توفّر الغطاء الذي يستطيع المؤلّف أن يختفي وراءه فلا يقع له القارئ على أثر ولا يأخذه أيّ ارتياب في بعد المسافة بين الشخص التاريخيّ كاتب النصّ، والشخصيّة الروائيّة بطلة الأحداث.

أخلاقيات الاعتراف

حنان مصطفى
ناقدة من مصر

❑ يتطلب أدب الاعتراف مسؤولية مشتركة بين الأنا والآخر، الأنا الساردة والآخر المتلقي، فبمجرد دخولي في علاقة مع الآخر من خلال قراءة اعترافه فإن ذلك يتطلب تأملا وطلبا وتعاطفا وأن أقنع بأنه بإمكاني فقط الاستجابة عبر التضحية بالأحكام المطلقة والأخلاقيات الجامدة في الحكم على الكاتب. فإذا كانت الذات الساردة تقدم التضحية بكل شيء مع تحمل المسؤولية من خلال لحظة صادقة في الكتابة فيجب على الأنا القارئة أن تكون أحكامها على الآخر ليست أحكاما تعسفية. ولكي يحدث ذلك لا بد من عدة مراحل من الأنشطة التفسيرية لفهم ذلك النوع من الأدب، سوف أقترحها هنا وأسوقها في هذا البحث.

أولاً، لا بد أن نلتقي مع السارد منذ البداية كما لو كنا على طريقنا لرسم خريطة ما على مكان مجهول، أي أننا نعلق أحكامنا الأخلاقية جزئياً في ظل إحساسنا التعاطفي مع الجو النفسي والانفعالي والاجتماعي والفيزيائي لتلك الذات الساردة.

ثانياً: السعي نحو الفهم، وذلك من خلال سد الفجوة بين ما يقصده الكاتب وبين ما تعنيه الكتابة أو النص. بمعنى أن الكتابة خلاف التحدث، فالكاتب بعد أن يكتب لا يمكنه التدخل أو التصحيح أو التعديل، فهو لا يستخدم الإيماءات أو تعديل طريقة توصيل المعنى، وبذلك فلا بد ألا تقفز إلى المعنى بشكل مفاجئ لأن ذلك سوف يظلم الكاتب، وكما يقول ريكور "إن ما يقوله النص قد يعني ما لا يقوله الكاتب" ولذلك لا بد أن نقف عند الأبعاد السيكولوجية المحددة لمحيط المعنى من قبل المؤلف.

ثالثاً: إننا نقاوم الاعترافات التي تعكر صفو إحساسنا وذلك ما يطلق عليه إليوت وبوند "ضد التسامي" Anti- Semitism، إلا أننا ننسى أن مثل هذه النصوص قد تطرح تساؤلات جديدة وقد تسمح بإعطاء معان جديدة لخبرتنا وأسلوبنا في الوجود في العالم. يقول أوسكار ويلد في اعترافاته "بالنسبة لهذا النوع من النصوص فهو يعبر عما هو واقع بالفعل وليس ما ينبغي أن يكون، ومن ثم فإن هناك معايير جديدة للحكم على ذلك النوع من الأدب".

رابعاً: كذلك تثار قضية "الصدق" في أدب الاعتراف وذلك ما يطلق عليه ليفيناس "levinas" "دراما العقدة والتسامح" وهذا ما يظهر في كتابة نصوص الاعترافات والسير الذاتية، حيث تنشأ هذه الدراما من الصراع الذي يدور بين الذات الساردة والمؤلف، حيث يكون المؤلف هو موضوع الكتابة فيكتب عن نفسه وهنا تثار إشكالية "الصدق" لدى المؤلف بالنسبة للقارئ، فهل يكتب المؤلف ما هي عليه ذاته بالفعل أم يكتب ما يود أن تكون عليه ذاته؟

في الحقيقة أنه في كثير من الأحيان يكتب المؤلف ما يود أن يكون لا ما هو عليه، بمعنى أنه في بعض الأحيان يحاول أن يتجمل أو أن يجعل نفسه ضحية لحماقات الغير أو للقدر المحتوم سلفاً أو حتى لعدم المعرفة والإلمام بالأمور، وهنا يقف القارئ حائراً ومتردداً من الذات الساردة ومن المؤلف، فإلى أي طرف منهما ينحاز، خاصة أن القارئ في هذه الحالة لا يكون على بينة من الحقيقة؟

يقدم الكاتب الإيطالي إيتالو سفينو ItAlo Sveno الحل في كتابه "اعترافات زينو" "Con Fessions of Zeno" حيث لا توجد ذات واحدة وإنما هوية جمعية "الذات من الآخرين". ومن هنا فإن سخرية زينو تنبع من عدم وجود ذات منفردة يمكن أن تنبثق من اعترافاته.

فالعلاقة بين ما يكتبه المؤلف وبين ما يكونه يمكن أن تأخذ شكل السخرية أو التعالي على الموقف، أو حتى تحقيق الحلم، أي استكمال النقص الذي يشوب الواقع، فالمؤلف هنا يمكن أن يحقق ذاته على الورق عن طريق الخيال، والكتابة هنا لا تعد وجوداً، وإنما صيرورة وهو ما عبر عنه ليفيناس قائلاً "اكتب فقط لكي أصير" I Write only to become.

والمسؤولية التي تقع على القارئ هنا هي مسؤولية استيعاب للموقف، وصفح عما بدر عن المؤلف من تجاوز، فالأخلاقية هنا تستوجب عدم البحث في أوجه القصور الذاتية التي حاول المؤلف إخفاءها، ولكن التسليم بما يورده وكأنه الحقيقة خاصة إذا كانت التجاوزات لا تمس حقائق علمية أو تاريخية أو دينية أو أشخاصا يتحدث المؤلف نيابة عنهم، لأن كتابة الأدب لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

ولكي تتحقق هذه المسؤولية الأخلاقية ينبغي التخلص من عقدة "الخوف من الآخر"، إنها السبة التي تهدد العالم بصوت مداهن وغير واضح.

لا أدب عربياً بهذا الاسم!

حميد سعيد
شاعر من العراق

❑ رغم العنوان الذي اخترته لمشاركتي هذه، فأنا أقرب في ما أرى بشأن مصطلح أدب الاعتراف، إلى الرأي القائل بعدم وجود مقومات موضوعية لأدب بهذا الاسم، إذ هناك نصان ينضويان في نوع أدبي هو السيرة الذاتية، وليس جنسا من أجناس الكتابة، هما اعترافات القديس أوغسطين واعترافات جان جاك روسو، ويمكن عد أوغسطين الرائد فيها بل مؤسسها، مع وجود فترة بين الإثنين، ذلك أن القديس أوغسطين تأسس نصه وولد من قلب العقيدة الكنسية في مسعى يخصه للبحث عن الله والتشبع بالقيم المسيحية، ومن ثم وفي إطار هذا المسعى، كان عليه أن يعلن اعترافه بأخطائه أو خطاياه، حتى لو لم يرتكبها بحسبان أن كل كائن ماله الموت، هو مخطئ، أو حامل خطيئة ينبغي أن يعترف بها، تليها التوبة وانتظار الصفح، ذلك أن طريق أوغسطين ديني إلهي، وكان في مرحلة دقيقة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية.

أما روسو، فعلى الرغم من كون اعترافاته في تسميتها، ذات إيحاء كنسي أيضا، إلا أن توجهه المعرفي ومجال اعترافاته يختلفان، لأنها مرتبطة أساسا بثقافة تضع الإنسان في صميم الفكر وتجعل منه سيد الأرض ويتحكم كفرد في وضعه الإنساني مكرسا ذاتيته، وهكذا أنزل السلطة إلى الأرض ليضعها بيد الإنسان، فروسو هو من طرح مفهوم العقد الاجتماعي، وهذه بعض عناصر الأرضية الفكرية التي ينهض عليها موضوع الاعترافات، وكما نلاحظ فإنها تقع وتحيا في سياق ثقافة وأدب مختلفين عن ثقافتنا وأدبنا، لذلك يبدو لي أن طرحها خارج سياقاتها الفكرية والتاريخية وتشكل الأجناس الأدبية، يجعل منها حالة بعيدة بهذا القدر أو ذاك عما هو موضوعي.

وليس من تجاوز للواقع حين نقول إن أي مراجعة لما كتب عما اصطلح على وصفه بأدب الاعتراف، تضعنا أمام جملة من الملاحظات، في مقدمتها إن ما كتب عنه ليس قليلا، وفيه الكثير من الخلط والتكرار والخطأ، ولا يقتصر ما ذكرنا على الأفكار فحسب، بل يتجاوزها إلى الأمثلة والاستشهادات، وأكاد أجزم أن ما سنتوقف عنده من ملاحظات، مكررة هي الأخرى وسبق أن تم تناولها هنا أو هناك.

وهنا أتساءل، لماذا الإصرار على مصطلح أدب الاعتراف، وهو في معظم نماذجه، إنْ لم نقل في جميعها، التي اطلعنا عليها في الكتابات العربية، إما أن تكون في سياق المذكرات واليوميات، وفي معظمها وجدنا الذاكرة التي أنتجتها، وإما خرجت- المذكرات واليوميات- من مشغلها، كانت غير حيادية، إذ تتبنى الكثير مما هو إيجابي وتسقط الكثير أيضا، مما هو سلبي، هذا في حال عمل الذاكرة، فإذا أضفنا إليه المواقف الذاتية للكاتب، أي تعمد الإضافة أو الحذف والتناسي، لهذا السبب أو ذاك، صارت بعيدة عن الاعترافات بمقوماتها الموضوعية، وهذا التوجه يظهر بوضوح في مراحل المتغيرات السياسية التي وصفتها يوما وأنا أتابع ما يدعيه أشخاص أعرفهم عن قضايا أعرفها.

بانكسي يثير الجدل مرّة أخرى في باريس

متحف الغرافيتي يثير غضب الباريسيين الذين يتهمونه بسرقة أعمال بانكسي

عمار المأمون
كاتب سوري

بانكسي يجعل جرذان باريس مرئيّة في النهار

❏ لا يتوقف الجدل حول فنان الشارع الشهير ومجهول الهويّة بانكسي، بل إن طرح اسمه في بعض الأحيان أصبح يثير السخط والتساؤلات، ناهيك عن أعماله التي تخرب ذاتها أو تخفيها السلطة، أو تلك التي تظهر في أماكن لا يمكن توقعها، كل ذلك في سعي منه للتأكيد على أنه لا يبحث عن المال، بل عن فن حر خارج عن سلطة المؤسسة الفنيّة وسوق الفن، فهو يسعى لتقديم شكل جمالي وسياسي يتجاوز هيمنة السلطة وينتقدها، تاركا وراءه "علامات" متاحة للجميع، ولا تخضع لأي رقابة.

أثار متحف الغرافيتي في العاصمة الفرنسية باريس جدلا هائلا إثر إعلانه عن معرض للفنان بانكسي في يونيو القادم، يستضيف فيه أعماله ويعرف الناس بتجربته، يبدو الأمر عاديا للوهلة الأولى، لكنه يعكس رغبة المؤسسة الفنيّة في "احتضان" وتطبيع فن الشارع الذي يرفض المتحف وصالة العرض وسياسات التلقي فيها، ما دفع الناس إلى الهجوم على المتحف عبر وسائل التواصل الاجتماعي في تعبير عن حنقهم ورفضهم لإقامته، خصوصا أن بانكسي لم يعط موافقته عليه، ليبدو المعرض أقرب إلى جهد فردي من المنظمين.

الاتهامات التي توجه للمعرض تختصر بأنه مزيف وقائم على السرقة، مزيف لأن بانكسي لم يعط موافقته من جهة، ومن جهة أخرى لأن "الأعمال" التي ستكون في المعرض لن تكون إلا نسخا مدجّنة وتفتقد للخصائص الرمزيّة التي يعتمدها بانكسي في أعماله، والتي يعكسها مكان ظهور العمل، بوصف المكان وماديته وشكله وألوانه نتاج سياسات رمزيّة ترضى عنها السلطة.

أما تهمة السرقة فلا علاقة لها برسم الدخول للمعرض، كون زيارته مجانيّة، بل أساسها إعلان المعرض بأن أجزاء من الجدران التي رسم عليها بانكسي ستكون موجودة، وهذا ما اعتبره البعض سرقة من بانكسي، ومن المدينة نفسها التي تحتضن أعماله، بل وقارنوا الأمر بما حدث منذ بضعة أيام، إذ سُرق باب مسرح الباتاكلان في باريس والذي يحوي رسما أنجزه بانكسي في ذكرى الضحايا الذين قضوا، والمثير للاهتمام أن التحقيقات لم تكشف إلى الآن من قام بسرقته.

يقول مدير المتحف غريغوري جوبي إنه حاول التواصل مع بانكسي، إلا أن الأخير لم يرد، لكنه في حال رده وطالبه بأن لا يقام المعرض، فسيلغي المعرض فورا، كذلك يؤكد أنه لن تتم "سرقة" الأعمال، بل "أخذ" بعضها، والهدف حسب تعبيره، "هو حمايتها من الاختفاء، في ظل ما يهددها من عوامل مختلفة أدت إلى فقداننا للكثير من أعمال الشارع بسبب التخريب أو عوامل الطبيعة أو ممارسات السلطة"، ويشير إلى أن من يتهمون المتحف بالسرقة، لا ينتمون إلى ثقافة فن الشارع، ولم يسألوا لماذا يقوم المتحف بـ"إحضار" هذه الأعمال، فهو يفضل أن يراها الجمهور بشكلها الفيزيائي عوضا عن صورة لها، فما يقوم به هو محاولة لإعادة تقديم فنّ الشارع، و"حفظه" وجعله مقبولا أكثر، ليخاطب جمهورا أكبر لتعريفه بهذه الثقافة، التي يراها البعض عدوانيّة أو حكرا على فئة محددة.

لا تبدو أجوبة مدير المتحف مقنعة، ومازال الكثيرون يرون في الأمر سرقة، بل وتناقضا مع مفهوم فن الشارع نفسه الذي ينتمي إلى المارة والعابرين وإلى المدينة نفسها، وما يطرأ على الأعمال من تعديل أو تخريب أو حتى اختفاء هو جزء منها ومن جمالياتها، فتكوينها مستمر حتى بعد انتهاء الفنان منها، أما حفظها في متحف، فقد يعني مستقبلا بيعها، وهذا ما أوضحه بانكسي في آخر لوحة له عرضت في مزاد علني، والتي دمرها الإطار المذهّب المحيط بها، وهنا يبدو المتحف نفسه كإطار سيدمر فن الشارع إن احتواه، كونه يحوّل الاحتجاج والرسالة السياسية التي يحملها فن الشارع إلى شكل استعراضي للتسلية والترفيه، ينتهي تأثيره بمجرد مغادرة المتحف، كما أن رحلة البحث عن أعمال فن الشارع هي جزء من تجربة تلقيه، بوصفه وسيلة للحوار بين المدينة وقاطنيها، سواء كانوا مشاهدين فقط، أو أشقياء مخربين أيضا، الذين يتساوى تأثيرهم أحيانا مع جهد الفنان، فكلاهما يعكسان ديناميكيّة القوة التي تحيط بالغرافيتي.

الأهم أن الكثيرين يتداولون رسالة من صفحة الإنستغرام الخاصة ببانكسي مفادها "هذا المعرض لم يوافق بانكسي عليه، لا نعلم ما سيحوي من أعمال، لكننا شبه متأكدين أن ما فيه مزيف، أو أن الأعمال مسروقة من الشارع بصورة غير قانونيّة".

باب مسرح الباتاكلان المسروق

أعمال بانكسي الخفيّة في باريس

غرافيتي بانكسي تحول إلى رمز لرحيل ماكرون

حكايات وأساطير على طريق الحرير

جديد التشكيلي محمد عبلة معرض «أحلام الرحلة»

على طريق الحرير

في معرضه "أحلام الرحلة" المقام في قاعة سفر خان في القاهرة حتى 14 من فبراير يطالعنا الفنان محمد عبلة بمجموعة من الأعمال التصويرية التي رسمها من وحي رحلته الممتدة من مصر وحتى تخوم الهند والصين. الأعمال المعروضة هي استمرار لتجربته السابقة التي قدمها تحت عنوان "على طريق الحرير" والمستلهمة من الحكايات والأساطير والكتابات التاريخية المرتبطة بطريق التجارة القديم، أو ما اصطلح على تسميته بـ"طريق الحرير". انتقل محمد عبلة بين المدن التي شكلت ملامح هذا الطريق متقمصا روح الرسام من عصر الحكايات تارة، وصانع ورق أو خطاط تارة أخرى، أو ربما صانع ألوان وأصباغ. كانت رحلة شائقة، رحلة اختلطت فيها الحكايات الخرافية بالحقائق، ما أفرز لنا في النهاية كل هذه الأعمال التي تمثل بلا شك واحدة من أغنى التجارب التي خاضها الفنان محمد عبلة.

ناهد خزام
كاتبة من مصر

❏ يتتبع الفنان في لوحاته المعروضة ذلك الخط الواصل بين الشرق والغرب، في سرد بصري يمزج بين الحقيقة والخيال. تراوح الصور التي يعالجها عبلة بين المشاهد الطبيعية الخلابة، والمعالم التاريخية، إلى تجمعات السكان المحليين بزيهم التقليدي. في هذه الأعمال تبرز طريقة عبلة في التلوين بخامة الألوان الزيتية بما تحمله من قدرة على الإيهام بالضوء والظل. بدت الأعمال كأنها صورة خيالية مقتطعة من حلم. تنتقل الصور من مصر إلى الصين مرورا باليمن وسوريا والقدس والهند، لتقدم لنا جوهر المكان على نحو عاطفي عبر ضربات فرشاة سريعة ومتوترة.

في لوحاته تتراكم العديد من الطبقات؛ طبقات من الصور والمفردات وعجائن اللون، تقاطعات من الخطوط والعلامات والكتابات والأحرف، إشارات تاريخية وعلامات تمتزج معا لترسم جسرا خفيا يربط كل ذلك بالحاضر. وكما هو حال التاريخ الذي لا يركن إلى الثبات، لا تتوقف تلك العناصر الكثيرة التي تزدحم بها اللوحة عن الحركة. يرسم الفنان محمد عبلة كمن يسطر بيديه كل تفاصيل الحكاية قبل أن تضيع من مخيلته، خبطات الفرشاة المضطربة تصطدم بالصور المشوشة لتماثيل من الحجر، وتخدش أوراقا رمادية لأشجار باثقة من العدم.

تعبر على مساحات اللون قوافل وخيول تجوب الآفاق، ورحالة ومغامرون مجهولون، وصور لملوك وأميرات، عبيد وأحرار. تختلط الخطوط المتوترة للفرشاة بأحبار الكتابة ورقاع الكتب، تمتزج فيها أقوال الفلاسفة وحكم المتصوفة. تتحول مساحة اللوحة إلى ساحة شاسعة تجمع كل الحقب والأزمان، وتلم شتات الحكايات والصور التي عبرت السهول والأودية لتستقر في أذهان الناس ومخيلتهم، من ألف ليلة وليلة، وأساطير مصر القديمة وحضارات الشام، إلى الملاحم الفارسية، وحكايات الهند واليونان، ورسوم المنمنمات الإسلامية. تختصر المساحة المرسومة المئات من الكتب والمؤلفات، وتترك للمتلقي براحا للخيال رغم ازدحامها بالعناصر وامتلائها بالحكايات.

تضاف هذه التجربة التصويرية الجديدة للفنان محمد عبلة إلى تجاربه السابقة، هذه التجارب المليئة بالتحولات الناعمة أحيانا والحادة في أحيان أخرى، فقد تعود متابعوه على هذا النوع من التحولات الجريئة في تجربته. هو فنان لا يهدأ ولا يستقر على حال، يمارس التصوير والرسم والغرافيك، وله علاقة وثيقة بالنحت أيضا، حتى أن له تمثالا ميدانيا من تصميمه ينتصب في قلب مدينة "فالسرودة" الألمانية. كما أنه شغوف بالفوتوغرافيا، وانعكس شغفه بها على العديد من التجارب التصويرية التي مزج فيها بين الفوتوغرافيا والتصوير. في تجاربه السابقة انحاز الفنان محمد عبلة إلى نوع من الممارسة الفنية تتحول فيه اللوحة إلى مرآة عاكسة للمجتمع بما يتضمنه من تحولات اجتماعية وثقافية وسياسية.

رصدت لوحاته الكثير من التفاصيل الكاشفة والموحية، تجولت عبر تفاصيل المدينة وشوارعها واقتربت من الناس، أو ابتعدت أحيانا لترسم لنا المدينة ككيان مهول يتمدد ويحتوي في داخله كل هذه التفاصيل. معتمدا أحيانا على الفوتوغرافيا التي ميزت أعماله لسنوات، أو مكتفيا باستخدام الأدوات التصويرية التقليدية. لوحاته مسكونة بالحنين إلى الماضي أو مشتبكة مع الحاضر بكل تفاصيله وتعقيداته الآنية. ورغم اختلاف هذه الممارسات الفنية تظل المدينة هي قلب التجربة الإبداعية للفنان محمد عبلة، والرابط الخفي بين جميع تجاربه. وهو حين يتناول مدينة كالقاهرة على سبيل المثال يبدو كمن يكتب سيرة ذاتية لهذه المدينة التي أرهقتها السنوات.

لوحات عبلة هي انعكاس لحياته الشخصية، وانفعالاته الآنية، فحين رسم ناس القاهرة وشوارعها مؤكدا على ملامحهم وتفاصيل حياتهم اليومية كان مسكونا بهذه التفاصيل من خلال سعيه اليومي عبر شوارعها ومقاهيها، ولكن بعد انتقاله لمرسمه الجديد في وسط المدينه، بدأ يتلمس ملامح جديدة.

انتبه عبلة إلى بيوت القاهرة وتأمل من جديد تلك البنايات المتراصة إلى جوار بعضها. يرسم ويحلم ويتخيل ما يدور بداخلها، وأحوال ساكنيها. وتطور الأمر لديه شيئا فشيئا فراح ينشئ من تفاصيل هذه البنايات التي يرسمها تراكيب أخرى وتداخلات، حتى نجح في صوغ بناياته الخاصة بما تحمله هذه البنايات من تناقضات ساكنيها وأحلامهم وخيالاتهم. العلاقة بين محمد عبلة وبين المجتمع علاقة وطيدة ومتشابكة لا تتوقف عند حدود اللوحة بل تتعداها إلى نقاط من التلاحم والارتباط، حرص هو على وجودها وتأكيدها في مناسبات عدة.

أدوات الفنان هنا لا حدود لها، من اللون التقليدي المعالج بالفرشاة والسكين، إلى الأصباغ والطباعة والفوتوغرافيا وأجهزة العرض الحديثة. أما تأثيراته فهي مزيج من الخربشات وضربات الفرشاة السريعة والمتتالية على مساحة العمل المفتوح على مصراعيه أمام كافة الإضافات.

تخرج الفنان محمد عبلة في كلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية عام 1977، ودرس النحت في سويسرا، كما درس الغرافيك في النمسا، وأسس مركزا للفنون في مدينة الفيوم جنوب القاهرة عام 2009، كما أقام أول متحف لفن الكاريكاتير في مصر. عرفت أعماله طريقها للعرض في الكثير من العواصم حول العالم. قام عبلة بتدريس الفن في السويد والنمسا قبل أن يستقر أخيرا في القاهرة كأستاذ للتصوير في الجامعة الأميركية.

انطباعات عن المسافرين في اليمن

استلهام حركة الرحلة

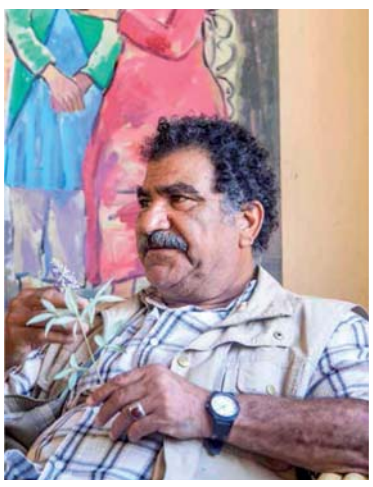

صورة شخصية للفنان محمد عبلة

من زار مراكش مرة يعود إليها مرات

الشتاء موسم الدفء ومتعة المدينة القديمة

عديدة هي المدن العربية التي تسكن الذاكرة حين زيارتها لأول مرة، بخصوصية معمارها وأسواقها وأجوائها التي تدفع السائح لزيارتها مرات عديدة أو اختيارها للإقامة خاصة من الأوروبيين الذين يقسو عليهم الشتاء في بلدانهم. مراكش مدينة تجمع بين خصوصية المعمار العربي القديم والأحياء الحديثة تشد إليها من يزورها حتى يعتاد على زيارتها سنويا.

فيصل عبدالحسن
كاتب عراقي

❑ **مراكش** – مدن قليلة في العالم تمتلك الفرادة التي تجدها في مراكش، المدينة التي ترحب بالوافد إليها بابتسامات أهلها لكل غريب يصلها عن طريق البر أو الجو، مطارها الدولي "المنارة" مقام داخل المدينة، وليس خارجها، كما في الكثير من مطارات العالم، ويصلها المسافر أيضا بالقطار السريع من خلال محطتها الرئيسية وسط المدينة أو من خلال الحافلات السياحية.

مدينة مختلفة

في مراكش تشعر فورا أنك في مدينة مختلفة، متعددة الحضارات، قديمة وحديثة، ففيها الأسوار، والأسواق التراثية والجوامع، التي تذكرك بالمرابطين والموحدين والسعديين الذين حكموا المدينة بين القرن العاشر والسادس عشر الميلادي.

والمدينة يعود بناؤها إلى العام 1070 من قبل السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين، وفي جانبها الحديث تشاهد أحدث الفنادق والمولات والمسابح والمتاحف والحدائق والطرق السريعة والمطاعم والمقاهي الشعبية.

عربات" الربل" التي تجرها الخيول وسيلة تنقلك إلى المدينة القديمة للنزهة والتنقل بين المعالم الأثرية في أجواء مختلفة، ولهذه العربات موقف كبير تنتظر فيه المئات منها، قرب "سوق الفنا" وصومعة الكتبية. النزهة بعربة منها لفترة ساعة متعة حقيقية، ولا تكلف الزائر سوى 100 درهم (الدولار يساوي 9.4 درهم).

ولمن يجذبه ركوب الجمال أو الخيول، فيمكنه استئجارها للتنزه عليها قريبا من أسوار المدينة القريبة، وفي الحدائق والطرق المؤدية إلى المعالم التاريخية، كقصر الباهية وقصر البديع ومجمع المواسين وحدائق المنارة وأكدال وماجوريل، وكذلك زيارة المسرح الملكي والقبة المرابطية بقصر البديع وقبور 66 ملكا وأميرا من السعديين، والأضرحة السبعة لأكثر صوفيي المغرب تقوى وشهرة، وغيرها. رسم الدخول لهذه القصور والحدائق والمعالم يتراوح بين 40 و200 درهم.

ويؤم المدينة القديمة يوميا الكثير من الجنسيات بل إن الكثير من عقاراتها اشتراها أجانب، وجعلوها مقرا لعيشهم، وحسب منشور لمجموعة العمران بالمدينة للعام الماضي وصل عدد العقارات المباعة إلى أجانب إلى خمسة آلاف عقار، لانخفاض أسعار العقارات ونقاء هواء المدينة وجفافه وجاذبيتها السياحية.

وفي أسواقها التراثية كسوق العطارين والشيراتين للجلود والبابوج والعطارين للتوابل وغيرها، تجد فيها الكثير من الصناعات التقليدية المغربية التي اشتهرت بها المدينة، كما توجد المولات الحديثة، كمول منارة، وضمنه يقع فندق موفنبيك خمس نجوم، وطوابق لألعاب الأطفال، والترويض الطبي. وكذلك أسواق لأرقى الماركات العالمية، كسوق المزار وسوق أرماتي يوسف ومركز سكوير عدن للتسوق والمتاحف كدار السي سعيد ومتحف محمد السادس لحضارة الماء ومتحف مراكش.

ومن يود الاستجمام والاستمتاع بالشمس في مراكش، فتوجد مسابح حديثة عديدة، كمسبح الوزيرية وشاطئ أومناس وبول لونج مراكش وغيرها، كما توجد العشرات من الحمّامات التقليديّة في المدينة.

كل عام منذ عدة سنوات يواظب مختار الزيدي (30 سنة) من أصل عراقي، على المجيء من السويد في مثل هذا الوقت من السنة، مع زوجته وطفليه، ويقول عن سبب اختياره هو وزوجته المدينة "من أول زيارة لنا لمراكش دخلت قلبينا، بفنادقها الزهيدة الثمن في هذا الوقت من السنة ومأكولات مطاعمها الشرقية ونخيلها الذي يذكرني بنخيل العراق. وعادة نحجز بواسطة الإنترنت شقة مفروشة من مجمع شقق 'ماكادور' والمجمع لا يبعد سوى ثلاثة كيلومترات عن محطة القطار المركزية وعن مطار المدينة".

وذكر لـ"العرب" أن أحد أسباب اختياره المدينة اعتدال مناخها في هذا الوقت من السنة وشمسها الذهبية الدافئة.

وأضاف الزيدي "الخدمة ممتازة في مجمع الشقق المفروشة، وتوجد استقلالية حقيقية لمن يقيم فيها، كما يوجد تكييف مركزي وحوض للسباحة، والفطور الصباحي مخصص لتقديم أطعمة مغربية تراثية، كالحريرة وخبز المسمن والحرشة وأنواع الحلوى المغربية، والمائدة مفتوحة وتقع ضمن تسعيرة الليلة الواحدة للمبيت، وإذا رغبت بعدم تضمينها، فإن الفطور لشخص واحد لا يكلف سوى 60 درهما، وأجرة الليلة في هذا الوقت من السنة تتراوح بين 700 وألف درهم لشقة مؤثثة من غرفتين وصالة استقبال".

الحجز المسبق

برجيتا (39 سنة) من هولندا تقول إنها تزور المدينة للمرة الثانية، وقد أدهشها ما فيها وأحبته كثيرا؛ جمال الأماسي في ساحة الفنا وما يقدمه عازفو الموسيقى الشعبية في سهراتهم الليلية، وحلقات الحكي، وفعاليات مروضي القردة والأفاعي، وما يباع على الأرصفة من صناعات تقليدية، وكذلك ما تقدمه المطاعم الشعبية القريبة من ساحة الفنا لمرتاديها من أطعمة تم إعدادها، كالكسكسي والطاجين والمشويات. وقريبا سيصل صديقها من هولندا ليزورا بعد مراكش مدنا مغربية أخرى كطنجة وأكادير والصويرة، ثم يقضيان أياما في الدار البيضاء ليعودا من هناك من خلال مطار محمد الخامس إلى أمستردام.

وأكد جمال شراكة (50 سنة) سائق مكروباص سياحي في مراكش، "مكتبنا يوفر كل خدمات النقل للسائحين والوافدين من المدن المغربية الأخرى من أول خطوة لهم في مراكش وحتى توديعهم المدينة. ومن يجد موقعنا على الإنترنت يتصل بنا لنستقبله في المطار أو محطة القطار المركزية، لنقله إلى الفندق الذي حجز فيه، أو حتى في حالة عدم حجزه، فنحن نختار له الفندق وبالسعر المناسب".

وأضاف شراكة "كما ننظم له برنامجا لزيارة المدينة القديمة، ومناطق سياحية لأوريكا وقصبة آيت بن حدو وقصورها التراثية المقامة من الصلصال، ونتيح له قيادة سيارات الرمال المدولبة، قريبا من واحة أوزود، وننقله إلى مدن أخرى مجاورة كالصويرة وأكادير وغيرها في الجنوب، ليعيش تجربة التنقل فوق الجمال في الصحراء واستخدام الحمامات الرملية، وبأسعار مناسبة جدا، ونحن على استعداد لتلبية طلبات زائري المدينة ليلا ونهارا".

> السياح ينبهرون بجمال الأماسي في ساحة الفنا وما يقدمه عازفو الموسيقى الشعبية في سهراتهم الليلية، وفعاليات مروضي القردة والأفاعي

ونصح حسن الشمسي (45 سنة) يعمل في قطاع السياحة بمراكش من ينوي قضاء إجازته في مراكش بضرورة الحجز المسبق عبر مواقع الإنترنت للفندق الذي يريد أن يقضي فيه إجازته وذكر "أن أكثر من 2250 فندقا توجد في مراكش، وفي المواسم من الصعب الحصول على مكان شاغر فيها، و يمكن لزائر المدينة أن يختار الفندق المناسب له من حيث موقعه في المدينة والخدمات المقدمة فيه وأسعار المبيت، وليحصل على أقل الأسعار وأفضل الخدمات. وعليه أيضا أن يحجز في المكتب السياحي الذي سينظم له رحلته داخل مراكش وخارجها، وألا يجعل رحلته إلى المدينة غير مخطط لها، فهذا سيجعله عرضة لإنفاق مبالغ إضافية للسمسرة الفندقية والخدمية غير الضرورية".

وحسبما جاء في منشور لوزارة السياحة المغربية والصناعات التقليدية بداية العام، زار مراكش العام 2018 أكثر من 2.4 مليون سائح، ومن المؤمل أن يزداد عدد زوارها من الأجانب هذا العام إلى الضعف.

وأكثر زائريها يفدون إليها عن طريق محطة القطارات الرئيسية، فأجرة المسافر إليها في الدرجة الأولى لا تكلف سوى 200 درهم من الرباط. ويقطع القطار المسافة بين الرباط ومركز مراكش خلال ثلاث ساعات ونصف الساعة، يمر خلالها بين مساحات خضراء وهضاب ووديان، وحالما ينزل السائح من القطار ويغادر المحطة، يستطيع أن يشاهد جبال الأطلس المتوسط وأعلى قممها جبل توبقال 4165 م، المكلل بالثلوج حيث مغامرة التزلج على الثلوج وتسلق الجبال وزيارة المغارات، وتقع الجبال على بعد كيلومترات من مدينة النخيل أو كما كانت مراكش تسمى في القديم "أرض الله".

فسحة الملوك والأمراء

لمراكش سحرها الليلي

عطلات عربية

في فصل الشتاء قليلون من يفضلون برد أوروبا القارس وثلجها الأبيض، أما الغالبية فتبحث عن مناخ دافئ لقضاء العطلة الشتوية مع العائلة، لذلك تختار مدنا ومناطق عربية مثل:

صحراء دبي تجمع المغامرة بالهدوء

❑ تستقبل دبي في فصل الشتاء أفواجا من السياح العرب والأجانب لدفء مناخها، ولأنها وجهة تجمع بين الثقافة الحديثة والتاريخ، بين المغامرة والتسوق والترفيه، حيث يمكن للسائح مشاهدة وسط المدينة من أعلى برج خليفة وقضاء فترة الظهيرة على طول خور دبي في استكشاف أسواق الذهب والأقمشة والتوابل.

ولمن يرغب في الإثارة والمغامرة، يمكنه التحليق فوق الكثبان الرملية في المنطاد أو القيام برحلة سفاري صحراوية.

والصحراء تعد وجهة مرغوبة للكثير من زوار دبي وتشمل التخييم، حيث يستمتع السياح بركوب الجمال وغروب الشمس فهو أفضل فرصة لالتقاط أجمل الصور.

بيروت للسياحة والتسوق

❑ يطلق على بيروت "باريس الشرق الأوسط"، حيث يزدهر فيها التسوّق والتعاملات الاجتماعية ومشاهدة المعالم السياحية، بعد أن تمت إعادة بناء المدينة عدة مرات لمحو آثار الحرب بأسلوب معماري حديث على مساحة تجمع في تصميمها بين أبنية الدولة العثمانية والمباني الاستعمارية الفرنسية.

وتوفر شوارع منطقتي الحمرا والأشرفية الحفلات الموسيقية التي تقام في الهواء الطلق والتمتع بسهرات ليلية صاخبة، في حين يتيح المتحف الوطني ومتحف جبران للزوار تذوّق نفحات من تاريخ المدينة، ويعد الكورنيش المكان المناسب لممارسة أنشطة مثل الركض وركوب الدراجات.

الفيوم وجهة عشاق الشلالات والبحيرات

❑ تعتبر مدينة الفيوم من المناطق الأثرية الجميلة، حيث تضم 33 موقعا أثريا توفر فرصة للسياح لاكتشاف الحضارة المصرية القديمة خاصة وأنها تمتاز بمناخ معتدل في فصل الشتاء.

والفيوم هي الوجهة المثالية لمحبي الطبيعة حيث الشلالات والبحيرات والصحراء والينابيع كقرية تونس ووادي الريان، وجبل المدورة، وبحيرة قارون.

وتعمل السلطات المصرية على تجميل وترميم معظم الميادين بمحافظة الفيوم، وخاصة ميدان المسلة وبها مسلة سنوسرت الأول، كما أنها انتهت من المرحلة الأولى من تطوير بحيرة قارون، وتستعد للدخول في المرحلة الثانية أملا بأن تتعافى السياحة الأجنبية والخارجية قريبا.

ظفار عروس الخريف والشتاء

❑ تستقطب ظفار التي تشكل ثلث مساحة سلطنة عمان في الخريف والشتاء الزوار من الخليج وأوروبا من عشاق الطبيعة والطقس المعتدل ليستمتعوا بجبالها التي تبدو على شكل هلال خصيب، منحدرة بسهل يركض حتى شواطئها الرملية الممتدة على المئات من الكيلومترات.

ويخطف وادي دربات الأخضر الأنظار بشلالاته وبحيراته وجباله وكهوفه، وكذلك الأمر لجزر الحلانيات الخمس، كما يعتبر شاطئ المغسيل من أجمل عشرة شواطئ في العالم، وهو مزيّن بكهف المرنيف المطل على بحر العرب، وأكثر ما تميّزه ظاهرة فوران الماء الطبيعية المدهشة، أما درب اللبان فيتميز بمجموعة من الآثار المذهلة التي تطل على البحر.

فك شفرة الدماغ البشري... «التليباثي» لم يعد خيالا علميا بعيدا

ربط الدماغ بالكمبيوتر يفتح أبواب قدرات خارقة وإمكانية التحكم بالبشر وإعادة تشكيل عقولهم

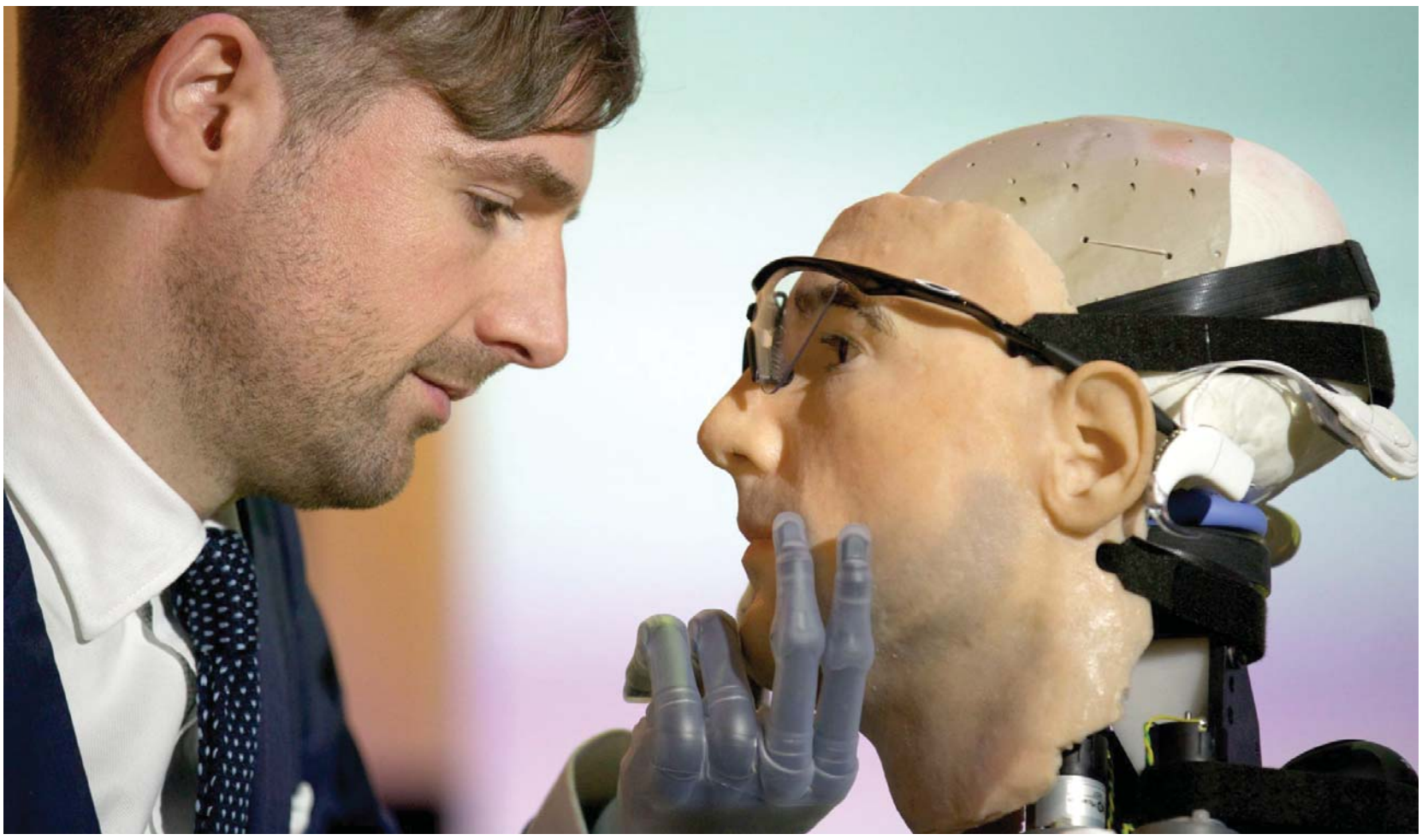

سلام سرحان
صحافي عراقي

❏ اعترف بداية بأني سأترك لمخيلتي الذهاب بعيدا، لكنها ستستند إلى حقائق علمية بعد المئات من التجارب عن ربط الدماغ بالكمبيوتر، والذي يعني أنه تم بالفعل فك شفرة الدماغ البشري.

لن أجتهد بتحديد ما إذا كان ما استنتجه سيحدث خلال سنوات أو عقود أو قرون. لكن المؤكد أن الطريق إلى ذلك أصبح سالكا و"ملموسا" بفتوحات علمية صريحة.

نعم سوف يتمكن البشر من التواصل دون استخدام الكلمات أي مباشرة من عقل لآخر (التليباثي) تلك الفكرة "الخيالية" التي راودت الكثير من البشر منذ آلاف السنين، مثل حلم السفر عبر الزمن.

تلك الفكرة كانت مجرد شطحات خيال أدبي وتمنيات دون وجود وسيلة لتحقيقها. أما اليوم فإنها تبدو قريبة التحقق وبمنتهى الوضوح، مثلما نتحدث أو نتبادل الرسائل الإلكترونية، ليس بطاقة روحانية بل من خلال إمكانية توصيل أدمغتنا بالإنترنت.

لم يعد التليباثي خيالا علميا بعد إجراء الكثير من التجارب، التي وضعت الأسس العلمية الملموسة لإمكانية أن تصبح أمرا شائعا خلال وقت قد يكون قريبا جدا مثل شيوع الإنترنت حاليا. ولا استبعد أن يكون ذلك متحققا بالفعل دون أن يتم الإعلان عنه.

نقلة نوعية خارقة

الحاجز الأكبر الذي تم اختراقه هو أن الأجهزة الإلكترونية باتت متلائمة مع لغة الدماغ البشري وتفهم إشاراته السرية وربما تتمكن من التدخل في عمله أو إعادة تشكيل محتوياته في وقت قد لا يكون بعيدا.

لا يمكن مقارنة هذا الاختراق بأي من القفزات التكنولوجية الأخرى. ولا يكفي وصفه بأنه أكبر تحول على الإطلاق في تاريخ التكنولوجيا وفي تاريخ البشرية، لأنه قفزة تفتح أفقا غير مسبوق وتنقل طبيعة حياة الإنسان على هذا الكوكب إلى مدار آخر.

هناك تقارير منذ سنوات تؤكد أن عشرات الآلاف من الأشخاص زرعوا بالفعل رقائق إلكترونية في أجسادهم تتصل بالجهاز العصبي، وقد تكون الأعداد أكبر من ذلك بكثير في ظل عدم وجود بيانات دقيقة بشأنها.

قد يصبح تصفح الإنترنت على أحدث الهواتف الذكية شيئا من الكلاسيكيات التقليدية القديمة، لأن توصيل الدماغ بالإنترنت أصبح حقيقة وله تسمية محددة هي برينترنت Brainternet رغم أنها لا تزال في بدايتها وليست عملية سهلة.

المفاجأة الأولى في هذا المجال لم تأت من الجهات المتوقعة مثل جناح العلوم السرية التابع للجيش الأميركي، بل من معهد أبحاث ذي تمويل وموارد محدودة في جنوب أفريقيا حين تمكن فريق من الباحثين في جامعة ويتس في جوهانسبرغ لأول مرة من ربط دماغ بشري

إيلون ماسك:
إذا لم ندخل المنافسة مع الروبوتات بتوصيل أدمغتنا بالكمبيوتر فسنقصى في محميات مثل الشمبانزي

آدم بانتانوفيتش:
تقنية برينترنت ستفتح أبواب تكامل الإنسان مع الكمبيوتر ونقل المعلومات في الاتجاهين

تكامل الإنسان مع الآلة

بشكل مباشر بالإنترنت في سبتمبر 2017. وقد استخدم الفريق الذي يضم علماء أعصاب ومهندسين مخططا كهربائيا (إي.إي.جي) ينقل النشاط العصبي للدماغ إلى جهاز كمبيوتر عادي، وتمكنوا من بث حي للبيانات على الإنترنت يمكن لأي شخص مشاهدته في أي وقت. وبذلك فتحت تلك التجربة نافذة على النشاط العصبي للإنسان.

وقال منسق المشروع آدم بانتانوفيتش من كلية ويتس للكهرباء وهندسة المعلومات إن التجربة تسمح للأشخاص بمعرفة ما يحدث في أدمغتهم، بل وتسمح للآخرين بالاطلاع أيضا.

وأضاف أن تقنية برينترنت يمكن أن تؤدي إلى قفزة هائلة في تطوير التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي على محاكاة البشر من خلال توفير بيانات خوارزمية، لتتكامل مع الإنسان وتفتح أبواب نقل المعلومات في الاتجاهين بين الآلة والإنسان.

وأكد بانتانوفيتش أن البرمجة أصبحت متقدمة بما يكفي ربما لإرسال إشارات كهربائية على شكل بيانات إلى دماغ الشخص الذي يتم توصيله بشفرة إلى قارئ إي.إي.جي.

لا يمكن رصد جميع الأبحاث في هذا المجال والتي لا بد أنها قطعت أشواطا طويلة منذ ذلك الحين في المختبرات السرية، خاصة وأن سلطات الدول الكبرى تعتبرها من أسرار الأمن الوطني وتدخل في سباقات التفوق والاستخبارات وميادين الصراع المستقبلية.

آفاق خيال علمي

دخلت آفاق هذا الميدان في مدار آخر حين اقتحمه الملياردير المغامر إيلون ماسك، الذي أعطى مؤخرا زخما جديدا لبرنامج كان قد بدأه في عام 2016 لربط الدماغ بالذكاء الاصطناعي.

وعلى حد قوله فإن البرنامج الذي أطلق عليه نيورولينك Neuralink يسعى "لحفظ النوع البشري بمواصلة التفوق على الآلات خارقة الذكاء". وأضاف أن الهدف بعيد المدى للبرنامج هو خلق تكامل بين الدماغ البشري والذكاء الاصطناعي.

ولم يتورع عن الحديث عن مغامرة مثيرة للجدل بالقول إنه إذا أصبح لدينا ملايين الأشخاص المتصلين بالذكاء الاصطناعي فإن ذلك سيجعلنا خارقي الذكاء.

ويشير موقع نيورولينك على الإنترنت إلى أنه يطور روابط برودباند كبيرة القدرات لربط الدماغ بالكمبيوتر. ويقول ماسك إن البرنامج سيركز أولاً على التطبيقات الطبية لكنه سيطور الرقائق الإلكترونية الدماغية للوصول إلى تكامل الدماغ مع الذكاء الاصطناعي.

وأوضح ماسك أن الروبوتات الفائقة الذكاء ستهيمن في المستقبل على حياتنا وأن البشر سوف يحتاجون للتفكير مثل الآلات لتجنب تدميرهم من قبلها. وتوقع أن تصبح الروبوتات فائقة الذكاء والتطور ومتقدمة جدا في نهاية المطاف بحيث تحاول الإطاحة بصانعيها البشر.

ويرى أننا إذا بقينا على قيد الحياة فسوف نكون مقيدين وربما يتم إقصاؤنا إلى "مناطق محمية" قليلة مثل الشمبانزي إذا لم ندخل المنافسة مع الروبوتات بتوصيل أدمغتنا بالكمبيوتر.

يمكننا أن نتخيل من بعيد الأبواب التي يمكن أن يفتحها توصيل الدماغ البشري بالإنترنت وما يمكن أن يفتحه من إمكانية تسلل السلطات أو الشركات أو قراصنة الكمبيوتر (الهاكرز) إلى أدمغة البعض وربما زرع فيروسات كما يحدث في الكمبيوترات اليوم.

كوابيس مخيفة

تلك التجارب لن تكون في متناول أعداد كبيرة خلال وقت قريب. ليس لصعوبة توفيرها بل بسبب خطورتها وخشية السلطات من تداعياتها على الاستقرار والأمن بسبب ما يمكن أن تحدثه من زلازل في بنية المجتمع.

الكوابيس المخيفة قد تصل خلال سنوات أو عقود إلى إمكانية السيطرة والتحكم بأدمغة أشخاص وقيادتهم إلى القيام بأفعال أو جرائم دون إرادتهم أو مسح أجزاء منها أو إدخال أشياء أخرى.

يمكن للمخيلة أن تذهب أيضا إلى إمكانية أن نستطيع بضغطة زر من تحميل الآلاف من الكتب إلى أدمغتنا دون قراءتها كلمة كلمة. وقد يكون هناك من يمارس ذلك في المختبرات دون الإعلان عن ذلك.

هناك أخبار عن تجارب أخرى كل يوم، قد تبدو لأول وهلة بعيدة عن هذا الميدان لكن تأملها بعناية يؤكد أنها ليست بعيدة مثل تطوير علماء أميركيين لذراع آلية مكنت امرأة تعاني شللا كاملا في التحكم بالآلات بمجرد التفكير بما تريدها أن تفعل.

تلك التجربة التي نشرتها مجلة "لانست" الطبية والعشرات من التجارب المماثلة تشير إلى النقلة الحاسمة وهي فك شفرة الدماغ البشري وترجمة النبضات العصبية التي تحاكي التحكم الطبيعي في العضلات.

وأجرى الفريق المنتمي لجامعة بيترسبرغ بولاية بنسلفانيا الأميركية بحثه على جان شيرمان، المشلولة بسبب خلل دماغي منذ 13 عاما. وقت تمكنت من تشغيل الذراع الآلية بمستوى تحكم ورشاقة غير مسبوقة.

وقام الفريق بزرع قطبين كهربائيين صغيرين للغاية في المركز المسؤول عن الحركة في الدماغ وربطهما بذراع اصطناعية يمكنها محاكاة اليد الطبيعية. وبعد مرور يومين على العملية تمكنت المرأة من تحريك تلك الذراع عبر الأفكار فقط.

الباحثون قالوا إن المرأة تمكنت بعد ثلاثة أشهر من التدريب من أداء أكثر من 90 بالمئة من أوامر الإمساك بأشياء كما أصبحت حركتها أكثر سرعة وكفاءة، دون ظهور أي تأثيرات جانبية.

ويعني ذلك أن الكمبيوتر، وهو في هذه الحالة اليد الآلية، أصبح يفهم لغة الدماغ التي تحرك العضلات وبضمنها عضلات اللسان والفم أثناء الحديث، أي أن اللسان يمكن أن يحال إلى التقاعد لنبدأ بالتواصل مباشرة من دماغ إلى آخر.

ويعني ذلك أيضا أن الدماغ البشري يستخدم لغة تفهمها التكنولوجيا الحديثة. أي أنني يمكن أن أكتب مقالة مثل هذه من دماغي مباشرة إلى الكمبيوتر دون طباعتها حرفا حرفا.

وهناك تجارب أخرى كثيرة مثل ابتكار باحثين في معهد جورجيا الأميركي للتكنولوجيا لذراع آلية تضيف يدا ثالثة لأحد أعضاء فريق موسيقي وتتصل مباشرة بالجهاز العصبي ليعزف بها مثل يديه الأخريين.

وتمت برمجة الذراع باستخدام الذكاء الاصطناعي كي تستجيب أيضا إلى الموسيقى المعزوفة بالاستعانة بتقنيات التقاط الحركة ذات الدقة المتناهية والتكيف مع الإيقاع وسرعة العزف.

وقبل أعوام استخدم باحثون في سويسرا أقطابا كهربائية زرعت بشكل مباشر في شبكية العين لتمكين ضرير من القراءة.

كما تمكن فريق آخر من إيصال شخصين عبر نقاط في الجمجمة بالكمبيوتر مباشرة، أي أنهما أصبحا موصلان بالإنترنت كأي جهازي كمبيوتر. وقد تمكنا من تبادل رسائل مباشرة من دماغ لآخر، أي مثلما نتبادل الرسائل النصية عبر الهاتف أو عبر البريد الإلكتروني.

هناك العشرات من التجارب المماثلة التي سمحت لأشخاص مصابين بالشلل بالطباعة أو الكتابة دون استخدام اليد، بل بمجرد التفكير في الحروف والكلمات التي يريدون كتابتها أو طباعتها.

دلالات تلك التجارب يمكن أن نأخذها إلى آفاق أبعد من ذلك بكثير. وهي على حد تعبير الفريق العلمي لجامعة بيترسبرغ "تم الآن فك شفرة الدماغ البشري".

كل ذلك يؤكد أننا سنتمكن من التواصل عبر الآلاف من الكلمات والصور مباشرة من دماغ لآخر، ولن نحتاج إلى تبادل الكلمات. وسنتفاعل ونتحاور بآلاف المعلومات في لمح البصر. وسنتفاهم مع أشخاص بلغات أخرى يترجمها الكمبيوتر مباشرة.

قد نتمكن من تحميل كل كتب العالم بضغطة زر، دون قراءتها كلمة كلمة. وقد نتمكن من ترتيب الذاكرة والعودة إلى ما رأيناه في طفولتنا وبوضوح تام حينما كانت أعمارنا يوما واحدا. بل ربما نعود إلى ذاكرتنا في أرحام أمهاتنا. وربما نتمكن من مسح ما لا نريده من الذكريات.

قفزة إلى المجهول

يبدو أن جميع ما نعرفه في هذا الميدان ضئيلا، بسبب صعوبة اختراق ما يحدث في المختبرات والضوابط القانونية التي تدفع العلماء إلى إجراء التجارب بسرية تامة.

يمكن أن نتخيل منافع هائلة لتلك التجارب، لكن في المقابل لا يمكن لأي مخيلة شيطانية أن تتوقع أبواب الجحيم التي ستفتحها، لأن البعض ستكون إمكاناتهم أكبر بكثير من آخرين، وسيذهب البعض إلى مديات أبعد وأخطر مما تسمح به القوانين والسلطات.

هجمات الهاكرز اليوم قد تتحول إلى تخريب أدمغة البعض. بل إن أسياد العالم السفلي قد يذهبون لمسح أدمغة بعض الأشخاص وتحميل برامج ومعلومات تحولهم إلى جنود مثاليين لخدمة أغراض محددة.

ستختلف قدرات البشر وأذرعهم الآلية باختلاف قدراتهم المادية وتظهر طبقات جديدة بحسب تلك القدرات.

أمام كل هذه الإغراءات والمخاطر هل سأغامر يوما بتوصيل دماغي بالإنترنت؟ وهل سأستطيع مقاومة إغراء ذلك والبقاء خارج حركة التاريخ المجنونة والحتمية؟

أسياد العالم السفلي قد يقومون ذات يوم بمسح أدمغة البعض وتحميل برامج لتحولهم الى جنود مثاليين لخدمة أغراض محددة

تمارين الترامبولين تدرب كل عضلات الجسم

رياضة تقوي العمود الفقري وتساعد على الاسترخاء

لا تقتصر تمارين الترامبولين على الأطفال أو المراهقين، فهي تبدو وكأنها أحد الأنشطة التي تركز على اللهو والقفز ولا تتطلب جهدا أو برنامجا منظما لشكل الحركات ومدتها، لكنّ مدربي اللياقة يؤكدون أنها تمزج بين الكثير من التمارين التي تدرب كل عضلات الجسم وأنها رياضة مناسبة لكل الأعمار، شرط اتباع إجراءات السلامة.

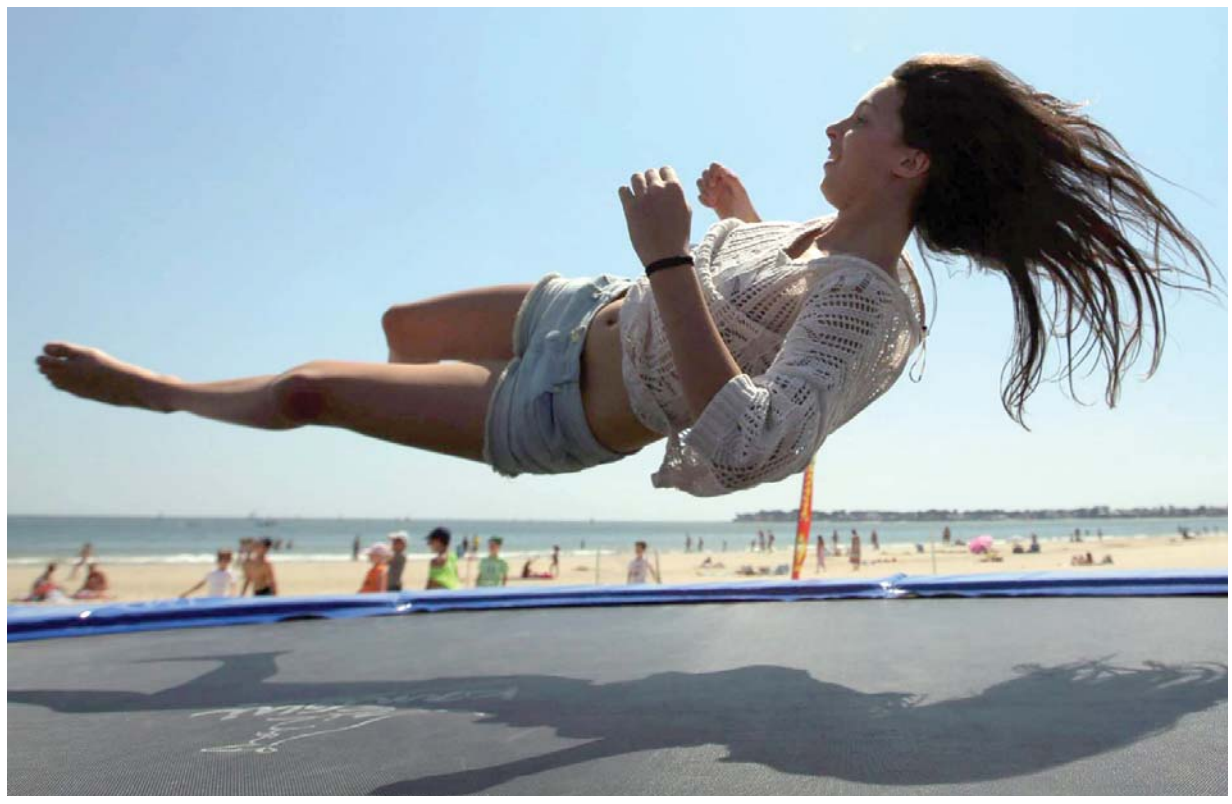

الترامبولين مناسبة لكل الأعمار

❏ **برلين** – كشف باحثون في مجال الطب الرياضي أن القفز على الترامبولين ينمي مستوى اللياقة والقوة العضلية ويعزز الشعور بالاسترخاء والسعادة بمجرد الانتهاء من التمرين. وهو ما تدعمه مدربة اللياقة البدنية الألمانية زيلكه فولينفيبر بقولها إن القفز على الترامبولين يعد بمثابة الطريق للصحة والسعادة؛ حيث أنه يتمتع بفوائد جمّة للجسد والنفس على حد السواء.

وأوضحت فولينفيبر أن القفز على الترامبولين يعد تدريبا شاملا للجسم؛ حيث أنه يساعد على تدريب نحو 400 عضلة، خاصة عضلات الجذع، فضلا عن أهميته الكبيرة لصحة القلب والأوعية الدموية.

كما تساعد تدريبات الترامبولين على التخلص من دهون الجسم، فتبعا لمستوى اللياقة البدنية ودرجة شدة التمرين يمكن حرق ما يتراوح بين 800 و1000 سعرة حرارية.

وبالإضافة إلى ذلك، يساعد القفز على الترامبولين على إفراز الأدرينالين، ما يسهم في التخلص من التوتر النفسي والشعور بالاسترخاء والراحة النفسية والسعادة.

وأكدت فولينفيبر أن هذه الرياضة تعد مناسبة للجميع باستثناء بعض الحالات، مثل مرضى السلس البولي والمرضى الذين يستخدمون منظم ضربات القلب. وينطبق ذلك أيضا على الحوامل بسبب التحميل العالي على قاع الحوض.

> القفز على الترامبولين يعد تدريبا شاملا للجسم؛ حيث أنه يساعد على تدريب نحو 400 عضلة، خاصة عضلات الجذع

وبشكل عام تنصح المدربة الألمانية بممارسة القفز على الترامبولين باعتدال في البداية ثم رفع درجة الشدة تدريجيا.

وأفاد تقرير نشر في موقع دويتشه فيله الألماني أنه بالرغم من كون هذه الرياضة تندرج ضمن قائمة ألعاب الأطفال، إلا أن دراسة علمية سابقة أثبتت تأثيرها الإيجابي على صحة البالغين أيضا. ففي دراسة أجرتها وكالة الفضاء الأميركية "ناسا"، ثبت أن تمارين القفز على المنطة (ترامبولين) تفيد الجسم أكثر من ممارسة الركض بنسبة 68 بالمئة.

وتشير الدراسة، التي نشرت في مجلة ناسا لعلم وظائف الأعضاء التطبيقي، إلى أن قضاء المرء ساعة من القفز على الترامبولين كفيل بحرق عدد من السعرات الحرارية أكبر بكثير من تلك التي يمكن حرقها عند الركض لنفس الفترة الزمنية. وبالمقارنة مع مختلف أنواع الرياضات، وجد الباحثون أن ممارسة تمارين تحفيز ضربات القلب والدورة الدموية لمدة ساعة ربما تقلل من فرص نجاح محاولات إنقاص الوزن، نتيجة لزيادة معدل ضربات القلب والتنفس السريع. كما تساعد تدريبات الترامبولين أيضا على التمثيل الغذائي، وهو كلمة السر في نجاح محاولات إنقاص الوزن. ويفسر الخبراء ذلك بأنه إذا قام الشخص بالقفز بوتيرة معتدلة، فلا يزال بإمكانه التنفس بشكل مريح وهادئ. كما أنه لا يحرك الجسم بتوتر أو تعب، بل يشعر بالحرية ولا تحركه سوى الجاذبية الأرضية. ولمن يحاولون إنقاص وزنهم، نصح الخبراء بممارسة هذا النوع من تمارين القفز لفترة تتراوح ما بين 15 إلى 20 دقيقة 3 مرات في الأسبوع، طبقا لما ورد في الدراسة.

ورصدت الدراسة مجموعة من الحقائق المثيرة عن فوائد الترامبولين، من أهمها زيادة دورة الأكسجين ما يؤدي إلى زيادة طاقة الخلايا في الجسم. فقد قارن الباحثون بين معدل نبضات القلب واستهلاك الأكسجين أثناء القفز وخلال تمارين الركض أو ركوب الدراجات.

ووجدوا أن هناك ارتفاعا كبيرا في "المحفزات الميكانيكية الحيوية" في الجسم أثناء القفز على الترامبولين. وأوضح العلماء أنه يتم الآن تطبيق تلك التمارين على رواد الفضاء في وكالة "ناسا"، خاصة بعد قيامهم برحلة إلى الفضاء، الأمر الذي يساعد على تجديد الطاقة وتحسين حركة الجسم والوقاية من أي إصابات في العضلات أو العظام.

وبالإضافة إلى كونها لعبة مسلية وممتعة، فالقفز على الترامبولين يعمل أيضا على زيادة اللياقة البدنية وتنشيط خلايا الجسم وتحسين أداء العضلات، فضلا عن تحسين حالة العمود الفقري وتخفيف آلام الظهر. كما أنه يساعد أيضا في تخلص الجسم من السموم وتنشيط الدورة الدموية والقلب، ما ينعكس على الحالة العامة للإنسان.

وقالت عالمة الرياضة جنيفر نوتينغ إن القفز على جهاز الترامبولين يعد مفتاح اللياقة والرشاقة، حيث أنه يساعد في حرق الكثير من السعرات الحرارية ويعمل على تقوية العضلات.

وأوضحت نوتينغ أن القفز يتطلب استعمال نحو 400 عضلة، مشيرة إلى أن القفز على الترامبولين لمدة 10 دقائق يضاهي ممارسة رياضة الركض لمدة 30 دقيقة، مما يعمل على تنشيط القلب والأوعية الدموية.

ويسهم القفز على الترامبولين في تقوية العضلات ومن بينها جميع عضلات الساق والأذرع، كما أنه يصون المفاصل ويعمل على تدريب حاسة التوازن.

وبالإضافة إلى ذلك، يعد القفز على الترامبولين سلاحا فتاكا لمحاربة التوتر النفسي، حيث أنه يمنح المتدرب شعورا بالمرح والبهجة.

ومن ناحية أخرى، تنصح نوتينغ بممارسة القفز على الترامبولين بشكل معتدل في البداية، مشيرة إلى أنه لا يناسب الأشخاص الذين يعانون من مشكلات في الظهر أو الذين يعانون من إصابات في أربطة الركبة أو القدم.

وكانت دراسة طبية صدرت مؤخرا قد حذرت من خطر المنصة البهلوانية أو ما يعرف بـ"ترامبولين،" على الأطفال، إذ تعتبر من أحد أكثر الألعاب التي تسبب لهم الإصابات.

وجاء في الدراسة التي نشرت على مجلة تايم الأميركية، أن الأرقام الرسمية للإصابات التي سببتها لعبة ترامبولين انخفضت نسبيا خلال الأعوام الماضية بعدما وصلت إلى 98 ألف إصابة خلال العام 2009 استدعت 3100 إصابة منها النقل إلى المستشفيات.

وحذرت الدراسة من أن 75 بالمئة من الإصابات الناجمة عن ممارسة هذه اللعبة تنتج خلال قفز مجموعة من الأشخاص على الغطاء المطاطي للعبة، حيث ترتفع نسبة خطورة الإصابة عكسيا مع عمر الشخص؛ فكلما كان الشخص أصغر سنا كلما ارتفعت نسبة خطورة الإصابة بالاستناد إلى قوة الجسم وقدرته على تحمل الصدمات.

وبينت الدراسة أن الإصابات في غالب الحالات تتركز في مناطق الرأس والعمود الفقري وتتنوع من الكسور والالتواءات والرضوض، وتختلف خطورتها باختلاف مناطق الإصابة.

وتناولت الدراسة موضوع خطورة اللعبة من الناحية الفيزيائية حيث أن وجود شخص بالغ مع مجموعة من الأطفال فوق المنصة البهلوانية يؤدي الى زيادة الثقل المفروض على الغطاء المطاطي وبالتالي رفع قوة ردة الفعل.

وقوة ردة الفعل تلك قد تطلق الطفل الأقل وزنا إلى ارتفاع بين خمسة إلى عشرة أقدام (نحو 1.5 إلى 3.00 أمتار) والسقوط بقوة على الأرضية المطاطية التي ستتحول إلى صلبة عند الأخذ بعين الاعتبار سرعة سقوط الجسم.

مشروبات الطاقة تخفض مستوى اللياقة

❏ **كولن (ألمانيا)** – قالت الرابطة الألمانية لأطباء الأطفال إن مشروبات الطاقة لا تساعد على تحسين اللياقة البدنية والذهنية لدى الشباب بخلاف الاعتقاد الشائع، بل على العكس تتسبب في انخفاضهما.

وأوضحت أن تحسين اللياقة البدنية والذهنية يتطلب توسيع الأوعية الدموية، أي وصول المزيد من الدم للمخ والقلب والعضلات، في حين تتسبب مشروبات الطاقة في تضيق الأوعية. وفي الوقت ذاته يفرز الجسم المزيد من هرمونات التوتر، ومن ثم يرتفع ضغط الدم ومعدل ضربات القلب.

وبالإضافة إلى ذلك، ترفع مشروبات الطاقة خطر الإصابة بالبدانة والسكري بسبب محتوى السكر العالي.

لذا يوصي مدربو اللياقة بضرورة تخلي الشباب والمراهقين عن مشروبات الطاقة، خاصة الذين يعانون من مشكلات بالقلب والأوعية الدموية أو يتعاطون أدوية لعلاج اضطراب فرط النشاط وقصور الانتباه.

وكانت دراسة كندية قد حذرت من أن مشروبات الطاقة تؤثر سلبيا على قلوب الشباب وتعرضهم لمشكلات صحية أبرزها صعوبات النوم والصداع. وأجرى الدراسة باحثون بكلية الصحة العامة في جامعة واترلو الكندية، ونشرت في العدد الأخير من دورية (سي ماج) العلمية ونقلتها صحيفة ديلي ميل البريطانية.

وربطت دراسات سابقة مشروبات الطاقة باضطرابات كثيرة تحدث في المعدة والأعصاب والقلب، لكن فريق جامعة تكساس يقول إن النتائج التي توصل إليها هي من بين أولى النتائج التي تلقي الضوء على الآلية المحتملة التي تربط استهلاك مشروبات الطاقة بزيادة متلازمة الأيض.

مشروبات الطاقة تتسبب في تضييق الأوعية

ونظر الفريق خلال الدراسة في بيانات 44 طالبا من كلية الطب ماك غوفرن وكان المشاركون جميعا في العشرينات من العمر ويصنفون على أنهم أصحاء ولا يدخنون.

وأراد الباحثون اختبار وظيفة البطانة الغشائية، وهي طبقة من الخلايا التي تبطن سطح الأوعية الدموية.

ووفقا لفريق البحث، فقد تبين أن هناك خللا في الوظيفة البطانية، وهو مؤشر على النوبات القلبية لأن الشرايين غير قادرة على التمدد بشكل كامل.

واختبر الفريق الوظيفة البطانية للمشاركين، قبل أن يشرب كل منهم مشروب الطاقة الذي يبلغ حجمه حوالي 700 ملل، ثم يعاد إجراء الاختبار بعد مرور 90 دقيقة. وراقب الباحثون تمدد الشرايين عندما يزداد تدفق الدم. وبعد 90 دقيقة فقط على تناول مشروب الطاقة، تبين أن حركة الدم في القطر الداخلي للأوعية الدموية قد انخفضت بمقدار النصف تقريبا.

ويقترح فريق البحث أن التأثير السلبي على الأوعية الدموية يمكن أن يرتبط بتأثير مكونات مشروبات الطاقة، بما في ذلك الكافيين والتورين والسكر وأعشاب أخرى، على البطانة الغشائية.

الرياضة تكافح الاكتئاب لدى كبار السن

❏ **مونتريال** – أظهرت دراسة كندية حديثة أن التغييرات التي تحدث في العضلات نتيجة ممارسة الرياضة يمكن أن تساعد في تحسين المزاج ومقاومة الاكتئاب لدى كبار السن.

الدراسة أجراها باحثون بجامعة ماكماستر الكندية، ونشروا نتائجها في العدد الأخير من دورية (أميريكان جورنال أوف سايكولوجي –سال فيزيولوجي) العلمية.

وللوصول إلى نتائج الدراسة، راقب الفريق مجموعة من الرجال الأصحاء الذين ليس لديهم تاريخ من الإصابة بالاكتئاب.

وشارك الرجال الذين تزيد أعمارهم عن 65 عاما في تجربة تمارين لمدة 12 أسبوعا، تتكون من تمرين المقاومة للأرجل والأكتاف، عن طريق آلة تمارين خاصة، بالإضافة إلى تمارين الدراجة الثابتة.

وأخذ فريق البحث عينات من الدم والعضلات، وفحصوا تعبير الجين والبروتين في العضلات قبل وأثناء وبعد التجربة.

ووجدوا أن التمارين الرياضية أحدثت تغييرا في العضلات انعكست تأثيراته الإيجابية على تعزيز الحالة المزاجية.

كما وجدوا أن الرياضة تعزز إنتاج إنزيم يدعى "كات"، الذي يؤدي إلى إنتاج بعض البروتينات التي تساعد على تنظيم التعبير الجيني ومعالجة التمثيل الغذائي للتريبتوفان في الجسم.

والتريبتوفان، أحد الأحماض الأمينية الأساسية بالجسم ويؤدي دورا رئيسيا في التحكم بالحالة النفسية للإنسان، حيث يقوم بتنظيم وإفراز عمل هرمون "السيروتونين"، المعروف بهرمون السعادة، ويعاني مرضى الاكتئاب من مستويات منخفضة من هرمون "السيروتونين" في الدم.

ويعمل التريبتوفان كذلك على تحسين الأعصاب الطرفية ومقاومة أعراض الشيخوخة.

واعتبر الفريق أن الدراسة أثبتت نتائج مشجعة حول فوائد زيادة ممارسة التمارين الرياضية لتحسين الحالة المزاجية لكبار السن.

وكانت دراسة سابقة قد توصلت إلى أن ممارسة الرياضة بانتظام لمدة ساعة واحدة أسبوعيا، يمكن أن تساعد الأشخاص على التخلص من الاكتئاب في المستقبل.

وأجرى الدراسة باحثون من جامعة (نيو ساوث ويلز) الأسترالية ونشروا نتائجها في النشرة الدورية الأميركية للطب النفسي.

وقال الباحثون إنهم أجروا دراسة هي الأكبر والأشمل من نوعها، وتابعوا فيها 33 ألفا و908 من البالغين في النرويج، ورصدوا لديهم أعراض الاكتئاب والقلق وقد استمرت المتابعة أكثر من 11 عاما.

ووجد الفريق الدولي أن 12 بالمئة من حالات الاكتئاب كان من الممكن أن تتم الوقاية منها إذا مارس المشاركون النشاط البدني لمدة ساعة واحدة فقط أسبوعيا.

وأظهرت النتائج أن الأشخاص الذين أفادوا بعدم ممارسة الرياضة على الإطلاق زادت لديهم فرص الإصابة بالاكتئاب بنسبة 44 بالمئة مقارنة مع أولئك الذين كانوا يمارسون ساعة أو ساعتين من النشاط البدني في الأسبوع.

ويشار إلى أن التوصيات الحالية للخدمات الصحية البريطانية لكبار السن تنصح بالمشاركة لمدة 150 دقيقة في نشاط رياضي معتدل أسبوعيا للبقاء في حالة لياقة صحية أو 75 دقيقة من التمارين القاسية.

لكن إحصائيات جديدة لوزارة الصحة تبين أن 17 بالمئة فقط من الرجال و13 بالمئة من النساء فوق الستين يستطيعون تدبر هذا الكم من التمارين، في حين أن 60 بالمئة لا يمارسون الرياضة على الإطلاق.

ومع ذلك يقول خبراء الصحة إن كبار السن غالبا ما يتوقفون عن الرياضة لشعورهم بأنهم لن يتمكنوا من القيام بال150 دقيقة المستهدفة.

وتظهر الدراسة أن استكمال 75 دقيقة فقط من النشاط البدني الخفيف إلى المعتدل مثل المشي أسبوعيا يقلل كذلك خطر الوفاة المبكرة بنسبة 22 بالمئة.

وكانت منظمة الصحة العالمية كشفت في أحدث تقاريرها أن أكثر من 300 مليون حول العالم يتعايشون حاليا مع الاكتئاب.

وحذرت المنظمة من أن معدلات الإصابة بهذا المرض ارتفعت بأكثر من 18 بالمئة بين 2005 و2015.

جيل جديد من السينمائيين يصالح الشباب مع الفن السابع في تونس

«دشرة» حكاية رعب من وحي الأساطير التونسية تؤسس لتقاليد مشاهدة خارج المهرجانات

تعوّد الشباب التونسي على أفلام الرعب الغربيــة والمحتوى المخيف والصادم في إنتاج عاصمة الســينما العالمية هوليوود، لذلــك كان فيلم "دشــرة" بمثابــة مغامرة لصنّاع الفيلم الشــباب الطموحين لإعادة الجمهور إلى صالات السينما.

آمنة جبران
صحافية تونسية

تونس - تنجح أفلام الرعب في اســتقطاب الجمهــور العالمــي خاصة من الشــباب، إذا تبدو الفئة الشابة أكثر حماسة لاكتشاف فيلم يحمــل أحداثا عنيفــة، متحدية تلــك الدعاية الترويجية الســاخرة التي ترافق عادة عرض الفيلم "لا ينصح بمشاهدته بمفردك أو فيلم لا يصلح لأصحاب القلوب الضعيفة".

وقد نشــأت أجيال عربية على أشهر أفلام الرعــب العالمية مثل "اوبن واتــر" عام 2003 أو "رجــل العثة" عــام 2002 أو "طرد الأرواح الشريرة من جسد إيملي روز ، الذي أثار جدلا وذاع صيتــه عام 2005 و"الشــر" الذي أقرّ كل من شــاهده بأنه يعرض "الشر على أصوله"، وقائمة الأفلام التي طبعت في ذاكرة المشاهد العربي تطول.

ورغم أن الجمهــور العربي لم يتعوّد على أفلام رعب من صنّاع الســينما المحلية لندرة إنتاجها، إلا أن جيل جديد من الســينمائيين الشــباب في تونس خالفوا هــذه القاعدة، إذ قدّم عبدالحميد بوشناق فيلم الرعب الأول من نوعه في تونس.

نجــح المخــرج الشــاب في تحقيــق رقم قياســي في السينما التونســية بفيلمه الأول "دشــرة" بعد أن تجاوز عــدد المتفرجين 100 ألف شــخص في 17 يوما فقــط، كما يعدّ هذا الفيلم أول فيلم تونسي يحقق أرباحا تجارية ويغطّــي تكاليف الإنتــاج. وقد تمــت كتابته وتصويره وعرضه للمشاهدين في أقل من عام وهو وقت قياسي آخر.

ويدفع نجاح الفيلم في اســتقطابه بصفة خاصة للجمهور الشاب إلى التساؤل هل يعي صنّاع العمل مــا بات يفضّلــه جيلهم اليوم؟ حيث لــم تعُد الســينما الكلاســيكية تجذبه، ويدركــون أن الوصفة مضمونــة لنجاح هذه المغامــرة بما أن الشــباب هم المســتهلكون الرئيســيون لأفــلام الرعب فــي كل العالم، أم لأن الشباب متعطشون للسينما بكل أنواعها، ووجدوا فيها بدائل ثقافية ترفيهية تُنسيهم واقعهم الاقتصادي والاجتماعي الصعب.

ويجيــب مخرج فيلــم دشــرة عبدالحميد بوشــناق في تصريحات لـ"العرب" عن سبب نجاح الفيلم، ويقول إن "نجاح 'دشــرة' ليس لأنــه أول فيلــم رعب تونســي فقــط، بل لأنه يلامــس المشــاهد ويمثله فــي طريقة تمثيل شخصيات الفيلم التي اندمج معها".

ويضيــف بوشــناق "أنا لم أســتبله ذكاء المتفــرج وحاولت أن أكــون مقنعا في طريقة تمثيــل الشــخصيات، ومن خــلال التقنيات المعتمدة وتماشــيها مع القصة.. هذا الصدق الذي لمسه المتفرج كان وراء نجاحه".

ولفت أن "الإقبال الكبير على الفيلم يشــير إلــى مصالحــة الجمهور مع قاعات الســينما وخصوصا السينما التونسية"، لافتا أنه "كان هــذا الهدف من الفيلم أن نعيد الناس للقاعات وهذا سبب سعادتي بعد نجاح 'دشرة'".

وأشــار إلى أن "الفكرة موجودة لديه منذ ســنوات، حيث كان يحلم بفيلم نوعي، فيلم مختلف، تحديدا من نوعيــة الرعــب. ويعتقد أنه "إذا أرادت تونــس أن تكون لها سوق سينمائي ناجح يجب أن تكون هناك نوعية في الأفلام".

ويتابــع "أنــا مولــع منذ صغري بأفلام الرعب وأردت أن أبرهــن أننا في تونس لدينا موروث نستطيع أن ننافس به أفلام الرعب العالمية الأميركية".

ويقرّ مخرج "دشرة" بــأن المعادلــة كانت صعبــة وكانــت بمثابة مغامرة إذ لم تكن لدينا أرقام أو معطيات توضح أن المشــاهد التونسي، الذي تربى على أفلام الرعب العالمية مــازال متابعا لهــذا النــوع مــن الأفلام أم لا.

فيلم بروح شبابية

وأضاف بوشــناق "كانت لدينــا فكرة عن بعــض النــاس الذين يكتــرون أفــلام الرعب الأميركيــة وخاصة من فئة الشــباب.. وكأول فيلم رعب هو بمثابة مغامرة لأنه نوعية جديدة من الأفلام التونســية لذلك كان الخوف كبيرا. لكن في النهاية كللت المغامرة بالنجاح".

ويشــير بوشــناق أنه يفكر فــي جزء ثان للفيلم إذا كان الســيناريو في مستوى الجزء الأول منه. وقد سبق للمخرج أن عبّر عن رغبته فــي أن يكون الجــزء الثاني أعنــف. وأوضح "خلال تصوير 'دشــرة' حذفت مشاهد لخوفي مــن ردة فعل المشــاهد، لكن الآن لــن أتردد، فالمتفرج التونســي يســتطيع أن يتقبّل أكثر مشاهد رعب".

حكاية رعب بروح تونسية

يقــول المتابعــون إن جيــلا شــابا مــن الســينمائيين والمنتجين التونسيين تمكّنوا من إثارة مواضيع اجتماعية وسياسية كانت تخضع للرقابة المشددة قبل ثورة العام 2011 وتقديمهــا فــي طرح جــريء، مســاهمين في ظهور ســينما جديدة بالرغم مــن قلّة صالات العرض وإنعاش الحيــاة الثقافية في البلاد. لكن ما يحســب لفيلم "دشــرة" أنه فيلم رعب جريء بروح تونســية، حيث استوحى فكرته من الأساطير الشعبية التونسية، وفكرة الفيلم هي التي تفسّر انجذاب الشباب إليه.

يحكــي الفيلم قصــة طالبــة جامعية في اختصاص الصحافة تدعى ياســمين، تعمل، رفقــة صديقيْهــا بــلال ووليد، على حــلّ لغز جريمة غامضة تعود إلى أكثر من 25 سنة، وتتعلّق بامرأة وُجدت مشوّهة ومقتولة وملقاة وســط الطريــق، فينتهي بهم المطاف، بعــد التحقيــق، إلى قرية صغيــرة (دشــرة) معزولــة وســط الغابة. تشعر ياســمين ومرافقيْها بأنهــم محاصــرون فــي الغابــة وينتابهــم الرعــب، فيحاولون الهــروب مــن المكان. و يكتشــف أبطال الفيلم واقعــا جديد مــن ظواهــر الســحر والشــعوذة الموجودة بالأســاطير الشــعبية التونســية كاستخراج الكنوز عن طريق الأطفال. وكيف يت استغلال الموتــى في خدمة الســحر بخياطــة الفم أو بواســطة يد تقوم بتحريك الأكلة التونســية الشــهيرة "الكسكســي"، وهــي حكايــات من الموروث الشعبي التونسي.

وأشــار صنّاع الفيلم إلــى اعتمادهم على ظاهــرة الســحر الموجودة بالعالــم العربي، كما اعتمدوا في طرحها على أســاليب حديثة لتضاهي أفلام الرعب العالمية وتتناســب مع تطلعات الجمهور.

ويعدّ فيلم "دشــرة" أوّل تجربة سينمائية تونسية تســلّط الضوء على هذا الواقع، هذه التجربة التي تنقل هــذا الموروث إلى العلن. ويعتقد المتابعون أن إقبال الشــباب على هذا الفيلــم لأنه يميل بطبعه إلــى الاطلاع ويرغب في اكتشاف تلك الأساطير الشعبية عن السحر وغيره التي ردّدها الآباء والأجداد.

وإن تعوّد الشــباب التونســي على نوعية معيّنة من أفــلام الرعب الغربيــة والمحتوى المخيــف والغريــب التــي تنتجهــا عاصمة السينما العالمية هوليوود، فإن فيلم "دشرة" هــو حكاية رعــب على طريقة تونســية تروي قصة من نســيج الخيال الشعبي، حيث يطرح الفيلــم الأفــكار والمخــاوف التــي توارثتها الأجيال في تونس كأنه يخاطب ما بداخلهم.

ويعتقــد متابعــون أن محتــوى الفيلــم المســتمد من المجتمع ســبّب نجاحه وإقبال الشــباب عليه، لذلك فهو يمثّل نقلة نوعية في السينما التونسية التي تعاني من صعوبات.

ويرى خميس الخياطي الناقد السينمائي في تصريح لـ"العرب"، أن "نجاح أفلام الرعب في استقطاب الشــباب أمر طبيعيّ، فقد لاقت أفــلام الرعــب الأميركية مشــاهدة عالية منذ ظهورها بأفكارها البسيطة آنذاك.

وتابــع "اليوم أمام ما تشــهده الســينما مــن تطــوّر في التقنيــات والمؤثــرات تجعل الصورة حقيقية مقارنة بالســابق والمشاهد صادقة. وأردف "الســينما مؤثرة بطبعها بكل أنواعها".

ويصف الخياطي "مئة ألف مشــاهد لفيلم 'دشــرة' بالحــدث الطبيعي غير أنهــا خطوة مهمــة فــي الســينما التونســية".. ويضيف "عودة ميمونة للسينما التونسية".

ومن مكاســب الفيلم نجاحه في مصالحة الجمهور مع القاعات، حيث استقطب جمهورا جديــدا يدخل لقاعات الســينما للمرة الأولى، وهــذا يؤثــر إيجابيا في نســب الحضور في قاعات السينما التونسية.

تلذذ بالخوف وفضول

يقــول خبــراء اجتمــاع إن المتعــة التي يلاقيها الشــاب حين يشــاهد فيلــم رعب هو السبب الأساسي لشغفه بهذا الشعور، فتلذذه بالخوف حين معايشته أعنف المشاهد تبعث فيــه الســعادة والراحــة النفســية. ويعتقد الخيــاطي أن أفــلام الرعــب "فيهــا نقاهــة للإنسان إذ أنه يتخلّص من جانب من الخوف والتوجّس الذي بداخله".

ويذهب خبــراء آخرون إلى بحث الشــاب على المغامرات الشــيّقة التــي توفرها أفلام الرعب وما يرافق ذلك من رغبة في الاكتشــاف والفضول. ويفسّــر ممدوح عزالدين المختصّ في علم الاجتماع لـ"العرب"، إقبال التونسيين على فيلم "دشــرة" بسبب الفضول، خاصة أن الإنتاج التونسي في هذا المجال نادر.

ويقــول عزالديــن "هو أول فيلم تونســي يشــتغل على الرعب، ففي السابق كانت أفلام ذات الطابــع الكوميدي أو الدرامي وتلك التي تركّز على المحظور كالجسد هي من تستقطب الجماهير".

وأضــاف "أفــلام الرعــب تجلــب في كل العالم إيرادات عاليــة لأنها نوع من التنفيس عن المشــاكل اليومية، وتجعل المشــاهد في حالــة من النشــوة، لذلــك هي تلاقــي رواجا عالميــا والحقيقة أنّ الإقبال التونســي ليس استثناء".

لكــن الاســتثناء بالنســبة إلــى عزالدين أن هــذا الفيلــم نجح في أن يجــذب الجمهور خارج المناســبات الســينمائية كأيام قرطاج الســينمائية، وخالف قاعدة إنتاج فيلم واحد بالنسبة إلى صنّاع السينما، وجازف بمغامرة كانــت ناجحة وأضافت حركية على المشــهد الثقافي التونسي.

ميول الشباب

يرى الخبــراء أن ميــول الشــباب الفنية وراء اختيــار نوعيــة الأفلام التــي يفضلون مشاهدتها، وهو مرتبط بالأذواق العامة ونمط الأفلام التي تعوّدوا عليها، ويشــير هؤلاء إلى تراجع السينما التقليدية كسينما الرومانسية وســينما "الأكشــن"، فيمــا حافظــت صناعة سينما الرعب على جمهورها في كل العالم.

بــدوره، يــرى الخبيــر فــي علــم النفس عبدالباســط الفقيه في تصريح لـ"العرب"، أن "الشباب بصفة عامة لديهم انفتاح على مسألة التعبيــر الفني أمام ندرة الإنتاج هذه النوعية من الأفلام في تونس".

ويبيّــن الفقيــه أن أفــلام الرعــب مــادة مستهلكة من قبل الشباب الذين شاهد أغلبهم الأفلام الرعب الشــهيرة. ويعتقد من الطبيعي أن يُلاقي فيلم "دشرة" إقبالا كبير، بما أنّه أول فيلم رعب تونسي.

ويلفــت أن الجمهور يبحــث عن مواضيع تمســه وتكون مرآة لــه. ويســتبعد أن تكون لثقافــة العنــف الرائجة، خاصة بعــد اندلاع ثورة يناير 2011، علاقة بشغف الشباب بأفلام الرعب.

ويوضّــح "الرعــب محــرّك الانفعــالات الداخليــة وجميعنــا لدينا مخــاوف مكبوتة، وهــذه المخاوف تســتثار عند مشــاهدة هذه الأفــلام". ويتابع "يعني الشــاب مثلما تثيره الكوميديا والرومانســية، تثيــره أيضا أفلام الحركــة والعنــف وقصص الدراما ومآســي النــاس". ويؤكد الفقيه أن رســالة الســينما رســالة خارقة للنفوس وأمام تراجع محتوى التلفزيــون بــات "هنــاك نوع مــن التفضيل للشــباب لهذا النــوع من الأفــلام لأنها أفلام مثيرة وجذابة".

عبدالحميد بوشناق:
دشرة كأول فيلم رعب تونسي هو بمثابة مغامرة لأنه نوعية جديدة

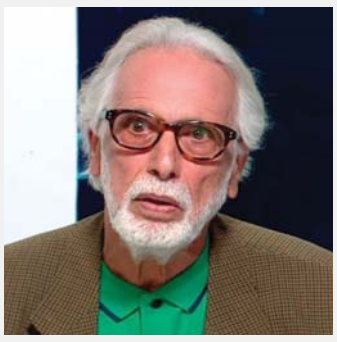

خميس الخياطي:
نجاح أفلام الرعب في استقطاب الشباب أمر طبيعي

عبدالباسط الفقيه:
الشباب بصفة عامة لديهم انفتاح على مسألة التعبير الفني

مواقع التواصل الاجتماعي تغمر النساء بالمال والشهرة وفرص العمل

الفاشينيستا والإنستغرامرز.. المرأة تصنع وظائفها في العالم الافتراضي

حوّل عدد كبير من النساء، من مختلف أنحاء العالم، مواقع التواصل الاجتماعي إلى سوق تعج بمختلف منصات التسويق والإعلانات. وبفضل الانتشار الواسع للإنترنت تمكّنّ من خلق مهن جديدة لهنّ في العالم الافتراضي، حيث أصبحت عدّة نجمات وفتيات، في الغرب كما في العالم العربي، شهيرات بفضل ما يعرضنه على إنستغرام وتويتر وفيسبوك وسناب شات، وغيرها من منصات مواقع التواصل الاجتماعي التي أضحت منافسا قويا للمنصات الإعلانية التقليدية.

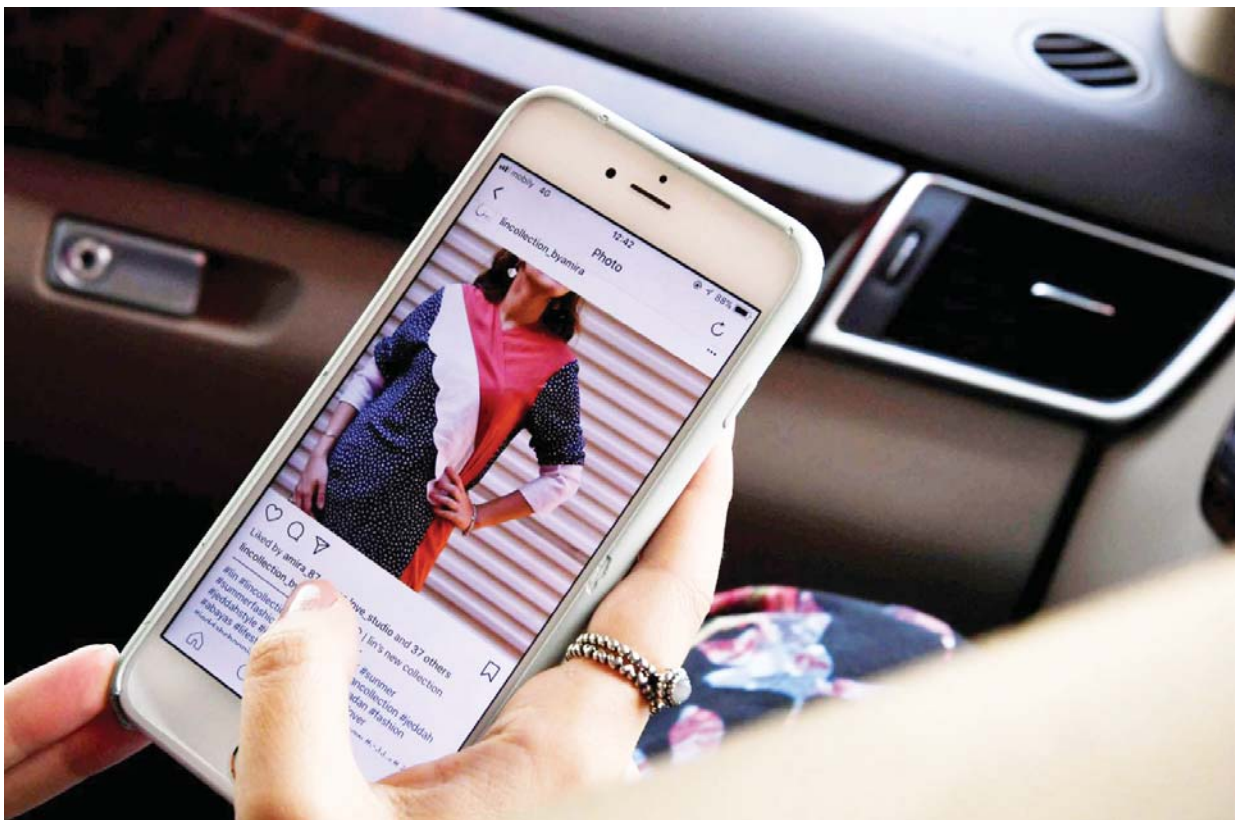

وظيفة رقمية مهمتها الأساسية استقطاب المزيد من المتابعين

❏ **لندن** – في الوقت الذي تتسبب فيه الثورة الرقمية في غلق أبواب بعض الوظائف تفتح أبوابا أخرى وآفاقا جديدة لم تكن متاحة من قبل. وبعض هذه الفرص الجديدة لا تشترط شهادات ومؤهلات علمية أو خبرات سابقة ورسائل تزكية، بل موهبة في التسويق وثقافة في مجال مواقع التواصل الاجتماعي وكيفية التعامل مع منصاتها.

ويعد هذا المجال التوظيفي الجديد "نسائيًا" بامتياز. وأضيفت إلى معاجم التعريفات الوظيفية كلمات مثل "إنستغرامرز" و"يوتيوبرز"، وقبل ذلك انتشرت ظاهرة "البلوغرز"، وهي تسميات تنسب إلى الفتيات والسيدات اللاتي يطلقن منصات خاصة بهن في مجالات مختلفة أشهرها الموضة والطبخ.

تبدأ التجربة بنشر مجموعة صور خاصة، وبعض النصائح في مجال التجميل أو تنسيق الملابس، أو وصفات بعض الأكلات، لتتحوّل بعد ذلك التجربة إلى عمل يوفّر لصاحبته دخلا وشهرة، وتصبح خبيرة تشارك في البرامج بصفة مثل "فاشينيستا" أو "إنستغرامرز" متخصصة في الموضة.

وتتصدر منصة إنستغرام قائمة منصات التواصل الاجتماعي التي تستفيد منها الفتيات والنساء –وحتى الرجال وإن بنسبة صغيرة– في تحويل العالم الافتراضي إلى سوق يعرض فيها مواهبهن ويفدن ويستفدن؛ فهي من ناحية مكنت العديد من الحالمات بتحقيق الشهرة والنجاح من إيجاد فرص عمل تلغي سنوات من التعب، ومن ناحية أخرى أوجدت المنصة موقعا للباحثات عن نصائح مجانية تساعدهن في الحصول على جمال متكامل يدخل فيه تنسيق الملابس والاختيار المثالي للمساحيق والإكسسوارات.

> مختلف مواقع التواصل الاجتماعي فتحت آفاقا وظيفية جديدة للعديد من النساء، تقدم لصاحباتها امتيازات تتحدد أساسا بحسب عدد متابعيهن

كما سمح الموقع الافتراضي بظهور عدد من الخبيرات في مجالات عدة، فإلى جانب عالم التجميل والمطبخ هناك مواقع متخصصة في التنمية الذاتية وتقديم النصائح للأمهات وديكورات المنازل، ومواقع تقدم إرشادات سياحية وغير ذلك من المجالات التي حولت "الإنستغرامرز" إلى نجمات ووجوه إعلانية تستفيد منهن الكثير من الشركات والمطاعم والماركات العالمية في حصد عدد كبير من المتابعين لصالحها.

وتبرز تجربة خبيرة التجميل الأميركية من أصل عراقي هدى قطان كمثال على هذا النجاح. وقد صنفتها مجلة فوربس كواحدة من أغنى 100 سيدة أميركية حققت نجاحها بنفسها، محتلة المركز الـ37 على القائمة.

وأصبحت خبيرة التجميل مالكة لعلامة "هدى بيوتي"، وقيّمت فوربس أرباح هذه العلامة التجارية بمليار دولار منذ إطلاقها عام 2013، إذ تبلغ أرباح منتجاتها التي تخطت الـ140 منتجا، نحو 200 مليون دولار سنويا.

وتتحدث قطان عن تجربتها قائلة إن النجاح يتطلب عملا دؤوبا للوصول إلى القمة، مشيرة إلى أن "هدفنا أن نكون مصدر إلهام لمن يتابعنا على منصات التواصل الاجتماعي الشهيرة وخصوصا إنستغرام، حيث نركز على المحتوى الجيد والمفيد للجميع، والذي يحفز على النجاح والمثابرة وامتلاك أدوات المنافسة والطموح والتطلع إلى آفاق بعيدة لتحقيق النجاح الدائم".

وحول تأثير الشبكات الاجتماعية على أعمالها، أكدت أن وسائل التواصل الاجتماعي تعتبر سلاحا ذا حدين، موضحة أن آلية التواصل تتطلب وقتا وجهدا ومحتوى مبتكرا متجددا، وإلا جاءت نتيجة التواصل سلبية وغير فعالة.

وتشفع لهذا النجاح الأنثوي الذي صار ظاهرة عالمية في وقت وجيز وآخذ يتزايد ويتوسع، سهولة الولوج إلى هذا العالم الرقمي دون شروط أو قيود أو ترتيبات إدارية أو مبالغ مالية ضخمة، إذ يكفي أن تتحلى الفتاة الراغبة في أن تكون مؤثرة في الآخرين وأن تكتسب جمهورا عريضا، بالتفكير السليم والوعي وتتمتع بسمات شخصية خاصة في مجال التقديم والإقناع واختيار الموضوعات التي تتعلق بقضايا المرأة.

امتيازات مرتهنة بعدد المتابعين

قال محمد طحان، الخبير والمدرب في الإعلام الرقمي الأردني، نقلا عن العرب ويكلي "عادة ما يكون أصحاب الحسابات المعنية شبابا يمتلكون بعض مهارات التواصل، ويعرفون كيف ومتى يلتقطون الصور، وما هي الكلمات الرئيسية التي يجب أن يستخدموها، ومن يجب عليهم أن يتواصلوا معه لتحقيق شهرتهم".

تقدم هذه الوظيفة الرقمية امتيازات لصاحباتها تتحدد أساسا بحسب عدد متابعيها، فمهما بلغ ثراء قطان مثلا المادي، فإن ثروتها الحقيقية لتحقيق كل هذا النجاح تتمثل في امتلاكها 30 مليون متابع عبر إنستغرام و2.4 مليون مشترك عبر قناتها الرسمية على يوتيوب، في حين أن صفحتها على فيسبوك تستقطب 4.8 مليون متابع.

وتستفيد المدونة من هذا الثراء في العالم الافتراضي عبر تلبيتها نداء بعض دور الموضة والمطاعم، وذلك بمشاركتها متابعيها فيديوهات وصورا لها وهي تأكل في مطعم معين أو تتسوق من محلات بعينها أو ترتدي ماركات دون أخرى أو تمارس رياضة في بعض النوادي، فيتلهف متابعوها على تقليدها والتقاط صور لهم تؤكد زيارتهم أيضا لهذه الأماكن، فيكون حظها من ذلك التمتع بخدمات مجانية مقابل خلقها وسيلة جديدة وسريعة للنشر والدعاية والترويج.

وأثبتت الفنانة التونسية منال عمارة أنه بالإمكان الاستفادة من منصات التواصل الاجتماعي واستثمار ارتفاع عدد المتابعين لترجمته إلى شهرة وثراء فاحش وسريع، حيث كشفت في أحد البرامج التي خصتها بحلقة تحدثت عن نهجها الجديد بالتوازي مع الغناء والتمثيل، عن أسطول كامل من التقنيين والمصورين المجندين لمشاركتها كل يومها، ونقله إلى المتابعين بشكل فوري.

هذا الأسلوب في الحياة منحها الكثير من الامتيازات كما خدمها في مشوارها الفني ونقلها بين عدد من الدول والفنادق الفاخرة والماركات العالمية، لتدخل بمتابعيها في عدد من المغامرات وتكون دليلهم لاختيار الأفضل من كل شيء. ونجحت الفنانة التونسية في أن تكون رائدة في مجال صار يستوعب أكثر من قبل عددا متزايدا من النجمات اللاتي خطون على خطى بن عمارة، مما فتح بابا جديدا للمنافسة بينهن.

وبينت دراسة أجريت مؤخرا في الولايات المتحدة أنّ مستخدمي إنستغرام يسجلون إعجابهم بـ4.2 مليار مشاركة كل يوم. وتتلقى حسابات العارضات والحسابات القائمة على كل ما يتعلق باللياقة البدنية أغلب هذه "اللايكات". ووصلت تمويلات المؤثرين في إنستغرام إلى 1.6 مليار دولار في 2018، حسب تصريح شركة ميدياكيكس الأميركية للاستشارات الإعلامية.

تغيير قواعد المشهد الإعلامي

فتحت منصات ومواقع التواصل الاجتماعي آفاقا جديدة للعديد من النساء، لكنها في الوقت نفسه ضيقت على وسائل التسوق المعتادة في وسائل الإعلام التقليدية؛ وهو تطور طبيعي وفق الخبراء، فصناعة الإعلانات والتسويق تتطور وفق تطورات العصر ووسائل التأثير.

وتشير الدراسات إلى انخفاض حاد في متابعة وسائل الإعلام المرئية والمطبوعة أمام ارتفاع نسب استعمال الأجهزة المحمولة، في الوقت الذي يتحول فيه انتباه عدد متزايد من الشباب من القنوات الإعلامية الكلاسيكية إلى منافذ مواقع التواصل الاجتماعي التي يسهل التعامل معها في أي وقت وأي مكان.

في الأردن، على سبيل المثال، يمتلك حوالي 260 ألف مواطن حسابا على إنستغرام، ويمتلك 4 ملايين منهم حسابا على فيسبوك. وأظهرت بيانات صادرة عن دراسة شملت المؤثرين في سنة 2017، استخدام هؤلاء الشباب لأغراض تسويقية.

وقالت المدونة الأردنية ساندرا –وهي شابة شقراء نحيلة في العشرينات من عمرها– حين سئلت عن طبيعة عملها "أنا فاشينيستا! ألهم السيدات الشابات على اتباع أحدث صيحات الموضة، وأقدم نصائح حول مختلف التصاميم، ويتابعني حوالي 40 ألف شخص". وتعتبر هذه الشابة الأردنية واحدة من بين عدد متزايد من الشباب الأردنيين الذين يكتسبون الدعاية والشهرة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، عبر بث جميع زوايا حياتهم للمشاهدين، أو اختيار بعض اللقطات لمشاركتها مع متابعيهم، أو تقديم اقتراحات حول عدد من الأماكن والأنشطة.

وجاء الطلب عليها نتيجة العدد الكبير من المتابعين لمدونتها. وتقول هند –وهي أردنية، تبلغ من العمر 23 عاما– "أنا مهووسة بحساب ساندرا. أنا أقلد تمارينها الرياضية ونظامها الغذائي تقليدا تاما! وأنا على يقين من أن مهاراتي في التصوير وشغفي بالرياضة سوف يكسباني عددا كبيرا من المتابعين يتجاوز عدد معجبيها".

نموذج جديد من المشاهير

في الكويت أثارت الفاشينيستا عهود العنزي ضجة كبرى، بسبب انتشار مقطع فيديو على مختلف الشبكات الاجتماعية يصورها وهي ترمي منتجات تجميل على الفتيات. وبررت صنيعها هذا بأنها اضطرت إلى ذلك أمام تهافت الفتيات وتدافعهن للحصول على منتج تجميل خاص بها، وهو عبارة عن "أحمر شفاه"، خلال حفل ترويج برعاية شركة "ماك"، في أحد مراكز التسوق.

ويبرز هذا التدافع على ماركة معروفة في عالم التجميل مدى تأثير الشابة على متابعاتها أكثر من تأثرهن بالماركة العالمية في حد ذاتها. وهذا التأثير جعل من –أصغر فتيات عائلة كارداشيان الأميركية الشهيرة– تحتل المرتبة الأولى في قائمة أغنياء إنستغرام لسنة 2018، ضمن تصنيف مجلة فوربس، إذ أن أي جهة ترغب في الترويج لمنتجاتها على حسابها يجب أن تدفع مليون دولار.

ولا تحتاج كايلي جينر إلى أكثر من سبعة موظفين فقط، لإدارة ثروتها وأعمالها، وكما تقول فوربس "كل ما تفعله جينر لكسب كل هذه الأموال هو استخدام جمهورها على وسائل التواصل الاجتماعي".

ولم تكتف جل نجمات الإنستغرام خصوصا من المشاهير بالترويج لشركات وماركات عالمية بل خلقن أيضا ماركات خاصة بهن، وهو ما يؤكد أن هذه الوظيفة الرقمية ليست آخذة في استقطاب المزيد والمزيد من الفتيات فقط، بل تنامت في مجال بعث ماركات ومنتوجات مستحدثة وخلق وجوه إعلامية جديدة حتى تكون سفيرة الواقع داخل العوالم الافتراضية المختلفة وخارجها.

ماري كوندو تغزو العالم الافتراضي بأساليب في ترتيب الملابس

❏ **برلين** – حولت اليابانية الشهيرة، ماري كوندو، عبر شبكة نتفلكس، الكراهية المتأصلة منذ الطفولة تجاه ترتيب الغرفة إلى هواية عصرية.

وتساعد كوندو البالغة من العمر 30 عاما، في برنامجها "الترتيب مع ماري كوندو" الأميركيين على استعادة السيطرة على حياتهم، وعلى أكوام ملابسهم، فهي تقدم نصائح حول كل شيء من طي الملابس إلى كيفية وضع زينة عيد الميلاد (الكريسماس).

وعلى الرغم من أن شبكة الإنترنت مليئة الآن بالنصائح، اختارت كوندو التطرق إلى أمر مختلف لكنه مهم في حياة الناس، حيث تشرح لهم أساليب طي الملابس خطوة بخطوة، كترتيب سراويل الجينز و"التي شيرتات" لكي ينتهي بها الأمر في الدرج وليس على الأرض. وأهم قاعدة تتبناها كوندو بشأن الترتيب هي: الاحتفاظ فقط بالأشياء التي تبعث السعادة.

وكانت النتيجة، خلال حلقة من برنامجها، عرض 150 كيسا للنفايات ممتلئة بالأغراض، من منزل واحد فقط.

وتحظى كوندو بالكثير من المتابعين على موقع يوتيوب حتى قبل بدء عرض برنامجها على شبكة نتفلكس.

وبفضل برنامجها الذي خلق نمطا جديدا على مواقع التواصل الاجتماعي صار الكثير من مستخدمي موقع إنستغرام ينشرون، إلى جانب صور لأجسادهم الممشوقة وملابسهم العصرية وأكواب الكابتشينو، صورا ومقاطع فيديو لأدراجهم وهي ممتلئة بـ"تي شيرتات" تم طيها بصورة ممتازة، أو لأرفف أصبحت خالية.

كما أن هناك الآن مجموعات على موقع فيسبوك تضم في عضويتها الآلاف من الأعضاء، يتشاركون نصائح وقصص نجاح لترتيب المنزل.

وكتبت إحدى المستخدمات "انظروا إلي، لقد أصبحت أسيطر على حياتي".

وأشارت كوندو إلى أن ترتيب الملابس يعد وسيلة لتغيير حياتك، كما أنه أمر مسلٍ، مضيفة في برنامجها أن الزوجين يمكن أن يتقاربا من خلال الترتيب، مما قد يجعلهما يشعران بالثراء في حياتهم اليومية.

وقالت دانيلا بيرنهارد –خبيرة في العلاقات بين المتزوجين وتقيم في بريطانيا– إن أعمال المنزل وكل هذه الأمور المتعلقة بها تسبب أحيانا مشاكل عميقة على مستوى العلاقات الزوجية.

وأضافت بيرنهارد أنه في حال لم تسر الأمور بصورة جيدة، فإن غسالة الأطباق التي لم يتم ترتيبها بصورة جيدة أو الجوارب الملقاة على الأرض لن يكونا المشكلة الحقيقية: تراجع التسامح ورفض تقديم المساعدة يمكن أن يكونا دلالات على صراعات أعمق، مثل الافتقار إلى التقدير.

ولذلك فإن وسيلة كوندو يمكن أن تكون لها حدود، ولكنّ هناك أمرا واضحا: على عكس البرامج التلفزيونية السابقة التي تقدم نصائح حول كيفية العيش بصورة أفضل، مثل برنامج "سوبر ناني"، يتناول برنامج كوندو قضية بالكاد لا يستطيع أحد في العالم الغربي تجاهلها وهي مقدار ما يستهلكه الناس.

وأفاد كلمينز نيوهزير، الخبير في التدريب على الترتيب في هامبورغ، بأن الحاجة إلى تخزين الأشياء نوع من "البصمة العميقة" داخلنا، متابعا "التخزين أثبت قيمته في مسار التطور".

وأشار إلى أن الوفرة المادية ظهرت عام 1950، ولكن المخ الإنساني شعر بصعوبة تقبلها، موضحا بشأن المشتريات غير الضرورية "المساومة توجد شعورا جيدا".

وأكد أن الكثير من زبائنه يقرأون كتب كوندو.

ويعتبر نيوهزير استراتيجيات كوندو مفيدة في إيجاد كيانات يكون النظام فيها ممكنا، مثل تصميم جديد لخزانة. ومن واقع خبرته، بعض الأشخاص لديهم أشياء كثيرة للغاية بحيث لا يستطيعون إيجاد أي نظام أساسي لها. هذا أيضا يخص أمورا تتعلق بالتخلي عن قضايا محيطة بنا.

ولكن من يجدون صعوبة في التخلص من بعض الأشياء لا يجب أن يشعروا باليأس؛ إذ مع ظهور كل صيحة، تظهر صيحات مضادة.

احتفاظ الأم العزباء بابنها في المغرب يعيق إدماجهما

غالبية الأمهات العازبات الصغيرات ضحايا للاغتصاب والنبذ من أسرهن

شكّل واقع الأمهات العازبات الصغيرات في السن موضوع جدل كبير داخل المجتمع المغربي من الناحية الأخلاقية والقانونية والمهنية، خصوصا وأن تلك الفئة الهشّة تنتمي في الغالب إلى طبقات فقيرة وتقع فريسة لعمليات اغتصاب ينتج عنه حمل خارج إطار الزواج، مما يزيد من مشاكل هؤلاء الفتيات الصغيرات داخل عائلاتهن ومجتمعهن خصوصا عندما يهربن من بيوتهن.

محمد ماموني العلوي

❏ **الرباط** - كشفت دراسة أجرتها جمعية إنصاف للدفاع عن حقوق المرأة بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة حول الأمهات العازبات في المغرب، عن وجود نحو 30 ألف حالة حمل للعازبات في المغرب، لافتة إلى أنهن يُعانين من الإقصاء والرفض والتمييز وكذلك الاستغلال.

واعتبرت مريم العثماني، رئيسة جمعية إنصاف للدفاع عن حقوق المرأة والطفل، أن الأمهات غير المتزوجات حين يُكتشفن الحمل إما ينتحرن وإما يقمن بالإجهاض أو يقمن بالتخلي عن الطفل في الشوارع.

وفي تقرير نشرته صحيفة "لوموند" الفرنسية حول الأمهات المغربيات العازبات واللائي ولدن أطفالا خارج إطار الزواج رصد ما يقارب 50 ألف حالة ولادة كل عام، حسب إحصائيات استقتها الصحيفة عن جمعيات مغربية تعنى بالمرأة والطفولة.

وتتعرض الأمهات العازبات وأطفالهن للإهانة والإذلال من بعض الأشخاص في المجتمع المغربي، ما اعتبرته مريم العثماني ظلما كبيرا، موضحة أنه يجب التعامل معهن بطريقة أفضل وأرقى لشجاعتهن في مواجهة قسوة المجتمع والعائلة من أجل الدفاع عن حياة أطفالهن.

وطرح الأستاذ والكاتب بوجمعة حدوش، تساؤلات حول من يحفظ للأطفال المولودين خارج إطار الزواج حقوقهم في الحياة وحقوقهم في النسب، وحقوقهم في الأسرة والرعاية والعطف والحنان، وحقوقهم في الحضانة، وحقوقهم في التربية والتعليم، وغيرها من الحقوق التي يتم حرمانهم منها، مستنكرا الدعوات التي يطلقها بعض دعاة التحرر الذين يدافعون عن الحرية في ممارسة العلاقات الجنسية في أوساط الشباب.

وتقصى الأمهات العازبات من العديد من فرص العمل بسبب وصمهن بأنهن ذوات سمعة سيئة، ما يعد سببا إضافيا لسقوطهن في أيدي مافيات المتاجرة بالجنس.

وفي بادرة وصفت بالجيّدة، دافع عبدالمنعم مدني، المدير العام للوكالة الوطنية لإنعاش التشغيل والكفاءات، عن التشغيل الموسمي للآلاف من العاملات المغربيات بالحقول الإسبانية دون إقصاء الأمهات العازبات.

وقال مدني "إننا نعطي الأولوية للنساء اللواتي يتكفلن بأطفالهن، ومنذ سنوات يتم إقصاء النساء العازبات، وحرصت هذه السنة على أن يتم البحث عنهن، وقد تواصلنا مع جمعية تهتم بهن، ووجدنا عددا منهن يتوفر على الشروط الموضوعية للعمل في الحقول الإسبانية".

ولا يمكن إغفال عامل الاغتصاب باعتباره السبب الرئيسي في تشرّد الأمهات العازبات برفقة أطفالهن، الأمر الذي يطرح مسألة

الرعاية النفسية ضرورة

عقوبة الجاني الذي يتسبب في حمل الفتاة المغتصَبة. ويقول المحامي إدريس افتيس لـ"العرب"، "نطالب دائما بتشديد العقوبات والأحكام القضائية في مثل هذه الجرائم التي تؤدي إلى الحمل وغالبا ما تنتهي بعدم الاعتراف بالطفل".

ويضيف أن ضحايا جرائم الاغتصاب من النساء خصوصا في الدول العربية ومنها المغرب وبالتحديد في المجال القروي، لا يجرؤن على التبليغ أمام السلطات الأمنية والقضائية خوفا من تعرضهن للفضيحة والعار ناهيك عن اعتبار هذه المواضيع من التابوهات التي لا تخرج للعلن، وعندما يتم الحمل غالبا ما تطرد العائلة البنت أو تهرب الأخيرة خوفا على حياتها.

وتقصد بعض الأمهات العازبات مقر جمعية إنصاف للدفاع عن حقوق المرأة بمدينة الدار البيضاء، التي تتكفل برعايتهن إلى أن ينجبن أطفالهن منذ العام 1999. وتقوم الجمعية بمهمّة مساعدة الأمهات العازبات على الاحتفاظ بأطفالهنّ، وذلك ببذل جميع الجهود والوسائل من أجل حمايتهنّ، ومرافقتهنّ من أجل تحقيق استقلاليتهنّ، إضافة إلى الدفاع عن حقوقهنّ وحقوق أطفالهنّ.

وتتكفل إنصاف بالاستقبال والإنصات وتوفير الإقامة والمساعدة في إيجاد مسكن، والخدمات الصحية والنفسية الضرورية، وتسوية الوضع الإداري (الإبلاغ لدى الحالة المدنية..) والمرافقة القانونية، ووضع "مشروع الحياة"، وتكوين الشخصية وتطويرها، والمصالحة الأسرية، والمساعدة على إيجاد فرص العمل الكريم والمستقرّ والمتابعة المستمرّة للأم وطفلها.

ومعظم الشابات اللواتي يلجأن إلى الجمعية قد تعرضن للاغتصاب أو قد وعدن بالزواج لكنهن عندما حملن، حسب مريم العثماني رئيسة الجمعية، يتم التخلي عنهن وتركن وحدهن في مواجهة هذه المحنة ما دفع البعض منهن إلى الانتحار. ومن يمتلكن الشجاعة للحفاظ على الطفل يكن مجبورات على مواجهة عدوان الناس، لذلك نحن نريد أن نغيّر موقف المجتمع المغربي تجاه الأمهات اللواتي تعرضن للنبذ، والانتهاك الجنسي، والإذلال في مجتمع لا يزال يتّبع تعاليم دينية صارمة جدا، حيث تعيش الأمهات العازبات محنة طويلة تبدأ بنبذ الأسرة لهن، وتحمّل نظرات الآخرين، والصعوبات الإدارية، وصولا إلى تعرضهن لتهديدات بالقتل.

> التعامل مع الأمهات العازبات الصغيرات يجب أن يكون أرقى لشجاعتهن في مواجهة قسوة المجتمع والعائلة من أجل الدفاع عن حياة أطفالهن

وتقول الإحصائيات إن 30 بالمئة، أي ما يناهز 60 ألف فتاة تحت عمر 15 سنة من الأمهات العازبات، لم يذهبن أبدا إلى المدرسة، وأكثر من 45 بالمئة من الأمهات العازبات هن خادمات صغيرات، بالإضافة إلى أن عدم الحصول على دفتر الحالة المدنية للأم العازبة كوثيقة قانونية تحدّد هوية الطفل، وغالبا ما يساهم الأب في زيادة مشاكلها.

وتم إدخال تعديل قانوني في العام 2004 بهدف تمكين الأطفال المولودين خارج إطار الزواج من حقهم في التعليم، لكن غالبية الأمهات لا يسجلن أبناءهن، حتى عند حصولهن على الوثائق القانونية التي يحتجنها إداريا، حسب عائشة الشنا، رئيسة جمعية التضامن النسوي، فهذه الفئة تظل في مواجهة دائمة مع التمييز المجتمعي طيلة الحياة لأن الوثائق المتحصل عليها لا تشير إلى نسبها من جهة الوالد.

وتقوم جمعية التضامن النسوي التي تم تأسيسها في العام 1985، برعاية الأمهات العازبات وأسستها عائشة الشنا أو ماما عائشة كما يحلو للأمهات اللاتي ترعاهن مناداتها، وتهتم باستقبال النساء في وضعية صعبة، وخصوصا الأمهات العازبات اللاتي تخلت علنهن أسرهن ورفضهن المجتمع.

وأكدت الشنا أن الأم العازبة وابنها يكلفان الجمعية مبلغ أربعة آلاف درهم شهريا لمدة ثلاث سنوات، إلى أن تغادر الأم العازبة المركز بعد إعدادها نفسيا للاندماج من جديد في المجتمع ومصالحتها مع عائلتها وتسجيل ابنها في دفتر الحالة المدنية، مشيرة إلى أن الأطفال الذين يتم التخلي عنهم في الشارع والذين يتم إيواؤهم في الخيريات، يكلفون الأخيرة (الجمعية) ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف درهم شهريا لمدة 20 سنة.

وبالموازاة مع الجمعيات التي تعنى بمحنة الأمهات العازبات هناك من طرح هذه القضية سينمائيا، حيث أقدَمت المخرجة المغربية مريم بنمبارك، على إخراج فيلم تحت عنوان "صوفيا"، يحكي قصة شابة عشرينية تعيش مع والديها في الدار البيضاء، وتقع في حمل خارج إطار الزواج، وعند الوضع، تمنح لها إدارة المستشفى 24 ساعة فقط لإحضار والد الطفل، قبل إخبار السلطات الأمنية وإيداعها السجن. وفكرة الفيلم مبنية على أحداث واقعية حصلت لفتاة قاصر قام جدها وجدتها بتربيتها ثم حملت وتم تدبير زوج لها بعد ذلك.

وهناك من اعتبر الفيلم تكريسا للنظرة الدونية التي تستهدف الأمهات العازبات. وهنا تقول الكاتبة سناء العاجي، إن مريم بن مبارك وهي تقدم فيلما عن الأمهات العازبات، اتجهت في النهاية إلى نفس توجه التيار المحافظ الذي يعتبر أن الفتيات العازبات "نساء فاسدات يحملن من شخص ما ويتّهمن ظلما شخصا آخر لا علاقة له بالحمل".

طبق اليوم

خبز محشو بالخضر

*** المقادير:**

- **للعجينة:** 400 غرام دقيق + 3 حبات بيض+ 400 مللتر حليب+ 100 مللتر زيت نباتي + ملعقة كبيرة بيكنغ باودر + ملعقة صغيرة ملح.
- **تحضير العجينة:** يمزج الدقيق والباكينغ باودر والملح في وعاء كبير. ثم يضاف البيض والزيت النباتي، ويسكب الحليب تدريجيا أثناء العجن باليد إلى أن نحصل على عجينة متماسكة وطرية، ونتركها تتخمر.
- حبتان من البصل المفروم الناعم.
- 200 غرام من الذرة.
- 3 حبات من الجزر مقطعة إلى مكعبات
- ملفوف مفروم خشن.
- حبتان من الفلفل الأخضر الحلو مقطعتان.
- حبتان من البطاطا مقطعتان.
- نصف كوب من البقدونس المفروم.
- حبتان من الطماطم مقطعتان.
- بهارات مشكلة مع زنجبيل مطحون وكمون.

طريقة الإعداد:

- نضع زيت في قدر الطهي على نار متوسطة.
- نضيف الخضر المقطعة تباعا ونقلبها في الزيت لمدة 3 دقائق على نار هادئة.
- نضيف البهارات مع مواصلة التقليب جيدا، لثلاث دقائق فقط.
- ننزل القدر من النار ونترك الخضار تبرد.
- نأخذ طبق الفرن ونطرح طبقة رقيقة من العجين، ثم نضع بداخله الخضر.
- نأخذ بقية العجين ونشكلها في طبقة رقيقة ونغطي بها الخضار ونغلق جيدا.
- نشغل الفرن على 200 درجة مئوية ونتركها لمدة 30 دقيقة إلى أن تستوي.

نصائح

حيل تطيل قامة الصغار

❏ تبحث العديد من الأمهات عن الحلول والطرق التي تساعدهن في تحقيق النمو المتكامل للأبناء، والتي تكتسب الطفل طول القامة خصوصا إذا كان أغلب أفراد الأسرة قصيري القامة.

وقالت دراسة أميركية حديثة، إن هرمون النمو البشري (HGH) هو مادة تشبه البازلاء توجد في عمق المخ خلف العينين، يمكنها أن تنطلق خلال أول ساعتين من ساعات النوم وبعد التمرين.

وأثبتت الدراسة أن هناك أشياء يمكن أن يفعلها الشخص لزيادة قامته، وعلى رأسها التغذية السليمة، والتأكد من الحصول على جميع الفيتامينات والمعادن التي يحتاجها الجسم، لأن ذلك من شأنه أن يساعد في النمو بالطول الكامل، بالإضافة إلى الحصول على المكملات الغذائية المناسبة مع كل وجبة إفطار، وتناول الخضروات والكالسيوم وفيتامين "د"، والأطعمة التي تحتوي على البروتين والزنك، كما يحتاج الأطفال والمراهقون ما بين 8 و10 ساعات للنوم ليلا، لأن النوم يعمل على إفراز هرمون النمو.

وأشار الباحثون إلى أنه من ضمن الأشياء التي يجب ممارستها والتي تعمل على زيادة القامة، الحرص على الجلوس بطريقة صحيحة، ذلك يُنصح بالجلوس بشكل مستقيم على الكرسي. وينصحون بالمواظبة في ممارسة الرياضة، إلى جانب التغذية السليمة، لأنهما تسهلان زيادة طول الصغار في مرحلة النمو.

تقبّل الشيء ونقيضه

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

❏ منذ فترة قررت أنا وزوجي تغيير المطبخ، فانتابتني العديد من الهواجس، وأكثر ما كان يشغل بالي، هو كيف سنراكم أمتعتنا على بعضها البعض، وكيف سنتدبر أمر أكلنا وشربنا؟ بدا الأمر بالنسبة لي في البداية معضلة كبرى، لأنني لم أعش سابقا هذه التجربة، ولم أعتد على الأشغال في عقر الدار التي نقطنها.

إلا أن زوجي طلب مني أن نهدأ ولا نتذمر، ولا نرهق أعصابنا، أو نتجادل بشأن ظرف زمني نحن قادرون على تجاوزه مهما كان صعبا.

رغم أنني في البداية كنت أفكر بصوت عال وأدلي بالكثير من الملاحظات التي تنطوي في أغلبها على مخاوف من هذا الأمر، إلا أنني بمجرد أن سمعت ما قاله زوجي، أدركت أنه محق ولا يجب المبالغة في الشعور بالقلق، الذي يمكن أن يؤثر على صفائنا الذهني ويعكر مزاجنا، وقد تكون له مخلفات على حالتنا النفسية وصحتنا الجسدية.

ولوهلة من الزمن استحضرت الطريقة التي كان يعيش بها أجدادي، والشكل البسيط للحياة، فراودني اعتقاد بأنه بوسعنا أن نتوقف وننظر حولنا ونتقبل الأشياء التي لا نبدي لها التقدير عادة على شاكلتها، مثل مسألة الاستغناء عن الفرن والطباخ، وحتى المطبخ بأكمله.

فتهويل بعض الأمور وإعطائها حجما أكبر من حجمها الحقيقي، قد يجعلنا نعيش في دوامة من التوتر ويفقدنا القدرة على السيطرة على مجرى حياتنا ويراكم علينا الهموم، وليس ذلك من الحصافة، فهو لا يؤدي إلى أي نتيجة، بل على العكس ينغص علينا حياتنا ويدمر علاقاتنا مع المقربين منا.

ويبدو عالم الفيزياء البريطاني الراحل ستيفن هوكينغ محقا في قوله "لن يتحمل الناس التعامل معك طويلا، لو استمريت في الشكوى وإظهار امتعاضك وغضبك".

تكمن المشكلة بالنسبة للكثيرين، في كيفية تحييد ضغوط الأحداث اليومية في حياتهم، والتي تجعلهم يطلقون ألسنتهم للشكوى والتذمر، مما لا يتيح المجال لعلاقتهم لأن تظل متماسكة، رغم أن الحل قد يبدو أحيانا بسيطا، فيكفي أن نتعلم كيف نواظب على عادات وأنظمة معينة خلال الظروف الطارئة ونتغاضى عن بعض الأشياء التي نعتقد أنها ضرورية، ومع الوقت سيصبح الأمر اعتياديا، وهكذا فعلت، فقد استبقت حدث أشغال المطبخ وجهزت بعض الأطعمة ووضعتها في الثلاجة، واشتريت طباخا كهربائيا لإعداد القهوة وبعض الأكلات البسيطة، وأبقيت الأشياء التي نستعملها يوميا في أمكنة معينة، كما اقترح عليّ زوجي فكرة أن نتناول الطعام في أطباق بلاستيكية، حتى لا نجد صعوبة في غسل الأواني، فجرت الأمور من دون مشاكل، بل على العكس أتيحت لنا الفرصة لتجربة نمط عيش مختلف عما اعتدنا عليه، ورغم صعوبته إلا أن فيه نكهة مجدية.

وهذا في حد ذاته تدريب على المرونة الوجدانية والفكرية المطلوبة عند مواجهة الظروف الصعبة، كما أن التجارب الصعبة تكسب من يعايشها ويمر بها ثراء في الفكر وقدرة على التأقلم مع أوضاع الحياة المختلفة.

وينصحنا الخبراء لاكتساب هذه المرونة بالحديث إلى الأغراب وتدريب العين على استيعاب الأشياء غير المألوفة، والإصغاء للأفكار المضادة لقناعاتنا، والأهم من ذلك تقبل فكرة وجود عناصر وعوامل لا يمكننا السيطرة عليها، ولكن بإمكاننا مجاراتها وتعلم الدروس والعبر منها.

وتبقى الحقيقة المؤكدة أن كل ظرف زمني في الحياة زائل وعابر، فدوام الحال من المحال، حكمة مثل هذه لا يجدر أن تسقط من أذهاننا أبدا.

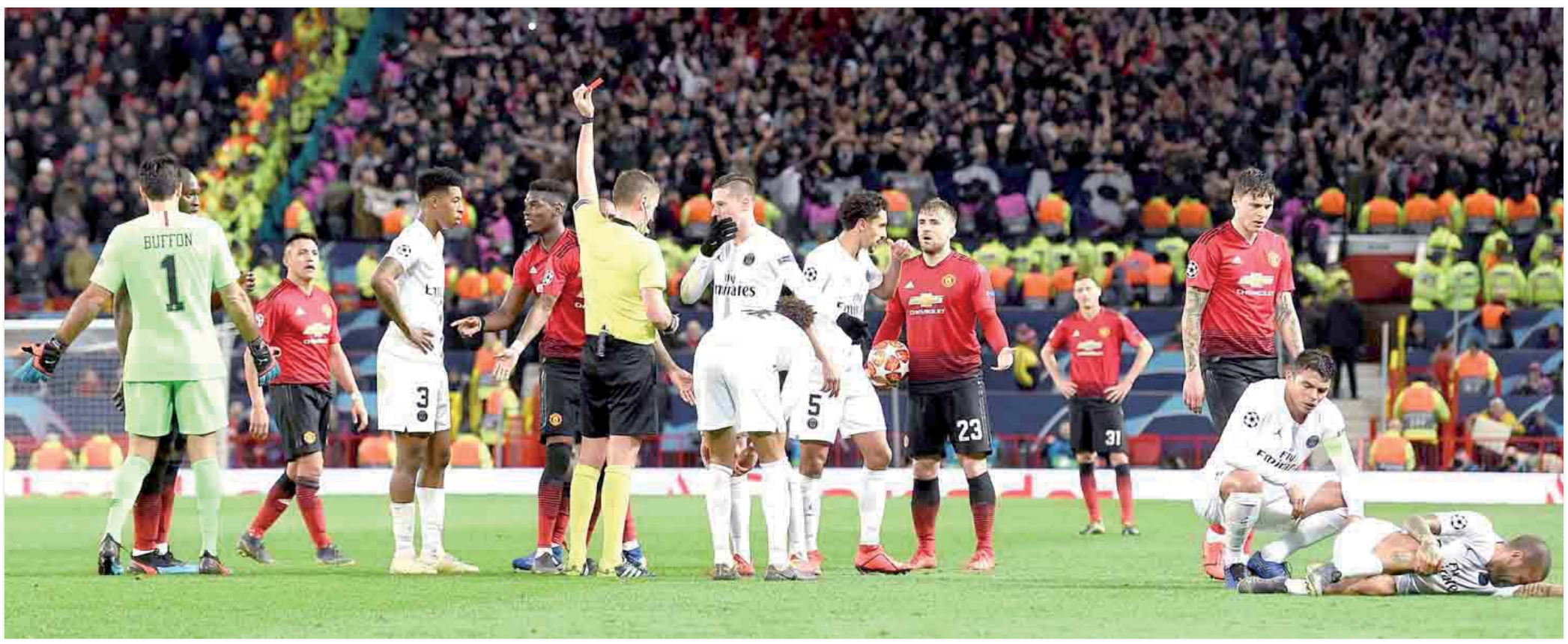

مانشستر يونايتد يخشى شبح الإقصاء المبكر من السباق الأوروبي

بداية خاطئة لإعادة وضع «الشياطين الحمر» على الخارطة القارية

السقوط الأوروبي يكشف مدى صعوبة مهمة غونار سولسكاير

أوكل "الشياطين الحمر" مهمة التدريب بشكل مؤقت حتى نهاية الموسم للاعبهم السابق النرويجي أولي غونار سولسكاير الذي حقق بداية لافتة شملت عشرة انتصارات وتعادلا في مبارياته الـ11 الأولى، إلى أن تلقى الخسارة الأولى بسقوطه أمام ضيفه باريس سان جرمان الفرنسي في ذهاب الدور ثمن النهائي لمسابقة دوري أبطال أوروبا. والسؤال هو هل سينجح سولسكاير في تحويل صفة المؤقت إلى مدرب دائم في نهاية الموسم؟

❏ **لندن** – أظهرت خسارة مانشستر يونايتد الإنكليزي أمام ضيفه باريس سان جرمان الفرنسي في ذهاب الدور ثمن النهائي لدوري أبطال أوروبا في كرة القدم، حجم المهمة التي لا تزال تنتظر المدرب المؤقت النرويجي أولي غونار سولسكاير لإعادة وضع "الشياطين الحمر" على الخارطة القارية.

وأعاد سولسكاير، اللاعب السابق في زمن "السير" أليكس فيرغوسون، والذي تولى المهمة قبل نحو شهرين خلفا للبرتغالي جوزيه مورينيو، إلى الفريق الإنكليزي ذكريات الماضي المجيد بقيادته لتحقيق 10 انتصارات وتعادل في أول 11 مباراة في مختلف المسابقات. لكن الخسارة أمام سان جرمان على ملعب أولد ترافورد 0–2 في غياب ركيزتين في الفريق الفرنسي بداعي الإصابة هما البرازيلي نيمار أغلى لاعب في العالم والأوروغوياني الهداف إدينسون كافاني، أظهرت أن الطريق أمام سولسكاير صعب وشاق.

وبات يونايتد الذي يحل في الإياب ضيفا على ملعب بارك دي برانس في باريس في السادس من مارس، بحاجة إلى "ريمونتادا" على غرار التي قام بها برشلونة الإسباني في الموسم قبل الماضي، عندما تفوق في إياب ثمن النهائي على الفريق الباريسي 6–1 بعد خسارته ذهابا 4–0.

وأقر النرويجي الذي يبحث عن إيصال فريقه إلى ربع النهائي للمرة الأولى منذ 2014، بأن "هذا المستوى أعلى من مبارياتنا" السابقة بإشرافه.

ونجح المهاجم الاحتياطي السابق الذي سجل هدف الفوز ليونايتد في نهائي المسابقة الأوروبية عام 1999 في الوقت القاتل ضد بايرن ميونخ الألماني، حتى الآن في إعادة يونايتد إلى المربع الذهبي في الدوري الإنكليزي الممتاز، وتحديدا في المركز الرابع الذي يمنح آخر جوازات العبور إلى المسابقة الأوروبية الأهم في الموسم المقبل.

وعندما كان لاعبا بإمرة فيرغوسون، اعتاد سولسكاير على القتال والتفاني مع فريق كان يحقق الألقاب ولا يكتفي فقط بالمشاركة في المنافسات. وقال "هناك سبب لأن يكونوا (سان جرمان) من بين المرشحين لإحراز اللقب. هذا المستوى هو ما يتعين علينا تعزيزه في هذا النادي".

وأضاف "لقد تحدثنا عن المراكز الأربعة الأولى (في الدوري الإنكليزي). هذا أمر مهم، لكننا نريد أن نكون في القمة. مانشستر يونايتد يجب أن يكون في القمة، وهو (سان جرمان) من أفضل الفرق التي واجهناها". وتابع "لاعبونا محبطون بعد المباراة، لكني أعتقد بأنهم يعرفون أن علينا أن نرفع من مستوانا كي نبلغ المستوى الذي نتطلع إليه".

البطاقة الحمراء

ولا تتوقف حقيقة وضع يونايتد ضمن النخبة الأوروبية على مباراة الثلاثاء، والخسارة هي دليل جديد على الصعوبات التي يعاني منها الفريق على المستوى القاري منذ أن بلغ نهائي المسابقة عام 2011 للمرة الثالثة في أربعة مواسم. وفي الأعوام الثمانية الأخيرة، لم يفز "الشياطين الحمر" سوى مرة واحدة في الأدوار الإقصائية لمسابقة دوري الأبطال، وكان ذلك على حساب أولمبياكوس اليوناني في عهد المدرب الأسكتلندي ديفيد مويز الذي أمضى أشهرا معدودة على رأس إدارته الفنية بعد اعتزال فيرغوسون عام 2013.

وفاز يونايتد حينها على ملعبه 3–0 في إياب ثمن النهائي في 19 مارس 2014، معوضا خسارته ذهابا 0–2 في أثينا. وحاول سولسكاير التخفيف من وقع خسارة الثلاثاء بالقول "يمكنكم أن تروا أننا لم نخض مباريات على هذا المستوى منذ فترة، وعلينا أن نستخلص العبر من هذه التجربة. هذا ليس موسما حاسما بالنسبة إلينا، وإنما يجب أن تكون تجربة نتعلم منها".

وعلى المقلب الآخر، تعززت آمال باريس سان جرمان الذي لم يستطع تخطي هذا الدور في الموسمين الأخيرين، بالعبور إلى ربع النهائي. وسمح غياب نيمار وكافاني للشاب كيليان مبابي بقيادة الهجوم الفرنسي بنجاح، مع تألق الأرجنتيني أنخل دي ماريا والألماني يوليان دراكسلر. لكن الوضع كان مختلفا بالنسبة إلى لاعب الوسط الفائز مع منتخب فرنسا بكأس العالم 2018 في روسيا، بول بوغبا الذي طرد قبل دقيقة من نهاية الوقت الأصلي، وسيغيب عن فريقه يونايتد في مباراة الإياب.

سولسكاير أعاد إلى الفريق الإنكليزي ذكريات الماضي المجيد بقيادته لتحقيق 10 انتصارات وتعادل في أول 11 مباراة في مختلف المسابقات

وقال سولسكاير "يمكنكم أن تروا قوتهم، دخلا (دي ماريا ودراكسلر) أجواء المباراة، لكن مرة أخرى علينا تحسين مستوانا. علينا تعزيز الفريق، أن نعلم لاعبينا الشبان، وأن نطور أنفسنا في الموسم المقبل".

والسؤال هو هل سينجح سولسكاير في تحويل صفة المؤقت إلى مدرب دائم في نهاية الموسم؟ تبدو فرص تحقيق ذلك غير متوفرة حتى الآن. وكان عدم الرد على تعويض الخسارة السريعة للفرنسي أنطوني مارسيال وجيسي لينغارد بسبب الإصابة قبل نهاية الشوط الأول، دليلا واضحا على ضرورة التخطيط ورسم مستقبل المجموعة الصيف المقبل. ولم يكن أثر البديلين الإسباني خوان ماتا والتشيلي ألكسيس سانشيز كبيرا، خصوصا الأخير الذي أثار أداؤه الشكوك حول مستقبله لاسيما أنه لم يسجل سوى خمسة أهداف منذ قدومه قبل أكثر من عام من أرسنال.

وقال سولسكاير "لا أستطيع عمل أي شيء بالنسبة إلى ألكسيس. عندما يلعب عليه أن يفرض نفسه لأننا نعلم أنه لاعب من نوعية جيدة".

ويحل مانشستر يونايتد ضيفا على تشيلسي حامل اللقب غدا الاثنين حيث يتطلع كل منهما إلى الخروج من دوامة المشاكل بعد الهزيمة التي تعرضا لها مؤخرا. وقال سولسكاير الذي يتولى تدريب مانشستر يونايتد بشكل مؤقت حتى نهاية الموسم الحالي، إنه أبلغ لاعبيه بعدم الاستسلام للحزن بعد الهزيمة أمام سان جرمان.

وأوضح "علينا أن نرد... في هذا النادي عليك أن ترد وتعود. وفي بطولة مثل دوري الأبطال، كل مباراة تكون صعبة أمام أي منافس ولكن أولوياتنا هي مسابقة الدوري الإنكليزي كما نخوض هذه المباراة في كأس الاتحاد الإنكليزي أمام تشيلسي". وأضاف "علينا النظر إلى الأمام. سنواجه تشلسي وليفربول (في الدوري الإنكليزي) في المباراتين التاليتين".

وفي سياق متصل كشف نادي مانشستر يونايتد الإنكليزي أن إقالة مدربه السابق البرتغالي جوزيه مورينيو من منصبه في ديسمبر كلفته نحو 20 مليون جنيه إسترليني. وفي تقرير النتائج للربع الثاني من السنة المالية، أورد الفريق في خانة أمور استثنائية مبلغ 19.6 مليون جنيه إسترليني (25 مليون دولار)، يؤشر إلى التعويضات التي دفعت إلى مورينيو ومساعدين غادروا معه إثر إقالته في 18 ديسمبر على خلفية أسوأ بداية في الدوري المحلي للفريق منذ العام 1990.

وتمكن الفريق في عهد سولسكاير من التقدم إلى المركز الرابع في ترتيب الدوري الإنكليزي الممتاز، آخر المراكز المؤهلة لدوري الأبطال في الموسم المقبل، وذلك بفارق نقطة أمام أرسنال (الخامس) وتشلسي (السادس).

وأشاد نائب رئيس مجلس الإدارة التنفيذي للنادي إد وودورد بالأثر الإيجابي لتعيين سولسكاير الذي دافع عن ألوان النادي بين 1996 و2007 في عهد المدرب السابق السير أليكس فيرغوسون، ويعتمد بشكل أساسي في مهمته الحالية على مايك فيلان، اليد اليمنى السابقة للأسكتلندي.

وقال وودورد "تعيين أولي ومايك كمدرب موقت ومساعد مدرب (...) كان له أثر إيجابي في كل النادي"، مضيفا "نحن مسرورون بتحسن الأداء منذ ديسمبر ونتطلع قدما إلى ختام قوي لموسم 2018–2019 . وفي التقرير المالي، أشار النادي إلى تحقيق إيرادات قياسية في الربع الثاني من السنة المالية بلغت 208.6 مليون يورو.

روح قتالية

من جهة أخرى أظهر انتصار باريس سان جرمان على مانشستر يونايتد في أولد ترافورد أن بطل فرنسا ربما وجد أخيرا الروح القتالية واللعب الجماعي تحت قيادة المدرب توماس توخيل بعدما افتقدهما في السنوات الأخيرة.

وتوقع كثيرون هزيمة سان جرمان في ذهاب دور الستة عشر أمام يونايتد العائد إلى التألق خاصة بعد غياب ثنائي الهجوم نيمار وإدينسون كافاني بسبب الإصابة.

لكن بدلا من ذلك ارتقى سان جرمان إلى مستوى التحدي ودخل الملعب في صورة الفريق المتماسك الذي لا يخشى أي منافس. وكانت هذه صورة مغايرة تماما لفريق فرط في تقدمه 4–0 على برشلونة ليخسر 6–1 في المرحلة ذاتها من البطولة في نسخة 2017. ويتذكر ماركينيوس، الذي عزز خط الوسط مع ماركو فيراتي، اجتماعا مع توخيل يعتقد أنه كان مفتاح أداء سان جرمان القوي.

وتولى الألماني المسؤولية خلفا للمدرب أوناي إيمري العام الماضي حيث يسعى سان جرمان المملوك لجهات قطرية إلى التألق على المستوى القاري بعد الخروج أربع مرات متتالية من دور الثمانية ومرتين متتاليتين من دور الستة عشر.

وقال اللاعب البرازيلي الذي يعتمد عليه المدرب دائما في قلب الدفاع "هذا الاجتماع كان مهما جدا". وتابع "شرح لنا المدرب فلسفته. بدأ بالشق الدفاعي محذرا من قدرات المنافس خاصة في شن الهجمات المرتدة السريعة". وتابع "طلب منا عدم خسارة الكرة بعد الحصول عليها في خط الوسط".

ولعب سان جرمان بتماسك أكبر وكان يوليان دراكسلر يعود لتعزيز خط الوسط. وقال القائد تياغو سيلفا "تحلينا بالتماسك الدفاعي وتفوقنا ذهنيا". وتعامل باريس سان جرمان مع المباراة بثقة رغم غياب لاعبين مؤثرين سجلا 30 هدفا في ما بينهما في الدوري الفرنسي وسبعة أهداف في دوري الأبطال. وقال سيلفا "كل الشكر والعرفان ليس للمدرب فقط بل للجهاز المعاون الذي منحنا الكثير من المعلومات عن الفرق المنافسة". وأضاف دراكسلر "نيمار وكافاني لاعبان من طراز رفيع لكننا قدمنا أداء عالميا من دونهما". وأمام متصدر الدوري الفرنسي الآن ثلاثة أسابيع للاستعداد لمباراة العودة في باريس حيث يسعى لتجنب كبوة مثل التي حدثت في كامب نو.

وقال المهاجم كيليان مبابي الذي سجل الهدف الثاني في مرمى يونايتد "يجب أن نتوقف عن الخوف".

لمحة تاريخية

❏ أوله غونار سولسكاير (من مواليد 26 فبراير 1973 في كريستيانسوند بالنرويج)، هو لاعب كرة قدم نرويجي سابق، ومدرب حالي لنادي مانشستر يونايتد. ويعتبر المهاجم النرويجي السابق صاحب الـ45 عاما، من أبرز اللاعبين الذين دافعوا عن ألوان مانشستر يونايتد مع الأسطوري أليكس فيرغسون بتسجيله 128 هدفا في 367 مباراة خلال 10 سنوات حقق أثناءها 10 ألقاب من بينها ثلاثية، و6 ألقاب في الدوري الإنكليزي، منذ انتقاله إلى الفريق قادما من نادي "مولده" الذي يشرف على تدريبه الآن، واعتزل سولسكاير في 2007 بسبب الإصابات، ووصفه السير أليكس بأعظم مهاجم بديل في تاريخ النادي والعالم بشكل عام.

وعقب اعتزاله عمل مدربا في فرق الناشئين بالنادي حتى فريق تحت 23 عاما قبل أن ينتقل للقيام بدور الرجل الأول في مولده من 2011 وحتى 2013، ثم تجربة غير موفقة مع كارديف سيتي في 2014 انتهت بهبوطه وتسببت في إقالته ليعود إلى فريقه السابق مولده في 2015 ولم يحقق أي نجاحات في الولاية الثانية بعدما قاده إلى الفوز بالدوري في 2011 و2012.

بدأ مسيرته الكروية مع نادي كلاوسننغين في عام 1990، ولعب معه حتى عام 1994، وفي عام 1994 انتقل إلى نادي مولده، ولعب معه حتى عام 1996، وشارك معه في 42 مباراة وسجل 31 هدفا، ومنذ عام 1996 وهو يلعب مع نادي مانشستر يونايتد الإنكليزي. وقد بدأ باللعب مع منتخب النرويج لكرة القدم في عام 1995، إلى أن اعتزل في عام 2007.

بدأ مسيرته التدريبية في 2008 كمدرب لشباب نادي مانشستر يونايتد، ثم تدرج مع عدة فرق خلال 10 سنوات. وفي عام 2018 تم تعيينه كمدرب مؤقت لنادي مانشستر يونايتد. وأعرب سولسكاير عن سعادته بالعودة إلى الشياطين الحمر، بعد رحيل البرتغالي جوزيه مورينيو. وقال سولسكاير في تصريحات صحافية "مانشستر يونايتد في قلبي، والعودة إليه في هذا المنصب أمر مبهر.. أتطلع بالفعل إلى العمل مع هذه المجموعة من اللاعبين الذين يتمتعون بمواهب هائلة، كما هو حال الجميع في النادي".

الاستعراض عنوان النسخة الـ68 من مباراة كل النجوم

تكريم خاص لنوفيتسكي ووايد في آخر موسم لهما بدوري كرة السلة الأميركية للمحترفين

سيكون ملعب "سبكتروم سنتر" بمدينة تشارلوت الأميركية مسرحا للنسخة الثامنة والستين من مباراة كل النجوم التي تجمع أفضل لاعبي دوري كرة السلة الأميركية للمحترفين، الأحد، وغالبا ما تكون حافلة بالاستعراض من قبل نخبة اللاعبين حيث لا يكترث أيّ من الفريقين بالدفاع.

❏ **لوس أنجلس** – منذ العام 2018، لم تعد مباراة كل النجوم تجمع أفضل اللاعبين في المنطقة الشرقية في مواجهة أفضل لاعبي المنطقة الغربية من دوري كرة السلة الأميركية للمحترفين، وإنما أعطيت الحرية لقائدي الفريقين في الاختيار من ضمن اللاعبين الذين حصلوا على أكبر نسبة أصوات في الاقتراع الذي يشارك فيه الجمهور، الصحافة واللاعبون بالنسبة إلى الأساسيين، ومدربو أندية دوري المحترفين بالنسبة إلى اللاعبين الاحتياطيين.

ومن هنا ستكون النسخة الـ68 من مباراة كل النجوم التي سيكون مسرحها، الأحد، ملعب "سبكتروم سنتر" في مدينة تشارلوت الأميركية (ولاية كارولاينا الشمالية) واعدة هذا العام بشكل كبير ومثير على غير العادة.

وتم اختيار "الملك" جيمس ليبروس جيمس واليوناني يانيس أنتيتوكونمبو كقائدين للفريقين بعد حصولهما على أكبر نسبة من الأصوات، وقد اختارا بالتعاقب قوائم اللاعبين: الـ8 الأساسيين والـ14 الاحتياطيين.

ويضم فريق جيمس بقيادة مدرب دنفر ناغتس مايكل مالون، كلا من كيفن دورانت (ووريرز)، كايري إيرفينغ (سلتيكس)، كاوهي ليونارد (تورونتو رابتورز) وجيمس هاردن (روكتس) كأساسيين، أما أبرز الاحتياطيين فهم أنطوني ديفيس نجم بيليكانز الذي يحوم الشك حول مشاركته، وراسل وستبروك (ثاندر) وكلاي طومسون (ووريرز) ودواين وايد (ميامي هيت).

واعتبر جيمس، الذي ذهب في إجازة عائلية منذ الثلاثاء بعد خسارة فريقه أمام أتلانتا هوكس قبل التوجه إلى تشارلوت، الأحد، حيث سيخوض لقاءه رقم 15 في هذا الحدث السنوي معادلا رقم نجم ليكرز السابق كوبي برايانت، أن فترة الراحة التي تفصل عن مباراة كل النجوم "هي للاسترخاء والابتعاد قليلا عن كرة السلة لكي نستعيد الحيوية الذهنية والبدنية والعودة، وكلنا تصميم على خوض البلاي أوف".

قوى ضاربة

وعن مباراة كل النجوم قال جيمس "لقد اخترت أفضل اللاعبين المتاحين أمامي"، مشددا على أن "الأمر سيكون ممتعا، إنها أكثر لحظات المرح في الموسم.. أن تكون لاعبا في مباراة كل النجوم هو بحد ذاته متعة قبل كل شيء وفوق كل اعتبار".

ويملك جيمس في فريقه قوة ضاربة تتمثل بجيمس هاردن الذي عادل رقم الأسطورة ويت تشامبيرلاين لثاني أطول سلسلة بتسجيل 30 نقطة على الأقل في 31 مباراة توالياً في اللقاء الذي خسره فريقه هيوستن روكتس أمام مينيوستا تمبروولفز 111 – 121.

كما عادل هاردن، الذي سجل 40 نقطة على الأقل للمرة 22 هذا الموسم، رقم اللاعب الأسطوري مايكل جوردان العائد إلى موسم 1989 – 1990.

وبالإضافة إلى وجود راسل وستبروك الذي عادل بدوره رقما قياسيا لتشامبرلاين بعد أن حقق للمرة العاشرة توالياً الـ"تريبل دبل" خلال مباراة فريقه أوكلاهوما ثاندر على بورتلاند ترايل بلايزرز 111–120. أما فريق أساسيي أنتيتوكونمبو، فيتألف بالإضافة إليه من كل من ستيفن كوري (ووريرز)، جويل إمبيد (سيكسرز)، بول جورج (ثاندر) وكيمبا ووكر (هورنتس)، فيما يأتي الألماني المخضرم ديرك نوفيتسكي (مافريكس) كأبرز الاحتياطيين في فريقه.

ويعتبر كوري أفضل لاعب في الدوري مرتين، كاختصاصي في الرميات الثلاثية وبات أول لاعب في تاريخ الدوري يسجل 200 رمية ثلاثية على الأقل في سبعة مواسم متتالية.

وسيحظى ديرك نوفيتسكي (40 عاما)، الذي يخوض آخر موسم له في الملاعب ونجم ميامي هيت دواين وايد (37 عاما)، بتكريم خاص في هذه المباراة بعد قرار استثنائي من رابطة دوري المحترفين بمشاركتهما.

وكان فريق جيمس فاز بمباراة كل النجوم العام الماضي متفوقا على فريق ستيفن كوري 148 – 145.

في الحكاية امرأة

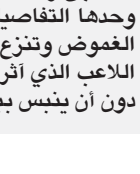

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❏ لا أحد بمقدوره أن يتكهّن بمصير العلاقة التي تربط بين النجم الأرجنتيني ماورو إيكاردي وفريقه إنتر ميلان الإيطالي. ربما تنتهي الحكاية أسرع مما كان منتظرا، ربما يخرج اللاعب من الباب الضيّق ويغادر دون وداع يليق بكل النجاحات التي تحققت بين الشريكين خلال المواسم الماضية.

إيكاردي تحوّل بين عشية وضحاها من معبود لجماهير النادي والقائد الدائم والهداف الأول طيلة السنوات السابقة إلى لاعب منبوذ يتم إبعاده عن التمارين والمباريات مثل أي لاعب مغمور لم يقدر على تسلق سلّم التألق، بل الأكثر من ذلك يتم سحب شارة القائد منه تمهيدا لما هو أقسى.

الحكاية كلها حدثت في ظرف لا يتجاوز بضعة أيام، والقصة وما فيها أن إدارة الإنتر أعلنت بشكل مفاجئ أن هذا اللاعب لم يعد القائد الأول في الفريق، ليردّ إيكاردي الفعل بسرعة رافضا التحول مع الفريق إلى النمسا لخوض مباراة ضمن مسابقة الدوري الأوروبي.

لم يقتصر الأمر على ذلك، بل بدأت الأحاديث تتسرّب من هنا وهناك مفادها وجود توجه صلب النادي نحو تسليط عقوبات مالية مضاعفة على اللاعب، فضلا عن إبعاده عن المشاركة في المباريات طيلة الفترة القادمة.

ما الذي حصل كي يتحوّل النجم الأول في الفريق إلى لاعب مغضوب عليه؟ ماذا فعل إيكاردي كي تقع معاقبته بهذا الشكل المسيء؟ هل انتهت الحكاية وبلغت قصة العشق والوفاء إلى ساعة المنتهى؟

أسئلة عديدة تحاصر هذا التوتر المفاجئ والتصعيد بين الطرفين، لكن وحدها التفاصيل الصغيرة قد تكشف بعض الغموض وتنزع هذا الصمت المريب من اللاعب الذي آثر الصمت وخيّر السكوت دون أن ينبس ببنت شفة للدفاع عن نفسه.

أغلب وسائل الإعلام الإيطالية المتخصصة تحدثت بإطناب وإسهاب عن هذه الحادثة، أي حادثة نزع شارة القائد عن إيكاردي. لقد أجمع كل المتابعين لأخبار الإنتر على أن الحكاية بدأت تتوتر منذ فترة ليست بالقصيرة، والسبب في ذلك وجود امرأة بدأت تشعل فتيل الخلاف بين الطرفين. فتحوّل خيط الشمع إلى حبل رفيع حارق ربما يأتي على الأخضر واليابس وينهي سنوات العسل بين الإنتر ونجمه المدلل إيكاردي.

أصل الحكاية امرأة، هي زوجة هذا اللاعب. وهنا تشير التفاصيل الصغيرة إلى أن واندا نارا زوجة إيكاردي هي أيضا وكيلة أعماله، وهي من تدبّر شؤونه وتخطّط لمساره. هي من ترتّب كل خطواته وتبرمج مستقبله.

التفاصيل الصغيرة وغير المكشوفة والتي سعت وسائل الإعلام الإيطالية إلى كشفها توضح أن إدارة إنتر ميلان كانت حريصة على تجديد عقد هذا اللاعب وإطالة فترة بقائه في ميلانو خاصة وأنه بات من "أساطير" النادي. لقد اقترحت عليه فعلا عقدا جديدا بامتيازات جديدة ورواتب مجزية ومغرية.

في البدء بدا إيكاردي سعيدا ومستعدا للبقاء وتمديد إقامته في أحضان "النيراتزوري"، لكن فجأة تغير كل شيء، وأصبح إيكاردي مترددا متلكئا ومتعللا بأبسط الأشياء كي يرجئ مناقشة التوقيع على عقد جديد إلى نهاية الموسم.

أمر يبدو أنه دبّر بليل. فإيكاردي يستشير زوجته في كل شيء. فهي من تحدد كل شيء ويبدو أنها من دبّرت وضبطت كل الأمور. وحسب رواية بعض وسائل الإعلام المقرّبة من النادي يبدو أن الزوجة نصحته بضرورة رفض مقترح إدارة الإنتر والمطالبة بالحصول على مبلغ أكبر بكثير مما تم اقتراحه في بادئ الأمر.

سعت إدارة النادي إلى تقريب وجهات النظر، لتجلس مرارا وتكرارا مع اللاعب وكذلك مع وكيلة أعماله أي زوجته، لكن لا أمل يبدو قريبا في الأفق البعيد، فالتعنت كان صفة تحلى بها إيكاردي، والرفض الدائم كان شعار الزوجة "الحكيمة".

وأي مقترح مالي يقل عن الحصول على مبلغ 10 مليون يورو شهريا لن تقبل به الزوجة واندا نارا، لكن إدارة النادي غير مستعدة لدفع أكثر من 7 مليون يورو، بل هي تصّر على عدم إضافة ولو سنت إضافي إلى هذا المبلغ.

إذن هي "الحرب"! فالتعنت والعصيان يؤديان حتما إلى الدخول في المتاهة وربما إلى كتابة الأسطر الأخيرة من هذه "الزيجة" التي استمرت لسنوات وجعلت من إيكاردي أحد أبرز اللاعبين في الإنتر طيلة المواسم الماضية.

لكن هل يمكن للاعب يحظى بشعبية جارفة لدى عشاق هذا الفريق ويتمتع بكل صلاحيات القائد الدائم أن يتخلى بسهولة عن حظوته ويخطو نحو المجهول؟

لا بدّ أن في الأمر سرا، ولا بدّ أن إيكاردي لديه دوافع أكبر بكثير من مجرد الإصرار على بعض التفاصيل البسيطة، كان من السهل عليه حسم الأمور بسرعة وإنهاء الجدل دون الحاجة إلى تصعيد الموقف.

بيد أن تلك التفاصيل الصغيرة قد تكشف جانبا غامضا في الحكاية. هو جزء يبدو أن الزوجة و"المدبّرة الحكيمة" هي من تتحكم فيه، حيث تشير بعض المصادر إلى أن وكيلة أعمال إيكاردي تلقت خلال الأشهر الماضية مقترحا من قبل إدارة يوفنتوس قصد التعاقد مع اللاعب فور انتهاء عقده مع الإنتر.

وبما أن الانتقال إلى فريق بقيمة اليوفي يضمن التتويجات في كل موسم، ويضمن تألقا أكبر، فإن واندا لم تتردد ولم تتعب كي تقنع إيكاردي بمماطلة إدارة ناديه الحالي وافتعال أي مشكلة تمهيدا لإغلاق الباب المؤدي للصلح والاتفاق.

ربما هي سويعات أو بضعة أيام، ربما تطول المهلة أكثر بقليل وتنكشف كل الخبايا ويتحدد المصير! فالعلاقة على وشك الانتهاء، ومستقبل إيكاردي يلوح بعيدا عن الإنتر، خاصة وأن الحكاية فيها امرأة.

كينغسلي كومان جاهز لمباراة ليفربول

❏ **برلين** – أعلن نادي بايرن ميونيخ الألماني لكرة القدم، السبت، أن الإصابة التي تعرض لها الجناح الفرنسي كينغسلي كومان نجم الفريق خلال مباراة الجمعة، أمام أوغسبورغ في الدوري الألماني ليست خطيرة، وأنه سيكون ضمن الخيارات المتاحة خلال المباراة الصعبة والمرتقبة الأسبوع القادم، أمام ليفربول في دوري أبطال أوروبا.

وأوضح بايرن أن الفحوص الطبية التي خضع لها اللاعب بعد إصابته، الجمعة، في كاحل القدم اليسرى أكدت أن الإصابة خفيفة وأنه يستطيع اللحاق بمباريات الفريق المقبلة، وفي مقدمتها المباراة أمام ليفربول الإنكليزي، الثلاثاء، ضمن ذهاب الدور الثاني (دور الستة عشر) لدوري الأبطال.

وسجل كومان هدفين في مرمى أوغسبورغ وكان صاحب تمريرة هدف الفوز الذي سجله زميله النمساوي دافيد ألابا في المباراة التي فاز بها فريقه بصعوبة (3–2) قبل أن يتعرض للإصابة في أواخرها.

وكان كومان عاد في ديسمبر الماضي من إصابة مماثلة في أربطة الكاحل بعد غياب طويل عن الملاعب.

وتعرض الجناح الفرنسي البالغ من العمر 22 عاما لإصابتين متتاليتين في أربطة الكاحل، إحداهما في فبراير الماضي حرمته من فرصة المشاركة مع منتخب بلاده المتوج بطلا للعالم في مونديال روسيا 2018، والثانية في أغسطس الماضي في المباراة الأولى من الدوري الألماني لكرة القدم.

وأثار كومان بلبلة عندما أعلن عن إمكانية اعتزاله في حال تعرض لإصابة جديدة خطيرة لبرنامج "تيليفوت" الذي تبثه قناة "تي.أف 1" الفرنسية أواخر العام الماضي، لكنّ مسؤولي بايرن ميونيخ وعلى رأسهم الرئيس التنفيذي كارل هاينتس رومينيغه سارعوا إلى حضّه على عدم التفكير في إنهاء مسيرته، في حين اعتبر المدير الرياضي لبايرن البوسني حسن صالح حميدزيتش أن تصريحات كومان عاطفية، قائلا "كومان محارب كبير وقد ناضل للعودة وقدم عملا رائعا، وسيكون في قمة جهوزيته مرة أخرى".

ونشأ كومان في صفوف باريس سان جرمان الفرنسي، وانضم إلى يوفنتوس الإيطالي في عام 2014، قبل القدوم إلى بايرن ميونيخ عام 2016.

إصابة بلا مشاكل

راقص أسمر يندد بمأساة الهجرة من بوابة أعرق فرق الباليه في العالم

يسعى مهاجر كولومبي من خلال انتمائه إلى إحدى أعرق فرق الباليه في العالم أن يكون رسولا للأعداد الهائلة من المهاجرين الذين يغادرون أفريقيا والشرق الأوسط باتجاه أوروبا أو يفرون من الأزمات في أميركا اللاتينية للوصول إلى الولايات المتحدة.

تجسيد محاولات العبور غير الشرعية الفاشلة

❏ **لندن** – فرّ فرناندو مونتانيو من الفقر ليصبح راقصا نجما وهو الكولومبي الوحيد الذي يرقص منفردا في فرقة رويال باليه في لندن، ويجسد الآن حافي القدمين دور لاجئ أفريقي يقضي غرقا.

ويؤدي الراقص الأسود دور البطولة في عرض "الرحلة الباروكية" الأوبرالي الذي يندد بمأساة الهجرة العصرية. وقد صمم العمل في إيطاليا العام 2018 وقد حط رحاله في بوغوتا في يناير الماضي.

ويقوم الفنان البالغ من العمر 33 عاما قبل البدء في العرض الرسمي على مسرح "كولون" الأرجنتيني، بتمارين وتدريبات وهو يحمي رجليه من البرد القارس بواسطة جوارب صوفية سميكة.

وقد اضطر في يوم ما إلى الهجرة، وكان في الرابعة عشرة من عمره وتظهر عليه بوادر موهبة ستوصله إلى الذروة.

وبات الآن راقصا نجما في إحدى أعرق فرق الباليه في العالم ويريد من خلال فنه أن يكون رسولا للأعداد الهائلة من المهاجرين الذين يغادرون أفريقيا والشرق الأوسط باتجاه أوروبا أو يفرون من الأزمات في أميركا اللاتينية للوصول إلى الولايات المتحدة.

وقال مونتانيو إن حركة الهجرة هذه "موجودة أينما كان"، مضيفا "لقد كنت مهاجرا لمدة تفوق نصف عمري. اضطررت إلى تعلم لغات أجنبية والتكيف مع مجتمعات هذه البلدان والاطلاع على إرثها الغنائي ونقاط ضعفها".

ويستحيل الراقص على مدى ساعة ونصف الساعة سمفونية حركات فيما يصمت الجمهور مذهولا أمام قدرته الكبيرة على التحكم في جسمه.

ويؤدي في هذا العرض دور مهاجر ينقذ أربعة إيطاليين خلال عاصفة تسببت بانقلاب مركبهم.

وفيما يجنب الأوروبيين الغرق، يغرق هو مهجورا على خلفية موسيقى "الصيف" لأنطونيو فيفالدي. ويبلغ تأثر الجمهور في هذه اللحظة ذروته.

وأبلغ مونتانيو في مساء العرض وقبل دخوله المسرح، بمأساة حقيقية وقعت في البحر في الكاريبي، فقد غرق مركب وعلى متنه 32 كونغوليا. وكان هؤلاء المهاجرون يحاولون الوصول إلى بنما في طريقهم إلى الولايات المتحدة. وقد انتشلت 19 جثة الواحدة تلو الأخرى.

ولا يزال يذكر من مسقط رأسه بوينافانتورا الساحلية التي ينهشها العنف والاتجار بالمخدرات، أجواء البحر وأزيز الرصاص.

والده الرجل الصارم الذي كان يحمّل أكياس الإسمنت كان يحلم بأن يصبح نجله لاعب كرة قدم. إلا أن الرقص استهوى مونتانيو عندما اكتشفه عبر شاشة التلفزيون.

وانضم في سن الثانية عشرة للمرة الأولى إلى مدرسة باليه في كالي. وبعد سنتين انتقل إلى كوبا بفضل منحة. وأتى بعد ذلك دور أوروبا والشهرة. وترعرع مونتانيو في بيئة ذكورية تكثر فيها الأحكام المسبقة لكن الراقص الكولومبي يظن أن موهبته أنقذته من الاضطهاد.

وكان خلال سنواته الأولى في فرقة رويال باليه في لندن يتبرج ليصبح لون بشرته فاتحا وحتى "لا يشبه ذبابة في كوب حليب".

أما اليوم فقد تخلص من هذه العقدة وبات واحدا من أربعة راقصين سود من بين أكثر من مئة فنان في الفرقة. لكنه يقول بأسف "أظن أنه حتى الآن لا يزالون يفكرون كثيرا قبل منح فرصة إلى راقص أسود. ربما لأن الناس لا يمكنهم تخيل وجود أمير أسود".

ولا ينسى مونتانيو أصوله. وهو يتذكر بتأثر والده وطفلا من أقاربه حضرا العرض قائلا "لم يسبق لهما أن شاهدا عرض أوبرا وقد أحب الطفل ذلك. وهنا يتبين لي أن هذا الفن غير منتشر كثيرا في أميركا اللاتينية".

صباح العرب

عدلي صادق

بلاغة مع البغضاء

❏ لم أتردد في تناول كتاب طه حسين "مع المتنبي" من أحد أرفف مكتبة "دار المعارف" المصرية. فقد قرأت مرارا عن إشكالية هذا الكتاب القديم ولم أطلع عليه، وعلمت أن إصداره في العام 1937 قد استحث نقدا مريرا لطه حسين، مع اتهام له بالانتحال أو السطو، من قبل أحد أهم معاصري الرجل، وهو د. محمود شاكر، صاحب الصولات دفاعا عن الثقافة العربية والتراث، في مواجهة التغريب. وكان شاكر قد أصدر قبل عام واحد، كتابا عن المتنبي، إحياء لذكرى مرور ألف سنة على مقتله. وقبلها بسنة واحدة، نشر المستشرق الفرنسي ريجيه بلاشير –من المغرب– دراسته الفذة بعنوان "شاعر عربي من القرن الرابع الهجري: أبوالطيب المتنبي".

وأغلب الظن أن الكتابين استثارا طه حسين، فخصص وقت إجازته الصيفية في فرنسا، لكي يتأمل شعر المتنبي وفنه وسيرته، عازفا من باب المشاكسة –كما قال– عن الاستمتاع بنعيم الحياة وجمال الطبيعة في جبال الألب. فلم يكن طه حسين يحب الشاعر ولا يطيق صحبته، لكنه كما كتب، يتعمد أن يعاند نفسه ويأخذها من حين إلى حين، ببعض ما تكره من الأمور.. فـ"لست من المحبين للمتنبي ولا من الشغوفين بشخصه وفنه، لكنني أجد بأسا في أن أشق على نفسي أثناء الراحة، وأثقل عليها حين تبغض الإثقال عليها!".

كلام عجيب وغير مسبوق من حيث دوافع الكتاب والأدباء إلى التأليف. والمفارقة، أن طه حسين ظل ينقلب على نفسه، مع توالي مُخرجات التأمل لكل مرحلة من شعر المتنبي ومناسبات قصائده، على الرغم من البداية المُضنية التي بدأ بها، ولم يكن لها داع، إذ خصص عدة صفحات، يحشد القرائن للتشكيك في نسب المتنبي وعروبته والتأكيد على وضاعة أبيه. وفي معظم السياق ظل طه حسين يضرب المتنبي بالكف ويعدل الطاقية. يشيد ويمتدح ويذم ويهجو. لكن اللغة التي أملاها على فريد شحادة، سكرتيره الذي يرافقه لكي يكتب ويقرأ له؛ تُعتبر بحق، وعلى الرغم من البغضاء، متعة لمتذوقي البلاغة والفصاحة وفنون النقد، وهذا في تقديري أكثر من كاف، لتعليل الاستمرار في إصدار الكتاب، منذ طبعته الأولى العام 1937!

ليت طه حسين، وكل من برعوا وأبدعوا في تفكيك حكايات الأقدمين وأعمالهم وتظهير صغائرها والتعرض لكل شاردة وواردة في سير حياتهم؛ قد فعلوا ذلك بالنسبة لتجارب الساسة وأولي الأمر في زمانهم من باب التحري عن سادتهم الحقيقيين ومصادر سلطاتهم، بدل البحث في ما إذا كان والد المتنبي، قبل ألف سنة، سَقاء وضيعا أم وجيها نبيلا في قومه!

نجوم هوليوود يرفعون الوعي بشأن الاضطرابات النفسية

❏ **باريس** – لم يعد نجوم هوليوود بعد عقود من الصمت المطبق، يتوانون في التحدّث علنا عن الاضطرابات النفسية التي يعانونها، آملين كسر المحرّمات بشأن هذا النوع من الاختلالات الذي يصيب شخصا من كل أربعة في مرحلة ما من الحياة.

وخلال توزيع جوائز "غرامي" أعلنت ليدي غاغا عن فخرها "بالمشاركة في فيلم 'ايه ستار إز بورن' الذي يتناول مسألة الاضطرابات الذهنية" وبطله الذي يعاني من إدمان متعدد ولديه ميول انتحارية. وكانت نجمة البوب قد كشفت قبل سنتين أنها تعاني من اضطرابات إجهادية لاحقة لصدمة.

وليست حالتها فريدة من نوعها، فالفكاهي بيت ديفيدسون الذي يقدّم برنامج "ساترداي نايت لايف" كشف لمتتبّعيه أنه يعاني من الاكتئاب، في حين أن المغنية ماريا كاري تحدّثت للمرة الأولى العام الماضي عن إصابتها بالاضطراب الوجداني الثنائي القطب، قائلة لمجلة "بيبول"، "لم أكن أريد أن أوصم بالعار بسبب مرض مزمن قد يضع حدّا لمسيرتي المهنية"، مقرّة "كنت أخشى أن أفقد كلّ ما حققته".

وكشفت أنها تتناول الأدوية وتخضع لعلاج نفساني للقضاء على هذا الاضطراب الذي يطال 60 مليون شخص وهو سادس الأمراض المؤدية إلى العجز بحسب منظمة الصحة العالمية.

ويثني الطبيب النفساني جان-فيكتور بلان، الذي يعمل في مستشفى في باريس، على هذا التقدّم. وهو يعنى بالعلاقة بين ثقافة البوب وطبّ النفس ويحاضر في هذا الشأن ويعدّ كتابا عن هذا الموضوع. وأفاد أن "الاضطرابات النفسية غالبا ما تعبّر بالوصم ومن الجيّد إثارة بعض الأمثلة الإيجابية"، مشيرا إلى أن موقف ماريا كاري "شكّل قدوة للمرضى الذين أعالجهم"، لأنها استعادت نشاطها الفني بعد تطرّقها إلى الموضوع.

وبعدما أصبح الاضطراب الوجداني الثنائي القطب الذي يتقلّب فيه المزاج بين اكتئاب وابتهاج من المفاهيم السائدة في اللغة المحكية، انتقل إلى الشاشة مع سلسلة "هوملاند" وفيلم "سيلفر لاينينغز بلايبوك" الذي نالت بفضله جينفر لورنس جائزة أوسكار، وبات أكثر تقبلا في المجتمع.

وبالرغم من جهود النجوم لرفع الوعي بشأن الاضطرابات النفسية، لا يزال الطريق طويلا في هذا المجال خصوصا أن البعض يعتبر أن هذه الاختلالات جزء من حياة المشاهير.

كاظم الساهر: ساعة قليلة بحق الجمهور السعودي

❏ **العلا (السعودية)** – طالب الفنان العراقي كاظم الساهر المسؤولين عن إحياء حفله الثاني في المملكة العربية السعودية، وتحديدا في محافظة العلا (غرب البلاد) ضمن فعاليات مهرجان "شتاء طنطورة"، بتمديد الوقت المخصص للحفل، لافتا إلى أنه كان يتمنى أن يغني وقتا أطول للجمهور السعودي.

وقال القيصر خلال لقاء تلفزيوني له على هامش افتتاح قناة "أم.بي.سي العراق"، إن "ساعة واحدة لا تكفي، إذ توجد قصائد طويلة أغنيها للجمهور الذي يطلبها مني، ولكن لضيق الوقت لا يتم تقديم كل المطلوب".

وأشار إلى أنه يستغل الساعة، التي يقف خلالها على المسرح، كي يقدم ما يطلبه منه الجمهور.

ويعد هذا هو الحفل الثاني لكاظم الساهر في المملكة، بعد حفله السابق ضمن فعاليات مهرجان "سوق عكاظ"، الذي أقيم في 13 يوليو من العام الماضي.

وصرح الساهر في حفله الأول بأنه "لم يجد غير المحبة والود من السعودية، منذ نزوله في المطار".

❏ تجمّع عدد من الألمان في لاوشرينغن مرتدين ملابس سنفور، أمس، في محاولة منهم لعقد أكبر اجتماع للسنافر في العالم، بهدف تحطيم الرقم القياسي السابق البالغ 2510 مشاركين في الغالب من الطلاب في ويلز عام 2009.

سيدة مغربية تتبرع بـ 1.2 مليون دولار لإيواء الطلبة

❏ **الرباط** – تبرعت سيدة مغربية، بـ1.2 مليون دولار، لبناء مؤسسة تعليمية ودار لإيواء الطلاب، بإحدى قرى وسط البلاد.

ووقعت وزارة التربية الوطنية ومحافظة إقليم سطات (وسط)، وسيدة الأعمال نجية نظير، اتفاقيتين، الأولى لبناء ثانوية عامة ودار لإيواء الطلاب. فيما الاتفاقية الثانية لترميم مدرسة ببلدة ابن أحمد الجنوبية (تابعة لسطات)، بمبلغ إجمالي يقدر بـ1.2 مليون دولار.

وقالت نظير إن "الهدف من تمويل هذه المشاريع، هو المساهمة في إخراج حلم إنشاء ثانوية عامة للوجود، خاصة أن المنطقة تفتقر لمثل هذه المؤسسة".

وأشارت إلى أن غياب هذه المؤسسات "يدفع عددا من الطلاب للانقطاع عن الدراسة".

ودعت المواطنين "الذين يملكون القدرة المالية، للمساهمة في إنجاز مشاريع اجتماعية، خصوصا بالقرى والأرياف".

وعقب الإعلان عن التوقيع، أشاد مغاربة على منصات التواصل الاجتماعي بمبادرة نظير. وكتب الباحث مصطفى بنزروالة، في صفحته على فيسبوك، "رغم هذا الكم من السواد.. يصر الرائعون على التوهج.. وعي متقد، وأمل متجدد.. شكرا سيدتي نجية".